براءة الأصحاب من دم الأحباب

د. بدوي مطر
bhmatar@yahoo.com

الفهرس

على سبيل التقديم...7
الفتنة في اللغة...10
الفتنة في القرآن...11
الفتنة في الحديث النبوي الشريف.................................14
الحديث الشريف والصحابة...17
صحابة ظلمتهم أقلام الفتنة..19
عائشة رضي الله عنها..21
عثمان بن عفان رضي الله عنه.......................................22
على بن أبي طالب رضي الله عنه.....................................29
الزبير بن العوام رضي الله عنه.....................................31
طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه....................................31
معاوية رضي الله...33
عمرو بن العاص رضي الله..36
الإمامان الحسن والحسين رضي الله عنهما.............................40
قالوا عن الفتنة..42
إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الفتنة التي سيقتل فيها عثمان...42
كتاب (العواصم من القواصم)..44
كتاب (زاد الميعاد)...45
كتاب (من فضائل وأخبار معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه)45
كتاب (تاريخ الاسلام للذهبي).......................................46
كتاب (أم المؤمنين عائشـة رضي الله عنها)...........................46
كتاب (رد البهتان عن معاوية بن أبي سفيان)..........................50
الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه..................................54
(البداية والنهاية)..54
(المنتظم في التاريخ)..63
(سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه شخصيته وعصره).......64
دور عبد الله بن سبأ في تحريك الفتنة...............................67
مشاورة الخليفة للولاة...68
محاورة الخليفة للأحزاب..69
الخطوة الأخيرة للهجوم على الخليفة..................................72
علي يحاور الأحزاب..73
الخطاب المشبوه...73
استسلام الخليفة لقدره وموقف الصحابة...............................75
استشهاد عثمان 35 هجرية...76
جنازته والصلاة عليه ودفنه..78
موقف محمد بن أبي بكر..79
(شذرات الذهب في أخبار من ذهب)....................................79
بداية اللغط في حق علي رضي الله عنه...............................81
حقيقة ولاة عثمان رضي الله عنه.....................................83
أولاً: معاوية بن أبي سفيان..85
ثانيًا: عبد الله بن عامر بن كريز......................................86

ثالثـًا: الوليد بن عقبة...87
رابعًا: سعيد بن العاص..89
خامسًا: عبد الله بن سعد بن أبي السرح..............................89
سادسًا: مروان بن الحكم ووالده.......................................90
العلاقة بين أبي ذر الغفاري وعثمان بن عفان رضي الله عنهما 92
الرواية الصحيحة في العلاقة بين الصحابين الجليلين.............92
وفاة أبي ذر وضم عثمان عياله إلى عياله...........................93
موقف عمار بن ياسر...94
ضرب الخليفة لعمار...94
اتهام عمار بالمساهمة في الفتنة وإثارة الشغب ضد عثمان.....94
موقف عبد الله بن مسعود من مصحف عثمان.......................95
الفتنة في عهد الإمام علي رضي الله عنه...........................96
بيعة على رضي الله عنه...100
موقف طلحة والزبير رضي الله عنهما...............................104
أخبار ملفقة عن طلحة والزبير.......................................105
موقعة الجمل 36هجرية...106
مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب...............................108
خروج أمير المؤمنين على بن أبى طالب إلى الكوفة............110
تساؤلات على الطريق...110
محاولات الصلح...112
أثر السبئية في معركة الجمل...113
الجولة الأولى من موقعة الجمل.....................................114
الجولة الثانية من موقعة الجمل.....................................115
موقعة الجمل في البداية والنهاية...................................116
موقعة الجمل في شذرات الذهب في أخبارمن ذهب............117
موقعة الجمل في تاريخ الإسلام للذهبي...........................118
مقالة عمارعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها..............120
معركة صفين (37هـ)...122
تسلسل الأحداث التي قبل المعركة.................................123
المراسلات للصلح بين علي ومعاوية...............................125
القتال على الماء...125
الموادعة بينهما ومحاولات الصلح..................................125
ليلة الهرير يوم الجمعة(ثالث أيام القتال)..........................126
الدعوة إلى التحكيم..126
مقتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين.....128
عدد القتلى...132
تفقد أمير المؤمنين على القتلى وترحمه عليهم..................132
موقف لمعاوية مع ملك الروم..132
قصة باطلة في حق عمرو بن العاص بصفين.......................133
نهي أمير المؤمنين على عن شتم معاوية ولعن أهل الشام....133
نشأة الخوارج والتعريف بهم...135
انحياز الخوارج إلى حروراء ومناظرة ابن عباس لهم............136
معركة النهروان (38هـ)...137

ذو الثدية أو المخدج وأثر مقتله على جيش علي رضي الله عنه..... 139
أويس القرني رضي الله عنه......................................139
التحكيم...140
نص وثيقة التحكيم..142
قصة التحكيم المشهورة وبطلانها...................................144
التحذير من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة............148
الاستشراق والتاريخ الإسلامي.......................................149
علماء تصدوا لكشف الزيف والأكاذيب............................149
الوسائل التي استخدمت لغرض تحريف الوقائع التاريخية......150
الأيام الأخيرة من حياة الإمام علي...............................152
صفة مقتله رضي الله عنه..155
الفتنة في عهد الحسن بن على رضى الله عنهما................158
البداية والنهاية...158
استعداد الحسن لقتال معاوية......................................160
التراجع عن القتال...161
الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما.....................161
وفاته رضي الله عنه ، وحقيقة من دس له السم................163
وفاة الحسن في البداية والنهاية.....................................166
قصة خروج الحسين بن على رضي الله عنهما....................167
مختصر لسيرة يزيد بن معاوية قبل توليه الخلافة................168
قصة المبايعة ليزيد من كتاب البداية والنهاية....................171
أولى خطبة ليزيد...177
موقف الحسين من بيعة يزيد..177
خروج الحسين إلى مكة...178
موقف الحسين من الحكم الأموي:................................179
أهل الكوفة يستقدمون الحسين رضي الله عنه..................180
بعث مسلم بن عقيل...181
المواجهة بين مسلم وبن زياد......................................183
القبض على مسلم وقتله...183
موقف الصحابة من خروج الحسين................................185
بعث الحسين قيس بن مسهر إلى أهل الكوفة....................187
خروج الحسين رغم ما حدث..188
اختيارات الحسين...189
مقتل الحسين رضي الله عنه..190
موقف يزيد من قتل الحسين ومن ذريته..........................201
قاتل الحسين...203
مصير قتلة الحسين رضي الله عنه................................203
1 ـ عبيد الله بن زياد...203
2 ـ عمر بن سعد...204
3 ـ شمر بن ذي الجوشن..204
الخلاصة...205
وختاماً...215

المراجع...220

على سبيل التقديم

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىالحبيب المصطفي محمد بن عبد الله ، نشـهد أنه بلغ الرسـالة وأدى الأمانة وكشف الغمة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضــــــاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك.

الحمدلله على نعمةالإسلام وكفى بها نعمة، نشـهد أنه لا إله إلا الله ربنا وأن الإسـلام ديننـا، ومحمد صـلى الله عليه وسـلم نبينا ورسـولنا، علي هذه الشهادة نحيا و نموت ، وعليها نبعث إنشاء الله .

أما بعد...

فإن الهدف الأول لإصـدار هـذا الكتـاب هوالمشـاركة في تصـحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي شاعت بيننا والتي أحاطت بعض الصحابة الإجلاء ، الذين شملتهم أحداث الفتنة الكبرى والتي أعقبت مقتل عثمان رضي الله عنه بسـيل من الإتهامـات ، كما أنه يسـاعد في الـرد على بعض الأسئلة التي كـانت تراودنا وظلت على الـدوام بلا إجابة ، وكـانت جلها تـدور حـول مغـزى تصـرف هـؤلاء النفر من الصـحابة الـذين نـدين لهم بالاعتذار.

وفي هذا المقام لابد من توجيه الشكر العميق لمشايخنا أصحاب الكتب الـتي شـكلت كتابـاتهم القيمة محـور التحـول بالنسـبة لنا تجـاه أحـداث الفتنة وشخوصـها ، ولـذا فقد كنت حريصا أشد الحـرص على ذكر اسم الكتاب ومؤلفه بجـواره ، وذلك في مقدمة كل فقـرة من فقـرات كتابنا المتواضع.

وأجدني ممتنا بشدة ومقدرا كل التقدير وبصورة خاصة لجهود وكتابــات الـدكتور / على محمد الصـلابي ، الـذي كـان كتابه (سـيرة عثمـان بن عفـان رضي الله عنه شخصـيته وعصـره) نقطة تحـول بالنسـبة لي ، فدعائي له من الأعماق أن يغفر الله له ولوالديه ، وأن يثيبه خير الجزاء في الدنيا والآخرة .

ومما لاشك فيه أن الحـديث عن صـحابة رسو ل الله صـلى الله عليه وسـلم يعد حـديثا ذا شـجون ، فهو من زاوية يجعلنا نعيش عـالمهم السـعيد وهم يجالسـون النـبي صـلى الله عليه وسـلم ويصـلون خلفه ، يآكلونه ويشاركونه الشراب ، يستمعون للوحي طازجا ، ولسيل الحكمة من فم المعصوم صلى الله عليه وسـلم مباشـرة ، فلا نملك بـالطبع إلا أن نغبطهم ونود لو أننا قد عشنا حياتهم .

ومن زاويةأخرى يبدو الشجون مفعما بالألم حين نستعيد ما جرى فيما بينهم ، لاسيما في أحداث الفتنة التي هزت عرش الدولة الإسلامية ومازالت حتى الآن تلهبنا بنارها.

إن الخلاف بين الصحابة الأجلاء لا يعنينا في حد ذاته ، بل إننا مطالبون بالكف عن سرده لمجرد الحديث فيه ، لكن الإشكال يقع حين نعلم بإننا لا نعيش وحدنا فوق ظهر هذا الكوكب ، وليس هذا فحسب بل إن أعداء الإسلام قديما وحديثا لم يكفوا عن الخوض في هذه الفتنة وبالتالي يتعرضون لشخوص الصحابة للنيل منهم .

ولهذا يجب علينا أن نتحلى بالعلم والمنطق والحكمة أيضا حين يفرض علينا مثل هذا الحوار، وبداهة لا يمكننا القول لأعدائنا بأننا مطالبون بعدم الخوض في هذا الموضوع طبقا للأحاديث النبوية الشريفة التي تنهاناعن ذلك ، وإلا أتهمونا بالجهل وعدم المنطق ، ومما لاشك فيه أن ذلك سيمنحهم فرصة ذهبية للنيل من ديننا وترويج المزيد من الشائعات والروايات المغلوطة ليحققوا مطلبهم في ضرب الدين ولكن هيهات هيهات..!

والرأي الصواب في هذا الشأن هو عدم الخوض على الإطلاق في هذه النقطة فيما بيننا حتى لا نقع في المحظور، ولكن إن فرض علينا جدلا من جانب أعدائنا فليكن العلم والمنطق رائدنا ، وحب الصحابة الأجلاء هو دافعنا الوحيد لممارسة هذا الجدل .

وإنه لشيئ مخجل أن نقارن بين الحالة التي كان عليها هؤلاء الصحابة الأجلاء وحالنا التي نحن عليه الآن ، هم بنوا الإسلام ونحن نهدمه ، هم علموا العالم الدين على الوجه الأكمل والإنسانية في أبهى صورها، ونحن نلهث وراء الغرب نلعق أحذيتهم ونتباهي بتقليدهم في كل ما هو تافه ومشين ، هم تمسكوابالقرآن فزادهم الله عزة ، ونحن تخلينا عن القرآن بل غضضنا الطرف عن نفايات كتابية أسموها الفرقان الحق ، يكيلون فيها الشتم والسب الصريح لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ولم نحرك ساكنا لوقف هذه المهزلة التي أكتملت سطورها بأن قام الغرب الصليبي الحاقد بتدريسه بجامعاته المنتشرة ببلادنا ومنها بلاد تجاور البيت الحرام ، نحن بذلك لم ننتصر لله ولا لرسوله صلى الله عليه وسلم فلم نزدد إلا ذلا وعارا، وهنا في عيونأعداءنا بعد أن سب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم على صفحات الجرائد في كل أنحاء العالم ولم نصدرإلا أصواتا زاعقة سرعان ما تلاشت ، ليعود الحقد الصليبى من جديد لسب ديننا ونبينا ولذنا بصمت مشين وكأن الإسلام ونبيه العظيم صلى الله عليه وسلم لا يمتان لنا بشيئ ، ولذا فمسلسل الإهانة الصليبى والخيانة المحلي مستمر، وها هو عالمنا الإسلامي يضرب دولة تلو دولة ويتم تقسيمه وفق هوى أعدائنا لنعيش فتنة مريرة مهينة لايعلم مداها إلا الله ، وهاهي جرافات العدو الصهيوني قد بدأت بالأمس(7 فبراير2007) بهدم سور بجوار

حائط البراق بحجج واهية تمهيدا لهدم المسجد الأقصى برمته إحياء لوهم اسمه هيكل سليمان .

إن معايشة حياة هؤلاء الصحابة الأجلاء عبر الكتب هروب حميد لماض تليد نتمنى أن يعود ، والغوص في تفاصيل حياتهم وسلوكهم يجعلنا لانكاد نصدق أننا أبناء دين واحد . من المؤكد أن هناك عوامل خبيثة كانت وراء هذه الهوة التي تتسع بيننا وبينهم يوما بعد يوم ، وهذا الشيئ الخبيث يتمثل في عدة عوامل :

أول هذه العوامل :

ابتعادنا عن الدين وسنة نبيه العظيم صلى الله عليه وسلم فتخلى الله عنا ، فضللنا الطريق المستقم وتشعبت بنا السبل.

ثاني هذه العوامل:

عداوة الغرب الدينية لنا متمثلة في حروبه الصليبية التي يشنها علينا بين الفترة والأخرى والتي لن تنتهي كما يزعمون إلا بتوجيه ضربة قاصمة للإسلام والمسلمين لا نقوم بعدها أبدا.

ثالث هذه العوامل :

الخيانة والعمالة التي يشكلها الطابور الخامس من أبناء ديننا وجلدتنا خاصة من يملكون مقاليد الأمورفي بلادهم ، ضاربين عرض الحائط بالدين ، وباحثين فقط عن عرض زائل في دنيا زائلة يتمثل في منصب رئاسي ، أوحسابات في البنوك ، أو شهرة إعلامية ، أوطمعا في هذه التفاهات جميعها .

وأنا على يقين أننا لو تمسكنا بسيرة صحابي واحد من هؤلاء الصحابة الإجلاء لانصلح حال أي أمة إسلامية.

إن إصلاح الحال ليس بمستحيل ، لكنه يحتاج لإخلاص مع الله ، وعودة لسنة الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، ووقتها ستهون الحياة في أعيننا، ونودع الوهن الذي ذكره الرسول العظيم في الحديث الشريف الذي يقول :

" يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تدعى الأكلة إلى قصعتها , فقال قائل : و من قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير و لكنكم غثاء كغثاء السيل و لينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم و ليقذفن الله في قلوبكم الوهن , فقال قائل : يا رسول الله و ما الوهن ؟ قال حب الدنيا و كراهية الموت " .

تشخيص نبوي لاينطق عن الهوى ، وروشتة علاج لامناص عنها لو أردنا الإصلاح بحق، فهل نفيق ....!

****

الفتنة في اللغة

وبداية يجب علينا أن نعرف ماهو مفهوم الفتنة أوماهو معناها لغويا.
جاء ضمن ما جاء في تعريف القاموس المحيط للفتنة :
ـ ومنه: العَيْشُ فَتْنانِ، أي: لَوْنانِ، حُلْو ومُرٌّ، والإِحْراقُ،
ـ والفِتْنَةُ، بالكسر: الخِبْرَةُ،
ـ ومنه: {بأيِّكُمُ المَفْتُونُ}،
وإعْجابُكَ بالشيءِ، وفَتَنَه يَفْتِنُه فَتْناً وفُتوناً وأفْتَنَه، والضلالُ، والإِثْمُ، والكُفْرُ، والفَضِيحَةُ، والعذَابُ، وإذابَةُ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، والإِضْلالُ، والجُنونُ، والمِحْنَةُ، والمالُ، والأَوْلادُ، واخْتِلاَفُ الناسِ في الآراء.
ـ وفَتَنَه يَفْتِنُهُ: أوْقَعَهُ في الفِتْنَةِ،
ـ كَفَتَّنَه وأفْتَنَه، فهو مُفْتَنٌ ومَفْتُونٌ، ووَقَعَ فيها.
ـ والمَفْتونُ: المجنونُ.
وجاء في مختار الصحاح:
أن الفتنة هي الاختبار والامتحان ، وفتن الـذهب أي أدخله النـار لينظر جودته .
قال تعالى : " إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات " أي حرّقوهم .
قال الخليل : الفتنة هي الإحراق.
قال تعالى : "يوم هم على النار يفتنون "
وافتتن الرجل أي أصابته فتنة ، فذهب ماله وعقله.
وجاء في المعجم الوجيز:
أن الفتنة هي الابتلاء.
قال تعالى :" ونبلوكم بالشر والخير فتنة"
وهي الاضطراب ، وبلبلة الأفكار وهي العذاب والضلال

****

الفتنة في القرآن

جاء ذكر الفتنة في القرآن في الآيات الشريفة التالية :
1 ـ "هو الـذي أنـزل عليك الكتـاب منه آيـات محكمـات هن أم الكتـاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغـــاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراســـخون في العلم يقولـون آمنا به كل من عند ربنا وما يـذكر إلا أولـوا الألبـاب " (7) آل عمران
2 ـ "ستجدون آخرين يريـدون أن يـأمنوكم ويـأمنوا قـومهم كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعـتزلوكم ويلقـوا إليكم السـلم ويكفـوا أيـديهم فخـذوهم واقتلـوهم حيث ثقفتمـوهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا" (91)النساء
3 ـ "لو خرجـوا فيكم ما زادوكم إلا خبـالا ولأوضـعوا خلالكم يبغـونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين" (47)التوبة

4 ـ "لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمـور حـتى جـاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون(48)التوبة
ومنهم من يقـول ائـذن لي ولا تفتـني ألا في الفتنة سـقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين " (49)التوبة
5 ـ "ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا " (14)الأحزاب
6 ـ "واتبعـوا ما تتلو الشـياطين على ملك سـليمان وما كفر سـليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون النـاس السـحر وما أنـزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقـولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المـرء وزوجه وما هم بضـارين به من أحد إلا بـإذن الله ويتعلمـون ما يضـرهم ولا ينفعهم ولقد علمـوا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق .." (102البقرة)
7 ـ "وقـاتلوهم حـتى لا تكـون فتنة ويكـون الـدين لله فـإن انتهـوا فلا عدوان إلا على الظالمين " (193) البقرة
8 ـ "وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصـموا ثم تـاب الله عليهم ثم عمـوا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون" (71)المائدة
9 ـ "واتقـوا فتنة لا تصـيبن الـذين ظلمـوا منكم خاصة واعلمـوا أن الله شديد العقاب "(25)الأنفال
10 ـ "واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم "(28)الأنفال
11 ـ "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير "(39)الأنفال
12 ـ "والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير "(73) الأنفال
13 ـ "فقـالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقـوم الظـالمين " (85) يونس
14 ـ "وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للنـاس والشـجرة الملعونة في القـرآن ونخـوفهم فما يزيـدهم إلا طغيانا كبيرا " (60)الإسراء
15 ـ "كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون "(35)الأنبياء
16 ـ "وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين "(111)الأنبياء
17ـ "ومن الناس من يعبد الله على حرف فـإن أصـابه خـير اطمـأن به وإن أصـــابته فتنة انقلب على وجهه خسر الـــدنيا والآخـــرة ذلك هو الخسران المبين " (11)الحج
18ـ "ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسـية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد " (53)الحج

19ـ "لا تجعلوا دعـاء الرسـول بينكم كـدعاء بعضـكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصـيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم " (63)النور
20ـ "وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشـون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصـيرا " (20)الفرقان
21ـ "ومن النـاس من يقـول آمنا بالله فـإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جـاء نصر من ربك ليقـولن إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين "(10)العنكبوت
22ـ "إنا جعلناها فتنة للظالمين "(63)الصافات
23ـ "فـإذا مس الإنسـان ضر دعانا ثم إذا خولنـاه نعمة منا قـال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون "(49)الزمر
24ـ "إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر "(27)القمر
25ـ "ربنا لا تجعلنا فتنة للـذين كفـروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم "(5)الممتحنة
26ـ"إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم " (15)التغابن
27ـ "وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للـذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنـوا إيمانـا.. " (الآية 31) المدثر
28ـ " ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصـبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم" (110)النحل
29ـ "إن الـذين فتنـوا المؤمـنين والمؤمنـات ثم لم يتوبـوا فلهم عـذاب جهنم ولهم عذاب الحريق "(10)البروج

الفتنة في الحديث النبوي الشريف

ولقد حملت لنا الأحاديث النبوية الشريفة العديد من التحذيرات حـتى لا نقع في الفتنة، ومنها على سبيل المثال:
ما جـاء في كتب تخـريج الحـديث النبـوي الشـريف للشـيخ ناصر الـدين الألباني ما يلي :
1 ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قـال بينما نحن حـول رسـول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذكر الفتنة فقال:" إذا رأيتم النـاس قد مـرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا " وشـبك بين أصـابعه قـال فقمت إليه فقلت كيف أفعل عند ذلك جعلـني الله فـداك، قـال : "الـزم بيتك واملك عليك لسـانك وخذ بما تعــرف ودع ما تنكر وعليك بــأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة" (حسن صحيح) _ الصحيحة 205 و 888 و 1535 .

2 ـ عن حذيفة : ما أحد من النـــاس تدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه إلا محمد بن مسـلمة فـإني سـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقول:" لا تضرك الفتنة " (صحيح) _ المشكاة 6233 .
3 ـ عن خالد بن دهقان سألت يحيى بن يحيى الغساني عن قوله اعتبط بقتله قال الذين يقاتلون في الفتنة فيقتل أحدهم فيرى أنه على هدى لا يستغفر الله يعني من ذلك (صحيح مقطـوع) . قـال أبو داود : وقـال : فاعتبط يصب دمه صبا *
4 ـ " ألا إن الفتنة ههنا ، ألا إن الفتنة ههنا (قالها مـرتين أو ثلاثا) ، من حيث يطلع قرن الشيطان" ، (يشير بيده) إلى المشرق ، وفي رواية : العراق)] . (صحيح) .
5 ـ" اكسروا قسيكم _ يعـني في الفتنة _ واقطعـوا أوتـاركم ، والزمـوا أجواف البيوت ، وكونوا فيها كالخير من ابني آدم "ـ (صحيح) .
6 ـ " إذا كانت الفتنة بين المسلمين فاتخذ سيفا من خشب ". (صـحيح بمجمـوع طرقه) عن عديسة بنت أهبـان قـالت : لما جـاء علي بن أبي طالب ههنا (البصرة) دخل على أبي ، فقـال : يا أبا مسـلم ألا تعينـني على هؤلاء القوم ؟ قال : بلى ، قـال فـدعى جارية له فقـال : يا جارية أخرجي سيفي ، قال : فأخرجته فسل منه قـدر شـبر فـاذا هو خشب ! فقال : إن خليلي وابن عمك عهد إلي : إذا كـانت الفتنة بين المسـلمين ، فاتخذ سيفا من خشب ، فإن شئت خـرجت معك ، قـال : لا حاجة لي فيك ، ولا بسيفك . (حسنه الترمذي) . ويشهد له حديث سـهل بن أبي الصـــلت قـــال : ســـمعت الحسن يقـــول : إن عليا بعث إلى محمد بن مسلمة ، فجيء به ، فقال : ما خلفك عن هذا الأمر ؟ قال دفع إلي ابن عمك _ يعني النبي صلى الله عليه وسـلم _ سـيفا فقـال : "قاتل به ما قوتل العـــدو ، فـــإذا رأيت النـــاس يقتل بعضـــهم بعضا ، فاعمد به إلى صخرة فاضربه بها ثم الزم بيتك ، حـتى تأتيك منية قاضـية أو يد خاطئة ،" قال : خلوا عنه . (حسن).
7 ـ رواية مسلم : 3431 حدثنا زهير بن حرب وإسحق بن إبراهيم قـال إسـحق أخبرنا و قـال زهـير حـدثنا جرير عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال دخلت المسـجد فـإذا عبد الله بن عمـرو بن العـاص جـالس في ظل الكعبة والنـاس مجتمعـون عليه فـأتيتهم فجلست إليه فقـال كنا مع رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم في سفر فنزلنا منزلا فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشره إذ نـادى منـادي رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم الصـلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فقـال:" إنه لم يكن نـبي قبلي إلا كـان حقا عليه أن يـدل أمته على خـير ما يعلمه لهم وينـــذرهم شر ما يعلمه لهم وإن أمتكم هـــذه جعل عافيتها في أولها وسيصـيب آخرها بلاء وأمـور تنكرونها وتجيء فتنة فـيرقق بعضـها بعضا وتجيء الفتنة فيقـول المـؤمن هـذه مهلكـتي ثم تنكشف وتجيء الفتنة

فيقول المؤمن هذه هذه فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر"

فدنوت منه فقلت له أنشدك الله آنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال سمعته أذناي ووعاه قلبي فقلت له هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا والله يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) قال فسكت ساعة ثم قال أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله .

8 ـ حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا أبو معاوية وأبي عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة قال كنا جلوسا عند عمر فقال أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة قال حذيفة فقلت أنا قال إنك لجريء قال كيف قال سمعته يقول :" فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" فقال عمر ليس هذا أريد إنما أريد التي تموج كموج البحر فقال ما لك ولها يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها بابا مغلقا قال فيكسر الباب أو يفتح قال لا بل يكسر قال ذاك أجدر أن لا يغلق قلنا لحذيفة أكان عمر يعلم من الباب قال نعم كما يعلم أن دون غد الليلة إني حدثته حديثا ليس بالأغاليط فهبنا أن نسأله من الباب فقلنا لمسروق سله فسأله فقال عمر * (صحيح) _ تخريج فقه السيرة 643 : وأخرجه البخاري ومسلم .

9 ـ صلى رسول الله (ص) الفجر ثم أقبل على القوم فقال:" اللهم بارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في مدنا وصاعنا اللهم بارك لنا في حرمنا وبارك لنا في شامنا" فقال رجل وفي العراق فسكت ثم أعاد قال الرجل وفي عراقنا فسكت ثم قال" اللهم بارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في مدنا وصاعنا اللهم بارك لنا في شامنا اللهم اجعل مع البركة بركة والذي نفسي بيده ما من المدينة شعب ولا نقب الا وعليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا عليها" وفي رواية الى قوله :وفي العراق وزاد فأعرض عنه فقال:" فيها الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان". واسناده صحيح وأخرجه أحمد مختصرا بلفظ قال رأيت رسول الله (ص) يشير بيده يؤم العراق ها "ان الفتنة ههنا ثلاث مرات "من حيث يطلع قرن الشيطان" واسناده صحيح.

10ـ حدثنا عمران بن موسى الليثي حدثنا عبد الوارث بن سعيد حدثنا محمد بن جحادة عن عبد الرحمن بن ثروان عن هزيل بن شرحبيل عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا

ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة فإن دخل على أحدكم فليكن كخير ابني آدم " (صحيح) _ الارواء 2451 ، الصحيحة 1535 .

11ـ عن أبي موسى قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن بين أيديكم فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي قالوا فما تأمرنا قال كونوا أحلاس بيوتكم"(صحيح) . (أحلاس : البسط ، والمراد ملازمة البيوت والمنازل)

****

الحديث الشريف والصحابة

ولا يمكننا الحديث عن الصحابة إلا وتتدفق على الفور في دمائنا مشاعرالعرفان بالجميل لهؤلاء النفر الذين تحملوا مشقة الدعوة وحمل راية الإسلام خفاقة في كل أرجاء المعمورة . ما من شك في أنهم بشرمثلنا يخطئون ويصيبون فلا عصمةإلا للحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ، ولقد وردت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحذرنا من الوقوع في حق الصحابة منها على سبيل المثال :

1 ـ عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه " (صحيح) _ الترمذي 4134 : وأخرجه البخاري ومسلم .

2 ـ " من سب أصحابي ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" (صحيح بشواهده) وروي عن أنس مرفوعا به وزاد : " لايقبل الله منه صرفا ولا عدلا" قال : والعدل الفرائض ، والصرف التطوع . وله شاهد مرسل وغيره راجعه في الكتاب

3 ـ " دعوا لي أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهبا ما بلغتم أعمالهم ". (صحيح) . عن أنس قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام ، فقال خالد لعبد الرحمن : تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها ؟ فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم . فقال : فذكره .

4ـ " بحسب أصحابي القتل " . (صحيح) . وله شاهد من حديث سعيد بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سيكون بعدي فتن يكون فيها ، ويكون ، قلنا : إن أدركنا ذلك هلكنا ، قال : بحسب

أصـــحابي القتل . وفي رواية : يـــذهب النـــاس فيها أســـرع ذهـــاب .
(واسناده حسن) .
5 ـ" احفظوني في أصحابي ، ثم الذين يلـونهم ، ثم الـذين يلـونهم ، ثم يفشـــوا الكـــذب ، حـــتى يشـــهد الرجل ، وما يستشـــهد ، ويحلف وما يستحلف " . (صحيح) .
6 ـ " أحسنوا إلى أصـحابي ، ثم الـذين يلـونهم ، ثم الـذين يلـونهم ، ثم يجيء قوم يحلف أحدهم على اليمين قبل أن يسـتحلف عليها ، ويشـهد على الشـــهادة قبل أن يستشـــهد ، فمن أحب منكم أن ينـــال بحبوحة الجنة ؛ فليلـزم الجماعة ؛ فـإن الشـيطان مع الواحد ، وهو من الاثـنين أبعد ، ولا يخلون رجل بامرأة ؛ فإن ثالثهما الشـيطان ، ومن كـان منكم تسره حسنته ، وتسووه سيئته ؛ فهو مؤمن ". (صحيح)
7ـ حدثنا عبد الله بن الجـراح حـدثنا جرير عن عبد الملك بن عمـير عن جابر بن سمرة قال خطبنا عمر بن الخطـاب بالجابية فقـال إن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا مثل مقامي فيكم فقال:" احفظوني في أصحابي ثم الذين يلـونهم ثم الـذين يلـونهم ثم يفشو الكـذب حـتى يشهد الرجل وما يستشهد ويحلف وما يسـتحلف" (صـحيح) _ الـروض أيضا ، الصحيحة 431 و 1116
8 ـ حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير وعلي بن محمد قالا حـدثنا وكيع حـدثنا إسـمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حـازم عن عائشة قـالت قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم في مرضه : "وددت أن عنـدي بعض أصـحابي" قلنا يا رسـول الله ألا نـدعو لك أبا بكر فسـكت قلنا ألا ندعو لك عمر فسكت قلنا ألا ندعو لك عثمان قال :نعم .
فجـاء فخلا به فجعل النـبي صـلى الله عليه وسـلم يكلمه ووجه عثمـان يتغير" قال قيس فحدثني أبو سهلة مـولى عثمـان أن عثمـان بن عفـان قال يوم الدار إن رسول الله صلى الله عليه وسـلم عهد إلي عهـدا فأنا صائر إليه وقال علي في حديثه وأنا صابر عليه قـال قيس فكـانوا يرونه ذلك اليوم * (صحيح) _ المشكاة 6070 ظلال الجنة 1175 و 1176
9ـ"إن الله نظر في قلوب العباد فلم يجد قلبا أنقى من أصحابي ولذلك اختـــارهم فجعلهم أصـــحابا فما استحســـنوا فهو عند الله حسن وما استقبحوا فهو عند الله قبيح"
10 ـ "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم".
11 ـ "إنما أصحابي مثل النجوم فأيهم أخذتم بقوله اهتديتم ".
12 ـ "سألت ربي فيما اختلف فيه أصحابي من بعدي فـأوحى الله إلي يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء بعضها أضـوء من بعض فمن أخذ بشيء مما هم عليه من إختلافهم فهو عندي على هدى"
. لكن قوله : احفظوني في أصحابي . صحيح ثبت في حديث آخر ، وهو مخرج في الصحيحة 1116 .

أخرج أحمد، واللألكائي في السنة، وأبو القاسم بن بُشـران في أماليـه، وابن عســـاكر عن البهي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما شـــتم المقـداد رضي الله عنـه، فقـال عمـر: عليَّ نـذر إن لم أقطع لسـانك فكلّموه وطلبوا إليه. فقال عمر: دعوني حتى أقطع لسانه حتى لا يشتم بعدُ أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعند ابن عســاكر عن البهي قــال: كــان بين عبد الله بن عمر بين المقداد رضي الله عنهم شيء، فنال منه عبد الله، فشكاه المقـداد إلى أبيه، فنذر عمر ليقطعنَّ لسانه. فلّما خاف ذلك من أبيه تحمل على أبيه بالرجال، فقال: دعوني فأقطعَ لسانه فتكون سـنةً يُعمل بها من بعـدي، لا يوجد رجل شتم رجلاً من أصحاب رسول الله صـلى الله عليه وسـلم إلاَّ قُطع لسانه. كذا في منتخب كنز العمال.

****

صحابة ظلمتهم أقلام الفتنة

والفتنة الـتي نحن بصـدد الحـديث عنها الآن تمس بشـذاها وشـررها صـــحابة أجلاء على رأســـهم أم المؤمـــنين عائشة رضي الله عنها ، وعثمـــان ، وعلي ، والزبـــير وطلحة ، معاوية ، وعمـــرو بن العـــاص ، والحسن والحسين رضي الله عنهم .

إن الصـورة الـتي انطبعت في أذهـان الكثـيرين منا من خلال الروايـات الرائجة في الكثير من الكتب التي تناولت الحديث عن الفتنة ، نجد فيها أن عثمـان رضي الله عنه شخصا تافها لا رأي له فهو مجـرد ألعوبة في يد مستشاريه ، وأن معاوية وعمـرو بن العـاص رضي الله عنهما مجـرد شخصين انتهازيين يستحلان قتل الآخرين في سبيل مصالح دنيوية زائلة ، ولـــذا فقد قـــاتلا علي رضي الله في صـــفين ليســـلبوه الخلافة ظلما وبهتانا ، وتســـبباقي قتل آلاف المســـلمين فقط من أجل الســـلطة ، والسـيدة عائشة أم المؤمـنين خـرجت لتحـرض النـاس أول الأمر على قتل عثمـــان ، وحين قتل خـــرجت مع الزبـــير وطلحة رضي الله عن الجميع لقتـــال علي في موقعة الجمل حقـــدا عليه حين نصب خليفة للمسلمين.

فأم المؤمنين لم تنس موقف الإمام علي منها في موضوع الإفك حين أشار على النبي صـلى الله عليه وسـلم ليـتزوج بغيرها فالنسـاء كثـير ، وطلحة والزبير أخرجاها لقتـال علي وهي المـأمورة في الاسـتقرار في البيت بأمر الله والرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم وهما من العشــرة

المبشرين بالجنة ينكثان العهد مع علي رضي الله عنه وينقضان بيعتهما له في أمر الخلافة، وحين علمت السيدة عائشة بأنها مرت بمنطقة ماء الحوأب في الطريق إلى البصرة ، وتذكرت تحذير الرسـول الكـريم لها بهـذا الموقف وفكـرت في العـودة اقسم لها الصـحابة الأجلاء بـأن هـذا المكان ليس ماء الحوأب ،بل إن إحدى الروايـات تقـول إن عبد الله بن الزبير قد أتى لهابخمسين شاهد زور ليثنيهاعن العودة.

وحين يلوم أحدهما الزبير بن العـوام على خروجه لموقعة الجمل يقـول لمحدثه في انكسار إن ابنه عبد الله قد مال به إلى آل أمه بعد أن كـان الزبير أول الإسلام يميل إلى آل المطلب .

وحين نتخطى مرحلة علي بن أبي طـــــــــالب رضي الله عنه نجد أن الحسن يتم قتله على يد زوجته جعدة بنت الأشـعث بـأمر أو إغـراء من معاوية ،الذي وعدها بتزويجها من ابنه يزيد إن هي دست السم للحسن رضي الله عنه ، وحين فعلت ما أمرها به معاوية رضي الله عنه لم ينفذ وعده معها وعيرها بخيانتها لزوجها.

أما الحسين رضي الله عنه فإن يزيد بن معاوية أمر بقتله ، وفي كربلاء سـيقت نسـاء الـبيت النبـوي عرايا بعد أن نـزعت ثيـابهن وطيف بهن وعرضن كالسبايا ، وأن أجساد الحسين ومن مات معه من الشهداء قد ديست بالجيــاد ومثل بها ، وحين وصــلت رأس الحســين إلى يزيد راح يعبث بها بقضيب كان في يده.

صورة غاية في البشـاعة والحقـد، وقلـوب يبـدو أن الإسـلام لم يعمرها ولوليوم واحد ، صحابة تناسوا رسـولهم صـلى الله عليه وسـلم، وزوجة للنبي صلى الله عليه وسلم أمرنا باحترامها تبدو بهـذه الصـورة المختلة ، ألا يحق لنا بعد ذلك أن نعـــود القهقـــري إلى الكتب القيمة والموثقة نتلمس فيها ومنها الحقيقة ونرسم في أذهاننا الصــــورة الحقة لهــــؤلاء النفر من الصحابة الأجلاء بعيدا عن أي زيف وتزوير..؟

رواه أبو نعيم في الحلية.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

ـ "من كان مستنا فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا خـير هـذه الأمة أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا بـأخلاقهم وطـرائقهم فهم أصـحاب محمد صـلى الله عليه وسـلم كـانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة"

ولذا فقد رأيت أن نتذكر معا بعض مناقب هؤلاء الصحبة كاستهلال لهـذا الملف قبل الولوج إلى لب الأحداث:

عائشة رضي الله عنها

زوج الحـــبيب المصـــطفي صـــلى الله عليه وســـلم ، وتلك بعض مناقبها:التي جاءت في (كتاب أم المؤمنين) لشيخ الإسـلام ابن تيميـة جمع وتقديم وتحقيق محمد مال الله:

1 - عن ابن شـــهاب قـــال أبو ســـلمة: أن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوماً:

ـ" يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام." فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى." تريد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

2 - عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قـال رسـول الله صلّى الله عليه وسلّم:

ـ" كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسـية امـرأة فرعـون. وفضل عائشة على النسـاء كفضل الثريد على سائر الطعام."

3 - عن عبد الله بن عبد الرحمن أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول:

ـ"فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام“.

4 - عن القاسم بن محمد أن عائشة اشـــتكت، فجـــاء ابن عبـــاس فقـال: "يا أم المؤمـنين، تقـدمين على فـرط صـدق، على رسـول الله صلّى الله عليه وسلّم وعلى أبي بكر"

5 - عن الحكم ســـمعت أبا وائل قـــال: " لما بعث علي عمـــاراً والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم، خطب عمار فقال:

" إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم لتتبعـوه أو إياها".

6 - عن هشـــام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها اســـتعارت من أسـماء قلادة فهلكت، فأرسل رسـول الله صـلّى الله عليه وسـلّم ناساً من أصحابه في طلبها، فأدركتهم الصلاة، فصلوا بغير وضـوء. فلما أتوا النبي صلّى الله عليه وسـلّم شـكوا ذلك إليـه، فنـزلت آية الـتيمم، فقال أسيد بن حضير: "جزاك الله خـيراً، فوالله ما نـزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجاً، وجعل فيه للمسلمين بركة."

****

****

عثمان بن عفان رضي الله عنه

يكفيه فخـــرا جمعه للقـــرآن ، وزواجه من رقية وأم كلثـــوم أبنـــتي الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم.

ذكر كتاب (سيرة عثمان بن عفان شخصيته وعصره) للدكتور / علي محمد الصلابي بعض مناقبه فقال :

1- افتح له وبشِّره بالجنة على بلوى تصيبه:

عن أبي موسى قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم «افتح له، وبشره بالجنة» ففتحت له فإذا هو أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «افتح له وبشره بالجنة» ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي صلّى الله عليه وسلّم فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال لي: «افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه» فإذا هو عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فحمد الله، ثم قال: الله المستعان.

2- اسكن أحد فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان:

عن أنس قال: صعد النبي صلّى الله عليه وسلّم أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال:

- «اسكن أحد -أظنه ضربه برجله- فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان»

3- اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد:

عن أبي هريرة: أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان على حراء، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

-«اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»

4- حياء عثمان :

عن يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي صلّى الله عليه وسلّم وآله وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو مضطجع على فراشه لابسٌ مِرْط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك، فقضى إليه حاجته ثم انصرف، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال، فقضى إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس، وقال لعائشة: «اجمعي عليك ثيابك»، فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله، ما لي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

- «إن عثمان رجل حيي، وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إليَّ في حاجته»

5- استحياء الملائكة من عثمان:

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مضطجعا في بيتي كاشفا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسوى ثيابه. قال محمد -أحد رواة الحديث، ولا أقول ذلك في يوم واحد- فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتشَّ له ولم تُبَالِه، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال:

ـ"ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة"
6- أصدقها حياء عثمان:
عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:
ـ «أرحم أمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرأها لكتاب الله أبي، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».
وذكر الشيخ محمد رضا الأديب المصري في كتابه (عثمان بن عفان) بعض مناقبه فقال:
1 ـ اختصاصه بكتابة الوحي .
عن فاطمة بنت عبد الرحمن عن أمها أنها سألت عائشة وأرسلها عمها فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان فإن الناس قد شتموه فقالت: لعن اللَّه من لعنه، فواللَّه لقد كان عند نبي اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ وأن رسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وسلم ــ لمسند ظهره إليَّ، وأن جبريل ليوحي إليه القرآن، وأنه ليقول له: اكتب يا عثيم فما كان اللَّه لينزل تلك المنزلة إلا كريمًا على اللَّه ورسوله. أخرجه أحمد وأخرجه الحاكم وقال: (قالت: لعن اللَّه من لعنه، لا أحسبها قالت: إلا ثلاث مرات، لقد رأيت رسول اللَّه ــ صلى اللَّه عليه وسلم ــ وهو مسند فخذه إلى عثمان، وإني لأمسح العرق عن جبين رسول اللَّه ــ صلى اللَّه عليه وسلم ـ، وأن الوحي لينزل عليه وأنه ليقول: ـ "اكتب يا عثيم"
فواللَّه ما كان اللَّه لينزل عبدًا من نبيه تلك المنزلة إلا كان عليه كريمًا.
وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان رسول اللَّه ــ صلى اللَّه عليه وسلم ـ إذا جلس جلس أبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، وعثمان بين يديه، وكان كاتبَ سر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم .
2 ـ من كراماته .
[السيوطي، تاريخ الخلفاء ص 131].
عن نافع: أن جهجاهًا الغفاري تناول عصا عثمان وكسرها على ركبته فأخذته الأكلة [الأَكَلَة: الحكَّة] في رجله، وعن أبي قلابة، قال: كنت في رفقة بالشام سمعت صوت رجل يقول: يا ويلاه النار، وإذا رجل مقطوع اليدين والرجلين من الحقوين، أعمى العينين، منكبًا لوجهه، فسألته عن حاله فقال: إني قد كنت ممن دخل على عثمان الدار، فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها فقال: (ما لك قطع اللَّه يديك ورجليك وأعمى عينيك وأدخلك النار)، فأخذتني رعدة عظيمة وخرجت هاربًا فأصابني ما ترى ولم يبق من دعائه إلا النار، قال: فقلت له بعدًا لك وسحقًا، أخرجهما الملأ في سيرته، وعن مالك أنه قال: كان عثمان مرَّ بحش كوكب [حش كوكب: موقع إلى جانب بقيع الغرقد بالمدينة] فقال: إنه سيدفن هنا رجل صالح فكان أول من دفن فيه.
3 ـ تجهيزه جيش العسرة.

[السيوطي، تاريخ الخلفاء ص 121]
يقال لغزوة تبوك غزوة العُسرة، مأخوذة من قوله تعالى: (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) [التوبة: 117].
ندب رسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ الناس إلى الخــروج وأعلمهم المكـان الـذي يريد ليتـأهبوا لـذلك، وبعث إلى مكة وإلى قبائل العـرب يستنفرهم وأمر الناس بالصـدقة، وحثهم على النفقة والحملان، فجـاءوا بصدقات كثيرة، فكان أول من جاء أبو بكر الصـدِّيق ــ رضي اللَّه عنه ـ، فجـاء بماله كله 4000.40 درهم فقـال له ــ صـلى اللَّه عليه وسـلم ـ: (هل أبقيت لأهلك شـيئًا؟) قـال: أبقيت لهم اللَّه ورسـوله. وجـاء عمر ــ رضي اللَّه عنه ـ بنصف ماله فسـأله: (هل أبقيت لهم شـيئًا؟) [رواه ابن عساكر في تهـذيب تـاريخ دمشق (1 : 11).]. قـال: نعم، نصف مـالي. وجاء عبد الرحمن بن عوف ـ رضي اللَّه عنه ــ بمـائتي أوقيـة، وتصـدق عاصم بن عَدِيّ بسبعين وسقًا من تمر، وجهَّز عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ ثلث الجيش جهزهم بتسعمائة وخمسـين بعيرًا وبخمسـين فرسًـا. قـال ابن إســحاق: أنفق عثمــان ـــ رضي اللَّه عنه ـــ في ذلك الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها. وقيل: جاء عثمان ــ رضي اللَّه عنه ــ بـألف دينــار في كمه حين جهز جيش العُســرة فنثرها في حجر رســول اللَّه فقبلها في حجر وهو يقول: (ما ضـرَّ عثمـان ما عمل بعد اليـوم). وقـال رسول اللَّه:
ـ "من جهز جيش العُسرة فله الجنة"
[رواه البخـاري في كتـاب فضـائل الصـحابة، بـاب: منـاقب عثمـان بن عفان أبي عمر القرشي ـ رضي اللَّه عنه ـ].
4 ـ حفره بئر رومة .
[السيوطي، تاريخ الخلفاء ص 121]
واشترى بئر رومة من اليهود بعشـرين ألف درهم، وسـبلها للمسـلمين. كان رسول اللَّه قد قال:
ـ "من حفر بئر رومة فله الجنة" [تذكرة الحفاظ ج 1/ص 9] [ص 30].
وهذه البئر في عقيق المدينة: روي عن النبي ـ صلى اللَّه عليه وسلم ــ أنه قـال: (نعم القليب قليب المُـزَني)، وهي الـتي اشـتراها عثمـان بن عفان فتصدق بها. وروي عن موسى بن طلحة عن رسول اللَّه ــ صـلى اللَّه عليه وسلم ـ أنه قال: (نعم الحفير حفير المـزني) ــ يعـني رومة ـ، فلما ســمع عثمــان ذلك ابتــاع نصــفها بمائة بكــرة وتصــدق بها على المسلمين فجعل الناس يستقون منهـا. فلما رأى صـاحبها أنه امتنع منه ما كان يصيب منها باعها من عثمان بشيء يسير فتصدق بها كلها.
5 ـ علمه وقراءته القرآن.
رواه ابن حجر العسقلاني في تغليق التعليق (937)].
كان عثمان أعلم الصحابة بالمناسك، وبعده ابن عمر.

وكان يحيي الليل، فيختم القرآن في ركعة، قالت امرأة عثمان حين قتل: لقد قتلتموه وإنه ليحيي الليل كله بالقرآن في ركعة، وعن عطاء ابن أبي رباح: (إن عثمان بن عفان صلى بالناس، ثم قام خلف المقام، فجمع كتاب اللَّه في ركعة كانت وتره فسميت بالبتيراء)، وكان يضرب المثل به في التلاوة.

6ـ زيادته في المسجد النبوي .

[أوردها ابن كثير في عام 26 هـ، والطبري، تاريخ الأمم والملوك ج 2/ص 606: (في عام 29 هـ، وسَّع عثمان الحرم وبناه بالفضة ـ الكلس ـ)، وكما ذكر ابن كثير ذلك في البداية والنهاية في الجزء السابع، السيوطي تاريخ الخلفاء ص 124] (سنة 29 هـ/ 650 م):

كان المسجد النبوي على عهد رسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ مبنيًّا باللبن وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئًا وزاد فيه عمرًا وبناه على بنائه في عهد رسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ باللبن والجريد وأعاد عمده خشبًا، ثم غيَّره عثمان، فزاد فيه زيادة كبيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والفضة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج، وجعل أبوابه على ما كانت أيام عمر ستة أبواب.

وروى يحيى عن المطلب بن عبد اللَّه بن حنطب قال: لما ولي عثمان بن عفان سنة أربع وعشرين، كلَّمه الناس أن يزيد في مسجدهم، وشكوا إليه ضيقه يوم الجمعة، حتى إنهم ليصلون في الرحاب. فشاور فيه عثمان أهل الرأي من أصحاب رسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ، فأجمعوا على أن يهدمه [ص 31] ويزيد فيه، فصلَّى الظهر بالناس، ثم صعد المنبر فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثم قال: (أيها الناس إني أردت أن أهدم مسجد رسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ وأزيد فيه وأشهد أني سمعت رسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ يقول: (من بنى مسجدًا بنى اللَّه له بيتًا في الجنة) [رواه مسلم في كتاب المساجد، باب: 24، والترمذي في كتاب الصلاة، باب: 120، والبخاري في كتاب الصلاة، باب: من بنى مسجدًا، وابن ماجه في كتاب الإقامة، باب: من بنى مسجدًا، والدارمي في كتاب الصلاة، باب: من بنى مسجدًا، وأحمد في (م 1/ص 20)]، وقد كان لي فيه سلف، وإمام سبقني وتقدمني عمر بن الخطاب، كان قد زاد فيه وبناه، وقد شاورت أهل الرأي من أصحاب رسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ، فأجمعوا على هدمه وبنائه وتوسيعه)، فحسن الناس يومئذ ذلك ودعوا له، فأصبح، فدعا العمال وباشر ذلك بنفسه، وكان رجلًا يصوم الدهر ويصلي الليل، وكان لا يخرج من المسجد، وأمر بالفضة المنخولة تعمل ببطن نخل، وكان أول عمله في شهر ربيع الأول من سنة 29 هـ، وفرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة 30 فكان عمله عشرة أشهر.

وقد جعل عثمـان طـول المسـجد مائة وسـتين ذراعًا وعرضه مائة وخمسين.

7 ـ زيادته في المسجد الحرام.

الطـبري، تـاريخ الأمم والملـوك ج 2/ص 595، ابن الأثـير، الكامل في التاريخ ص 481، السيوطي، تاريخ الخلفاء 123، الذهبي، تاريخ الإسلام ج 3/ص 315.] (سنة 26 هـ/ 647 م): كان المسجد الحرام فناء حول الكعبة، وفناء للطائفين، ولم يكن له على عهد النـبي ــ صـلى اللّه عليه وسـلم ـ، وأبي بكر ــ رضي اللّه عنه ــ جـدار يحيط بـه، وكـانت الـدور محدقة به، وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية، فلما استخلف عمر بن الخطــاب ـــ رضي اللّه عنه ـ، وكــثر النــاس وسع المســجد واشـترى دورًا وهـدمها وزادها فيه واتخذ للمسـجد جـدارًا قصـيرًا دون القامة، وكانت المصابيح توضع عليه، وكان عمر ـ رضي اللّه عنه ـــ أول من اتخذ الجدار للمسجد الحرام.

فلما استخلف عثمان ـ رضي اللّه عنه ـ ابتـاع منـازل ووسـعه بها أيضًـا، وبنى المسجد الحرام، والأروقة، فكـان عثمـان ــ رضي اللّه عنه ــ أول من اتخذ للمسجد الأروقة [ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج 3/ص 43]. وكانت كسوة الكعبة في الجاهلية الأنطاع [الأنطاع: بُسط من الأديم أي الجلد] والمغافر، فكساها رسـول اللّه الثيـاب اليمانيـة، ثم كسـاها عمر وعثمــان القُبــاطي [القُبــاطي: ثيــاب من كتــان نُسـجت في مصـر. [القاموس المحيط، مادة: قبط].

8 ـ تحويل الساحل من الشعيبة إلى جدة .

في سـنة 26 هــ كلّم أهل مكة عثمــان ـــ رضي اللّه عنه ـــ أن يحــول الساحل من الشُعَيْبة، وهي ساحل مكة قديمًا في الجاهلية إلى سـاحلها اليوم وهي جُدَّة لقربها من مكة. فخرج عثمان إلى جدة ورأى موضعها، وأمر بتحويل السـاحل إليها ودخل البحر [ص 33] واغتسل فيه وقــال: إنه مبارك، وقـال لمن معـه: ادخلـوا البحر للاغتسـال، ولا يـدخل أحد إلا بمئزر، ثم خرج من جدة على طريق عسفان إلى المدينة، وترك الناس ساحل الشـعيبة في ذلك الزمـان واسـتمرت جـدة بنـدرًا إلى الآن لمكة المشرفة.

9 ـ أكل عثمان الليَّن من الطعام.

عن عمرو بن أمية الضُمري، قال: إن قريشًا كـان من أسن منهم مولعًا بأكل الخزيرة [الخزيرة: اللحم البائت يقطّع صغارًا في القـدر، ثم يطبخ بالمــاء الكثــير، والملح فــإذا أميت طبخًا ذُرَّ عليه الــدقيق فعصد بــه. [القاموس المحيط، مـادة: خـزر]، وإني كنت أتعشى مع عثمـان خزيـرًا من طِبْخ من أجـــود ما رأيت قـــط، فيها بطـــون الغنم وأدمها اللبن والسمن، فقال عثمان: كيف ترى الطعـام؟ فقلت: هـذا أطيب ما أكلت قـط، فقـال: يـرحم اللّه ابن الخطـاب، أكلتَ معه هـذه الخزيـرة قط ؟ قلت: نعم، فكــادت اللقمة تفــرث [تفــرث: أي تتفتت. [القـــاموس

المحيـط، مـادة: فـرث] بين يـدي حين أهـوي بها إلى فمي وليس فيها لحم، وكان أدمها السمن، ولا لبن فيها، فقال عثمان: صدقت، إن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ أتعب واللَّه من تبع أثره، وأنه كان يطلب بثنيه عن هذه الأمور ظَلَفًا [الظلف: الشدة والغلظ في المعيشة. [القاموس المحيط، مـادة: ظلـف]. أما واللَّه ما أكله من مـال المسـلمين ولكـني أكله من مالي، أنت تعلم أني كنت أكثر قـريش مـالاً وأجـدَّهم في التجـارة، ولم أزل آكل من الطعـام ما لان منه وقد بلغت سـنًّا، فـأحب الطعـام إليَّ ألينه ولا أعلم لأحد عليَّ في ذلك تبعة.

وعن عبد اللَّه بن عامر قال: كنت أفطر مع عثمـان في شـهر رمضـان، فكان يأتينا بطعام هو ألين من طعام عمر، قد رأيت على مائدة عثمـان الـدَّرَمك [الـدَّرَمَك: هو دقيق الحـواري، وهو تحريف الـدرمق] وصـغار الضأن كل ليلة وما رأيت عمر قط أكل من الدقيق منخولاً، ولا أكل من الغنم إلا مسانَّها. فقلت لعثمـان في ذلـك، فقـال: يـرحم اللَّه عمر ومن يطيق ما كان عمر يطيق!.

10ـ كرمه ـ رضي اللَّه عنه.

كان لعثمان على طلحة خمسون ألفًا، فخرج عثمـان يومًا إلى المسـجد فقال له طلحـة: قد تهيأ مالك فاقبضـه. قـال: هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك.

وأخــرج أبو نعيم في الحلية عن عبد الـرحمن ابن مهـدي يقـول: كـان لعثمـان رضي الله عنه شـيئان ليس لأبي بكر ولا عمر رضي الله عنهما مثلهمـا: صــبره على نفسه حــتى قُتل مظلومــاً، وجمعه النــاس على المصحف.

****

****

على بن أبي طالب رضي الله عنه

جاء في كتاب (سيرة الإمام الشهيد أمير المؤمنين للشـيخ عبـدالرحمن السحيم)

أن الإمام على كان:

أول الصبيان إسلاماً .

أسلم وهو صبي ، وقُتِل في الإسلام وهو كهل .

من أقرب العشرة المبشرين بالجنة ،فهو ابن عم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنهما .

قال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه يوم غدير خم :

ـ "ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قـالوا : بلى . قـال : اللهم من كنت مولاه فعليّ مولاه . اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاد ."
رواه الإمام أحمد وغيره .
وروى الإمـام مسـلم في فضـائل علي رضي الله عنه قوله رضي الله عنه : والذي فلق الحبة ، وبرأ النَّسَـمَة إنه لعهد النـبي الأمي صـلى الله عليه وسلم إليّ أن لا يحبني إلا مؤمن ، ولا يبغضني إلا منافق .
وروى عن سـعد بن أبي وقـاص رضي الله عنه أنه قـال في حق عليّ رضي الله عنه : ما ذكـرت ثلاثا قـالهن له رسـول الله صـلى الله عليه وسلم فلن أسبّه ؛ لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم . سـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقـول له ، خَلّفه في بعض مغازيه فقال له عليّ : يا رسـول الله خلفتـني مع النسـاء والصـبيان ؟! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ـ أما ترضى أن تكـون مـني بمنزلة هـارون من موسى ، إلا انه لا نبـوة بعـدي ؟ وسـمعته يقـول يـوم خيـبر : لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسـوله ، ويحبه الله ورسـوله . قـال : فتطاولنا لها فقـال : ادعـوا لي علياً . فأُتي به أرمد ، فبصق في عينه ودفع الراية إليه ، ففتح الله عليه . ولما نزلت هذه الآية : (فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَـاءكُمْ) دعا رسـول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ، فقال : "اللهم هؤلاء أهلي"
روى عليّ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً .
شهد المشاهد مع رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم إلا غـزوة تبـوك ، فقال له بسـبب تـأخيره له بالمدينة :" ألا ترضى أن تكـون مـني بمنزلة هارون من موسى ،إلا أنه لا نبي بعدي "
وجاء في كتاب(الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن حجر)
أخرج الترمذي بإسناد قـوي عن عمـران بن حصـين في قصة قـال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
ـ" ما تريـدون من علي إن عليا مـني وأنا من علي وهو ولي كل مـؤمن بعدي."
وفي مسند أحمد بسند جيد عن علي قال قيل يا رسول الله من تؤمر بعدك قال:
ـ" إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينا زاهدا في الـدنيا راغبا في الآخـرة وإن تـؤمروا عمر تجـدوه قويا أمينا لا يخـاف في الله لومة لائم وإن تـؤمروا عليا وما أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم"

****

وفي كتابي (تاريخ الإسلام للـذهبي ، والريـاض النضـرة **لأبو جعفر أحمد بن عبدالله الطبري)**

جاء ما يلي عن طلحة والزبير:

الزبير بن العوام رضي الله عنه

هو حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، شهد بدراً والمشاهد كلها، أسلم وهو ابن ست عشرة سنة، وكان من السابقين إلى الإسلام. وهو أول من سل سيفه في سبيل الله.

وعن عروة - وهو في الصحيح - أن عائشة قالت: يابن أختي كـان أبي - تعني أبا بكر- والزبير من الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح.

وقال عروة: كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف، إحداهن في عاتقه، إن كنت لأدخل أصابعي فيها، ضرب اثنتين يوم بدر، وواحدة يوم اليرموك.

وقال عروة: قال عمر بن الخطاب: لو عهدت أو تركت تركة، كان أحبهم إلي الزبير، إنه ركن من أركان الدين.

****

****

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

قال الصلت بن دينار، عن أبي نضرة، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجليه فلينظر إلى طلحة".

وعن عائشة، وأم إسحاق ابنتي طلحة قالتا: جرح أبونا يوم أحد أربعاً وعشرين جراحة، وقع منها رأسه شجة، وقطع نساه وشلت أصابعه.

وعن معاوية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "طلحة ممن قضى نحبه" رواه الطيالسي في "مسنده"

وعن علي: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "طلحة والزبير جاراي في الجنة".

رواه الترمذي.

وقال أبو إسماعيل الترمذي: ثنا سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة التيمي، حدثني أبي، عن جدي، عن موسى بن طلحة، أن أباه أتاه مال من حضرموت سبعمائة ألف، فبات ليلته يتململ، فقالت له زوجته: مالك؟ فقال: تفكرت فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته، قالت: فأين أنت عن بعض اخلائك، فإذا أصبحت فاقسمها، فقال: إنك موفقة -وهي أم كلثوم بنت الصديق-

فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى علي منهـا، وأعطى زوجته ما فضل، فكان نحو ألف درهم.
وقـال الإمـام علي رضي الله عنه في حق طلحة والزبـير رضي الله عنهم جميعا وأرضاهم كما جاء في كتاب تاريخ الاسلام الذهبي:
قال أبو بكر الهذلي: قال علي رضي الله عنه يوم الجمـل: أتـدرون من حاربت، حاربت أمجد الناس، وأنجد الناس - يعـني عبد الله بن عـامر -، وأشجع الناس، - يعني الزبير -، وأدهى الناس، يعني طلحة.
وقال ليث، عن طلحة بن مصرف، إن علياً انتهى إلى طلحة وقد مـات، فـنزل وأجلسـه، ومسح الغبـار، عن وجهه ولحيتـه، وهو يـترحم عليه ويقول: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة.
وروى هشـام بن عـروة، عن أبيه قـال: قـال الزبـير: إن طلحة يسـمي أولاده بأسـماء الشـهداء لعلهم يستشـهدون: عبد الله بعبد الله بن جحش، والمنذر بالمنذر بن عمرو، وعـروة بعـروة بن مسـعود، وحمـزة بحمـزة، وجعفر بجعفر بن أبي طـالب، ومصـعب بمصـعب بن عمـير، وعبيـدة بعبيـدة بن الحـارث، وخالد بخالد بن سـعيد، وعمـرو بعمـرو بن سعيد بن العاص قتل باليرموك.

****

****

معاوية رضي الله

وتلك بعض فضائله :
جاء في كتاب (رد البهتان عن معاوية بن أبي سفيان) للشيخ الجليل أبو عبد الله الذهبي:
1 ـ روى الترمـذي في فضـائل معاوية أنه لما تـولى أمر النـاس كـانت نفوسهم لا تزال مشتعلة عليه ، فقالوا كيف يتولى معاوية و في النـاس من هو خير مثل الحسن و الحسين . قال عمـير و هو أحد الصـحابة : لا تذكروه إلا بخير فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول : (اللهم اجعله هادياً مهدياً و اهد به)
رواه الإمام أحمد في المسند (4/216) و صححه الألبـاني في صـحيح سنن الترمـذي (3/236)ـ ، و زاد الإمـام الآجـري في كتابه الشـريعة (5/2436-2437) لفظة : (ولا تعذبه)
2 ـ أخرج الإمام أحمد ، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعونا إلى السحور في شهر رمضان ، قال
ـ " هلموا إلى الغداء المبارك "ثم سمعته يقول :
ـ " اللهم علم معاوية الكتـاب والحسـاب وقه العـذاب " . فضـائل الصحابة (2/913) إسناده حسن لغيره .

3 ـ روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس قـال : كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وسـلم فتـواريت خلف بـاب ، فجاء فحطأني حطأة وقال :
(اذهب وادع لي معاوية ، قال : فجئت فقلت هو يأكل ، قـال : ثم قـال لي : اذهب فـادع لي معاوية ، قـال : فجئت فقلت : هو يأكل ، فقـال : "لا اشبع الله بطنه "
قـال الحافظ الـذهبي في التـذكرة (2/699) : لعل هـذه منقبة لمعاوية لقول النبي صلى الله عليه وسلم :
ـ " اللهم من لعنته أو شتمته فاجعل ذلك له زكاة و رحمة"
4 ـ وقد كـان لمعاوية رضي الله عنه شـرف قيـادة أول حملة بحرية ، وهي الـتي شـبهها رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم بـالملوك على الأسرة .
أخــرج البخــاري رحمه الله في صــحيحه من طريق أنس بن مالك عن خالته أم حرام بنت ملحان قالت : نام النبي صلى الله عليه وسلم يوماً قريباً مني ، ثم استيقظ يبتسم ، فقلت : ما أضحكك ؟ قال :
ـ" أناس من أمتي عرضـوا عليّ يركبـون هـذا البحر الأخضر كـالملوك على الأسرة "
قالت : فادع الله أن يجعلني منهم ، فـدعا لها ، ثم نـام الثانية ، ففعل مثلها ، فقالت قولها ، فأجابها مثلها ، فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال :
ـ " أنت من الأولين "
فخرجت مع زوجها عبادة بن الصـامت غازيـاً أول ما ركب المسـلمون البحر مع معاوية ، فلما انصرفوا من غزوتهم قـافلين ، فـنزلوا الشـام ، فَقُرِّبت إليها دابة لتركبها ، فصرعتها فمـاتت . البخـاري مع الفتح (6 / 22) وأخرج البخاري أيضـاً من طريق أم حـرام بنت ملحـان رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
ـ " أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا"
قالت أم حرام : قلت : يا رسول الله أنا فيهم ؟
قال : "أنت فيهم " . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم :
ـ " أول جيش من أمـتي يغـزون مدينة قيصر – أي القسـطنطينية – مغفور لهم"
فقلت : أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال : " لا " . البخاري مع الفتح (6 / 22) . ومسلم (13 / 57) .
ومعنى أوجبـوا :أي فعلـوا فعلاً وجبت لهم به الجنـة. قاله ابن حجر في الفتح (6 / 121)
في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر . انظر الفتح (6 / 120) .

5 ـ قال الخلال : أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال : قلت لأحمد بن حنبل : أليس قال النبي صلى الله عليه وسلم : " كل صهر ونسب ينقطع إلا صهري ونسبي "؟ قال : بلى ، قلت : وهذه لمعاوية ؟ قال : نعم ، له صهر ونسب ، قال : وسمعت ابن حنبل يقول : مالهم ولمعاوية ، نسأل الله العافية .
6 ـ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا تذكروا معاوية إلا بخير . البداية والنهاية لابن كثير.
7 ـ وعن علي رضي الله عنه أنه قال بعد رجوعه من صفين : أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية ، فإنكم لو فقدتموها ، رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنها الحنظل . ابن كثير في البداية (8 / 134
8 ـ وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أنه قال : لله در ابن هند – يعني معاوية رضي الله عنه – إنا كنا لَنَفْرَقه – من الفَرَق : وهو الخوف والفزع – وما الليث على براثنه بأجرأ منه ، فيتفارق لنا ، وإن كنا لنخادعه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه ، فيتخادع لنا ، والله لوددت أنا مُتعنا به مادام في هذا الجبل حَجَر ، وأشار إلى أبي قبيس . أورده ابن كثير في البداية (8 / 138) .
9 ـ وحين سئل عبد الله بن المبارك ، أيهما أفضل : معاوية بن أبي سفيان ، أم عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : و الله إن الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عمر بألف مرة ، صلى معاوية خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : سمع الله لمن حمده ، فقال معاوية : ربنا ولك الحمد . فما بعد هذا ؟ . وفيات الأعيان ، لابن خلكان (3 /33) ، و بلفظ قريب منه عند الآجري في كتابه الشريعة (5/2466) .
و قد قال عبد الله بن المبارك رحمه الله أيضا: معاوية عندنا محنة ، فمن رأيناه ينظر إليه شزراً اتهمناه على القوم ، يعني الصحابة . انظر البداية والنهاية لابن كثير (8/139) .
10 ـ و أخرج الآجري بسنده إلى الجراح الموصلي قال : سمعت رجلاً يسأل المعافى بن عمران فقال : يا أبا مسعود ؛ أين عمر بن عبد العزيز من معاوية بن أبي سفيان ؟! فرأيته غضب غضباً شديداً و قال : لا يقاس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحد ، معاوية رضي الله عنه كاتبه و صاحبه و صهره و أمينه على وحيه عز وجل . كتاب الشريعة للآجري (2466/5-2467) شرح السنة لللالكائي ، برقم (2785) . بسند صحيح .
11 ـ وقد سئل رجل الإمام أحمد عن خال له ينتقص معاوية رضي الله عنه ، وأنه – أي الرجل – ربما أكل مع خاله ، فقال له الإمام أحمد مبادراً : لا تأكل معه . السنة للخلال (2/ 448) .

12 ـ وقـال الربيع بن نـافع الحلـبي (ت 241هــ) رحمه الله : معاوية ستر لأصحاب محمد صلى الله عليه وسـلم ، فـإذا كشف الرجل السـتر اجترأ على ما وراءه . البداية والنهاية (8/139) .
وقـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية : واتفق العلمـاء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة ، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة ، وهو أول الملـوك ، كان ملكه ملكاً ورحمة . مجموع الفتاوى (4 / 478)
****

عمرو بن العاص رضي الله

عمرو بن العاص رضي الله عنه وتلك بعض مناقبه:
جاء الآتي في كتاب (رجال حول الرسول للمرحوم خالد محمد خالد) :
في خلافة عمر أبلى بلاءه المشـهود في حـروب الشـام، ثم في تحرير مصر من حكم الرومان.
روي أن أمـير المؤمـنين عمر بن الخطـاب رآه ذات يـوم مقبلا، فابتسم لمشيته وقال:
" ما ينبغي لأبي عبدالله أن يمشي على الأرض الا أميرا"..!
وكان عمرو رضي الله عنه حادّ الذكاء، قوي البديهة عميق الرؤية..
حـتى لقد كـان أمـير المؤمـنين عمر رضي الله عنـه، كلما رأى انسـانا عاجز الحيلة، صكّ كفيّه عجبا وقال:
" سبحان الله..!!
ان خالق هذا، وخالق عمرو بن العاص اله واحد!!
ولقد كام أمير المؤمنين عمر يعـرف مواهبه هـذه ويقـدرها قـدرها، من أجل ذلك عنـدما أرسـله الى الشـام قبل مجيئه الى مصـر، قيل لأمـير المؤمنين: ان على رأس جيوش الروم بالشام أرطبونا أي قائـدا وأمـيرا من الشجعان الدهاة، فكان جواب عمر:
" لقد رمينا أرطبــون الــروم، بــأرطبون العــرب، فلننظر عمّ تنفــرج الأمور"..!!
ولقد انفـرجت عن غلبة سـاحقة لأرطبـون العـرب، وداهيتهم الخطـير عمرو ابن العاص، على أرطبون الروم الـذي تـرك جيشه للهزيمة وولى هاربا الى مصر، التي سيلحقه بها عمرو بعد قليـل، لـيرفع فـوق ربوعها الآمنة راية الاسلام.
واذا اردنا أن نشهد صورة لدهائه، وحـذق بديهتـه، ففي موقفه من قائد حصن بــابليون أثنــاء حربه مع الرومــان في مصر وفي رواية تاريخية أخـرى أنها الواقعة الـتي سـنذكرها وقعت في الـيرموك مع أرطبـون الروم..
اذ دعاه الأرطبـون والقائد ليحادثـه، وكـان قد أعطى أمـرا لبعض رجاله بالقاء صخرة فوقه اثر انصـرافه من الحصـن، وأعـدّ كل شـيء ليكـون قتل عمرو أمرا محتوما..

ودخل عمرو على القائد، لا يريبه شيء، وانفض لقاؤهمـا، وبينما هو في الطريق الى خارج الحصن، لمح فـوق أسـواره حركة مريبة حـركت فيه حاسة الحذر بشدّة.
وعلى الفور تصرّف بشكل باهر.
لقد عـاد الى قائد الحصن في خطـوات آمنة مطمئنة وئيـدة ومشـاعر متهللة واثقة، كأن لم يفرّعه شيء قط، ولم يثر شكوكه أمر!!
ودخل على القائد وقال له:
لقد بادرني خاطر أردت أن أطلعك عليـه.. ان معي حيث يقيم أصـحابي جماعة من أصـحاب الرسـول السـابقين الى الاسـلام، لا يقطع أمـير المؤمـنين أمـرا دونمشـورتهم، ولا يرسل جيشا من جيـوش الاسـلام الا جعلهم على رأس مقاتلته وجنـــــوده، وقد رأيت أن آتيك بهم، حـــــتى يسمعوا منك مثل الذي سمعت، ويكونوا من الأمر على مثل ما أنا عليه من بيّنة..
وأدرك قائد الروم أن عمرا بسذاجة قد منحه فرصة العمر..!!
فليوافقه اذن على رأيـه، حـتى اذا عـاد ومعه هـذا العـدد من زعمـاء المسـلمين وخـيرة رجـالهم وقـوادهم، أجهز عليهم جميعـا، بـدلا من أن يجهز على عمرو وحده..
وبطريقة غـير منظـورة أعطى أمـره بارجـاء الخطة الـتي كـانت معـدّة لاغتيال عمرو..
ودّع عمرو بحفاوة، وصافحه بحرارة،
وابتسم داهية العرب، وهو يغادر الحصن..
وفي الصباح عاد عمرو على رأس جيشه الى الحصن، ممتطيا صهوة فرسه، التي راحت تقهقه في صهيل شامت وساخر.
وفي السنة الثالثة والأربعين من الهجرة أدركت الوفاة عمرو بن العاص بمصر، حيث كان واليا عليها..
وراح يستعرض حياته في لحظات الرحيل فقال:
".. كنت أول أمري كافرا.. وكنت أشد الناس على رسول الله، فلو مت يومئذ لوجبت لي النار..
ثم بايعت رسول الله، فما كان في النـاس أحد أحب اليّ منـه، ولا أجـلّ في عيني منه.. ولو سئلت أن أنعته ما استطعت، لأني لم أكن أقـدر أن أملأ عيــني منه اجلالا لـــه.. فلو متّ يومئذ لرجــوت أن أكــون من أهل الجنة..
ثم بليت بعد ذلك بالســلطان، وبأشــياء لاأدري أهي لي أم عليّ".. ثم رفع بصره الى السماء في ضراعة، مناجيا ربه الرحيم العظيم قائلا:
" اللهم لا بريء فأعتذر، ولا عزيز فأنتصر،
والا تدركني رحمتك أكن من الهالكين"!!
وظل في ضراعاته، وابتهالاته حتى صعدت الى الله روحـه. وكـانت آخر كلماته لا اله الا الله..

وكتب عنه العقـاد كتابه (عمـرو بن العـاص) وتحـدث فيه عن عبقريته ودهائه وبعض صفاته فأورد ما يلي ضمن ماذكره :
" وظل الرجل يسائل نفسه عن حفاوة النـبي به طـوال حياته ، فـروى الحسن البصري أن بعضـهم سـأل عمـرا، أرأيت رجلا مـات رسـول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحبه ، أليس رجلا صالحا؟ قال : بلى . فقـال محدثه : لقد مـات رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وهو يحبك وقد استعملك قال فوالله ما أدري أحبا كان لي منه أو استعانة بي ؟؟!"
ونقول نحن إن أملاً ورجـاءاً كانا يعتملان في عقله وقلبه ورغبة حـارة حملته كلماته الحائرة في أن يكون بالفعل أهلا لحب الحبيب المصطفي صلى الله عليه وسلم وثقته.
وفي موضع آخر يـبين عمـرو بن العـاص عن حميته للـدين ورغبته في انتصار الإسلام ورفع رايته متخطيا أسوار الدم والنسب ، يقول العقاد :
"اشترك عمرو وأخـوه هشـام في حـرب الشـام . وأخـوه هـذا من علم النــاس في الصــلاح وصـــدق البلاء ، فـــإذا ثلمة في الطريق يتخطف المـدافعون من يهجم عليها بالسـيوف ، فهابها العـرب وأحجمـوا عنها ، وطال ترددهم لديها، فإذا هشام يقـدم عليها وهو ينـادي في الجيش : يا معشر المسـلمين إلّيّ إليّ !أنا هشـام بن العـاص ! أمن الجنة تفـرون؟ ومازال يتقدم حتى خرّ قتيلاً متعرضا في تلك الثلمة المرهوبة.
فلما انتهى المسلمون إليها هـابوا أن يدوسـوه كرامة له ولأخيه ، فكـان عمرو أول من تقدم فداسه وهو يصيح بجنده : وإنما هي جثة، ثم وطـأه وتبعه الناس ، حتى تقطع وهو مشغول عنه بما هو أجدى وأعظم ، وبعد الهزيمة عــاد إليه وجعل يحمل لحمه وأعضــاءه وعظامه بيديه ثم حمله في نطع فواراه ..!
وعن دهائه قال العقاد :
1 ـ " أحصى العــرب دهــاتهم في الإســلام ، فعــدوا أربعة هو منهم ، وجعلوا لكل منهم مزية يمتـاز بها في دهائه فقـالوا :إن معاوية للروية ، وعمرو بن العـاص للبديهة ، والمغـيرة للمعضـلات ، وزيـاد لكل صـغيرة وكبيرة "
2 ـ " خرج يعس بالليل وهو أمير على مصر ، فسـمع أناسا يقعـون فيه ويتوعدونه ، وعلم أنه لو تــركهم إلى غـــده لم يعــرفهم ولم يظفر بهم جميعا فأقبل عليهم إقبـــال الخـــائف الطريد ، وأوهمهم أنه يلـــوذ بهم ويضـــرع إليهم ألا يســـلموه إلى الأمـــير لأنه يتعقبه ويمعن في طلبه ، فاستبقوا في تقييده وساقوه إلى باب القصر لا يتخلف أحد منهم طمعا في المثوبة . فأوصلهم إلى حيث أراد.
3 ـ قتل الـروم رجلا من المسـلمين حـول الأسـكندرية ، واحـتزوا رأسه وانطلقوا به إلى داخل الحصن ، فأقسم أبناء قبيلته لا يدفن إلا برأسه . قال عمرو : تنغضبون كأنكم تنغضبون على من يبالي بغضبكم ! احملـوا على القــوم إذا خرجــوا فــاقتلوا منهم رجلا ، ثم ارمــوا برأسه يرمــوكم

برأس صاحبكم . فلما فعلوا إذا برأس صاحبهم يسقط عليهم ، فقال : دونكم الآن فادفنوه برأسه .
وأورد العقاد قول مجالد عن الشعبي عن قبيصة عن جابر في رواية النجوم الزاهرة في وصفه لعمرو فقال :" وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت أنصع ظرفا منه ، ولا أكرم جليسا ، ولا أشبه سريرة بعلانية منه "

****
****

الإمامان الحسن والحسين رضي الله عنهما

أبنا الإمام علي وفاطمة الزهراء ابنة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم فهما من أصحاب الكساء .
ما رواه أحمد بإسناده إلى يعلي العامري رضي الله عنه أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني إلى طعام دعوا له قال : فاستمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام القوم ، وحسين مع غلمان يلعب ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذه فطفق الصبي يفر هنا مرة وهاهنا مرة ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه قال : فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه ووضع فاه وقبله وقال : حسين مني وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط.
وقد ثبت فى الحديث أنه عليه السلام بينما هو يخطب رأى الحسن والحسين مقبلين فنزل إليهما فاحتضنهما وأخذهما معه إلى المنبر وقال :
ـ" صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة" .
عن أنس قال: كان الحسن بن على أشبههم وجها برسول الله صلى الله عليه وسلم.
عن أسامة بن زيد قال :
كان النبى ص يأخذنى فيقعدنى على فخده ويقعد الحسن على فخده الأخرى ثم يضمنا ثم يقول:
ـ " اللهم ارحمهما فأنى ارحمهما"
عن البراء بن عازب قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم والحسن بن على عاتقه وهو يقول:
ـ " اللهم إنى أحبه فأحبه"
ورد عن عائشة وأم سلمة أمى المؤمنين أن رسول الله اشتمل على الحسن والحسين وأمهما وأبيهما فقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)
وقال أبو القاسم البغوى :

جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله فجاء أحدهما قبل الآخر فجعل يده تحت رقبته ثم ضمه إلى إبطه ثم جـاء الآخر فجعل يـده إلى الأخرى فى رقبته ثم ضمه إلى إبطه وقبل هذا ثم قبل هذا ثم قال :

ـ "اللهم إنى أحبهما فأحبهما "

ثم قال :

ـ " أيها الناس إن الولد مبخلة مجبنة مجهلة"

عن ابن عبـاس قـال خـرج رسـول الله وهو حامل الحسن على عاتقه فقـال له رجل يا غلام نعم المـركب ركبت فقـال رسـول الله : "ونعم الراكب هو"

وكان على يكرم الحسن إكراما زائدا ويعظمه ويبجله وقد قال له يوما :

ـ يا بنى ألا تخطب حتى أسمعك ..!

فقال :

ـ إنى أستحى أن أخطب وأنا أراك .

فـذهب على فجلس حيث لا يـراه الحسن ثم قـام الحسن فى النـاس خطيبا وعلى يسمع فـأدى خطبة بليغة فصـيحة فلما انصـرف جعل على يقول:

ـ " ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ".

و قالوا وقاسم الله ماله ثلاث مرات وخرج من ماله مـرتين وحج خمسا وعشرين مرة ماشيا.

كـان الحسن من الكـرم على جـانب عظيم ويـروى أنه سـمع رجلا إلى جانبه يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم فقـام إلى منزله فبعث بها إليه .

وذكـروا أن الحسن رأى غلاما أسـود يأكل من رغيف لقمة ويطعم كلبا هناك لقمة فقال له:

ـ ما حملك على هذا ؟

فقال :

ـ إنى أستحى منه أن آكل ولا أطعمه.

فقال له الحسن:

ـ لا تبرح من مكانك حتى آتيك .

فذهب إلى سيده فاشتراه واشترى الحائط الـذى هو فيه فأعتقه وملكه الحائط فقال الغلام بعد أن تصدق بالحائط :

ـ وهبت الحائط لمن وهبتني له.

هـذه هي الشخصـيات الرائعة الـتي وضـعت للإسـلام بنيته الأساسـية ، وانتصـرت له محليا ، ثم رفعت لـواءه شـرقا وغربا حـتى دقت أبـواب الهند والسـند وتعـدت سـور الصـين العظيم ، وعلمت أوربا الحضـارة ومبادئ حقوق الإنسان التي يتشدقون بها الآن هم وأذنابهم .

****

قالوا عن الفتنة

إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الفتنة التي سيقتل فيها عثمان.

أولاً : جاء في كتاب(سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه شخصيته وعصره) للدكتور / علي محمد الصلابي غفر الله له ولوالديه ما يلي :

1 ـ - من نجا من ثلاث فقد نجا:

عن عبد الله بن حوالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

ـ «من نجا من ثلاث فقد نجا -ثلاث مرات-: موتى، والدجال، وقتل خليفة مصطبر بالحق معطيه».

ومعلوم أن الخليفة الذي قتل مصطبرا بالحق هو عثمان، فالقرائن تدل على أن الخليفة المقصود بهذا الحديث هو عثمان بن عفان . وفي الحديث -والله أعلم- لفتة عظيمة إلى أهمية السلامة من الخوض في هذه الفتنة حسيًّا ومعنويًا، أما حسيًا فذلك يكون في الفتنة من تحريض وتأليب وقتل وغير ذلك، وأما معنويًا فيعد الفتنة من خوض فيها بالباطل، وكلام فيها بغير حق، وبهذا يكون الحديث عاما للأمة، وليس خاصا بمن أدرك الفتنة.

2- يقتل فيها هذا المقنع يومئذ:

عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة، فمر رجل فقال:

ـ «يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوما»

قال: فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان .

3- هذا يومئذ على الهدى:

عن كعب بن عجرة قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقربها، فمر رجل مقنع رأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ـ "هذا يومئذ على الهدى."

فوثبت فأخذت بضبعي عثمان، ثم استقبلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: هذا؟ قال: "هذا"

4- تهيج فتنة كالصياصي، فهذا ومن معه على الحق:

عن مرة البهزي قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بهز -من رواة الحديث-: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ـ " تهيج فتنة كالصياصى، فهذا ومن معه على الحق"

قال: فذهبت فأخذت بمجامع ثوبه، فإذا هو عثمان بن عفان

5- هذا يومئذ وأصحابه على الحق والهدى:

عن أبي الأشعث قال: قامت خطباء بإيلياء في إمارة معاوية ، فتكلموا وكان آخر من تكلم مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قمت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة فقربها، فمر رجل مقنع فقال:

ـ «هذا يومئذ وأصحابه على الحق والهدى»
فقلت: هذا يا رسول الله؟ وأقبلت بوجهه إليه فقال: «هـذا»، فـإذا هو عثمان.
6- عليكم بالأمين وأصحابه:
عن أبي حبيبة أنه دخل الـدار وعثمـان محصـور فيهـا، وأنه سـمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام، فأذن له، فقام فحمد الله وأثـنى عليه ثم قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
ـ «إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافا» أو قال «اختلافا وفتنة»
فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال:
ـ«عليكم بالأمين وأصحابه»
وهو يشير إلى عثمان بذلك.
7- فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه:
عن عبد الله بن عـامر، عن النعمـان بن بشـير عن عائشة قـالت: أرسل رسول الله صـلى الله عليه وسـلم إلى عثمـان بن عفـان، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأينا رسول الله صـلى الله عليه وسلم أقبلت إحدانا على الأخرى, فكـان آخر كلام كلَّمه أن ضـرب منكبه وقـال: «يا عثمـان، إن الله -عز وجـل- عسى أن يلبسك قميصـا، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حـتى تلقـاني. يا عثمـان، إن الله عسى أن يلبسك قميصـــا، فـــإن أرادك المنـــافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقـاني» ثلاثـا. فقلت لهـا: يا أم المؤمـنين، فـأين كـان هـذا عنـك؟ قـالت: نسـيته والله فما ذكرتـه. قـال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرضَ بالـذي أخبرته حـتى كتب إلى أم المؤمـنين أن اكتـبي إليَّ به، فكتبت إليه به كتابا.
8- إن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم عهد إليَّ عهـدا وإني صـابر نفسي عليه:
عن أبي سهلة، عن عائشة قالت: قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم: «ادعـوا لي بعض أصـحابي» قلت: أبو بكـر؟ قـال: «لا»، قلت: عثمان؟ قال: «نعم»، فلما جاء قال: «تنحَّ»، فجعل يساره, ولـون عثمـان يتغـير، فلما كـان يـوم الـدار وحصر قلنـا: يا أمـير المؤمنين، ألا تقاتل؟ قال: لا، إن رسول الله عهد إليَّ عهـدا وإني صابر نفسي عليه.

كتاب (العواصم من القواصم)

ثانيا : جاء في كتاب (العواصم من القواصم) تـأليف القاضي أبي بكر العـربي ، والـذي حققه وعلق على حواشـيه محب الـدين الخطيب ما يلي :
فأخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من الأمر حتى ينظر ويتحرى فيمن يقدم ، قدم عثمان ، فكان عند الظن به : ما خـالف له عهـداً ، ولا نكث عقداً ، ولا اقتحم مكروهاً ولا خالف سنة .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأن عمر شهيد ، وبأن عثمان شهيد ، وبأن له الجنة على بلوى تصيبه.
وهو وزوجه رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مهاجر بعد إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ، دخل به في باب " أول من . . . وهو علم كبير جمعه الناس .
ولما صحت إمامته قتل مظلوماً وليقضي الله أمراً كان مفعولاً . ما نصب حرباً ، ولا جيش عسكراًولا سعى إلى فتنة ، ولا دعا إلى بيعة. ولا حاربه ولا نازعه من هو من أضرابه ولا أشكاله ولا كان يرجوها لنفسه ، ولا خلاف أنه ليس لأحد أن يفعل ذلك في غير عثمان ، فكيف بعثمان رضي الله عنه ! .
وقد سموا من قام عليه ، فوجدناهم أهل أغراض سوء حيل بينهم وبينها فوعظوا وزجروا ، وأقاموا عند عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد ، وتوعدهم حتى تابو، فأرسل بهم إلى عثمان فتابوا وخيرهم فاختاروا التفرق في البلاد ، فأرسلهم : فلما سار كل إلى ما اختار أنشأوا الفتنة ، وألبوا الجماعة ، وجاءوا إليه بجملتهم.
فاطلع عليهم من حائط داره وذكرهم ، وورعهم عن دمه .
وخرج طلحة يبكي ويورع الناس ، وأرسل عليّ ولديه ، وقال الناس لهم: إنكم أرسلتم إلينا " أقبلوا إلى من غير سنة الله " ، فلما جئنا قعد هذا في بيته ـ يعنون علياً ــ وخرجت أنت تفيض عينيك ، والله لا برحنا حتى نريق دمه.
وهذا قهر عظيم ، وافتئات على الصحابة ، وكذب في وجوههم وبهت لهم ، ولو أراد عثمان لكان مستنصراً بالصحابة ، ولنصروه في لحظة وإنما جاء القوم مستجيرين متظلمين ، فوعظوهم ، فاستشاطوا فأراد الصحابة الهم فأوعزهم إليهم عثمان ألا يقاتل أحد بسببه أبداً ، فاستسلم ، وأسلموه برضاه .

كتاب (زاد الميعاد)

ثالثا : جاء في(زاد الميعاد)ابن قيم الجوزية مايلي :
والفتنة التى يوقعها بين أهل الإسلام، كالفتنة التى أوقعها بين أصحاب علىّ ومعاوية، وبين أهل الجمل وصفين، وبين المسلمين، حتى يتقاتلوا ويتهاجروا لون آخر، وهى الفتنة التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم: (سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، القَاعِدُ فيها خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، والقائِمُ فِيهَا خَيْرٌ منَ المَاشى، والماشى فيها خَيْرٌ من السَّاعِى) وأحاديثُ الفتنة التى أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيها باعتزال الطائفتين، هى هذه الفتنة.

كتــاب (من فضــائل وأخبــار معاوية بن أبي ســفيان رضي الله عنه)

رابعا : ذكر في كتاب (من فضائل وأخبـار معاوية بن أبي سـفيان رضي الله عنه) تأليف: محمد زياد بن عمر التكلةالآتي :
قـال ابن تيمية في المنهـاج (4/409-410): "إن الفتن إنما يُعـرف ما فيها من الشر إذا أدبـــرت، فأما إذا أقبلت فإنها تـــزين، ويظن أن فيها خـيرا..."، إلى أن قـال: "والـذين دخلـوا في الفتنة من الطـائفتين لم يعرفوا ما في القتـال من الشـر، ولا عرفـوا مـرارة الفتنة حـتى وقعت، وصارت عبرة لهم ولغيرهم".

كتاب (تاريخ الاسلام للذهبي)

خامسا : وجاء في كتاب (تاريخ الاسلام للذهبي) ما نصه :
قـال قتـادة، عن عبد الله بن شـقيق، عن مـرة البهـزي قـال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقـال: "تهيج فتنة كالصياصـي، فهـذا ومن معه على الحق".
قال: فذهبت وأخذت بمجامع ثوبه فإذا هو عثمان.
ورواه الأشعث الصنعاني، عن مـرة. ورواه محمد بن سـيرين، عن كعب ابن عجزة، وروي نحوه عن ابن عمر.
وروى أحمد في "مسنده" من حـديث مطـرف قـال: قلت للزبـير: يا أبا عبد الله ما شأنكم ضيعتم عثمان حتى قتـل، ثم جئتم تطلبـون بدمـه؟!
فقال الزبـير: إنا قرأناها على عهد رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، وأبي بكر، وعمر، وعثمـان: "واتقـوا فتنة لا تصـيبن الـذين ظلمـوا منكم خاصة"، لم نكن نحسب أنا أهلها، حتى وقعت منا حيث وقعت.
وقـال أبو جعفر محمد بن علي البـاقر: قـال علي: إني لأرجو أن أكـون أنا، وطلحة، والزبير من الـذين قـال الله: "ونزعنا ما في صـدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين".
وقال شريك، عن عثمان بن المغيرة، عن زيد بن وهب قال: جــاء رأس الخوارج إلى عليّ، فقال له: اتق الله فإنّك ميّت، فقال: لا والـذي رأس الخوارج إلى عليّ، فقال لـه: اتق الله فإنّك ميّت، فقـال: لا والـذي فلق الحبّة وبـرأ النّسـمة، ولكنّي مقتـول من ضـربة على هـذه تخضب هـذه وأشار بيده إلى لحيته عهد وقضاء مقضيّ، وقد خاب من افترى.

كتاب (أم المؤمنين عائشـة رضي الله عنها)

سادسا : ذكر في كتــاب (أم المؤمــنين عائشـة رضي الله عنها)لشــيخ الإسلام ابن تيمية جمع وتقديم وتحقيق محمد مال الله:
والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السـفهاء، فصـار الأكـابر رضي الله عنهم عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها. وهذا شأن الفتن

كما قال تعالى: { وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً } وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله.
أهل السنة عندهم أن أهل بدر كلهم في الجنة، وكذلك أمهات المؤمنين: عائشة وغيرها.. وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير هم سادات أهل الجنة بعد الأنبياء، وأهل السُّنة يقولون: إن أهل الجنة ليس من شرطهم سلامتهم عن الخطأ، بل ولا عن الذنب، بل يجوز أن يُذنب الرجل منهم ذنباً صغيراً أو كبيراً ويتوب منه. وهذا مُتّفق عليه بين المسلمين، ولو لم يتب منه فالصغائر مغفورة باجتناب الكبائر عند جماهيرهم، بل وعند الأكثرين منهم أن الكبائر قد تُمحى بالحسنات التي هي أعظم منها، وبالمصائب المُكفِّرة وغير ذلك.
وما يُذكر عن الصحابة من السيئات كثير منه كذب، وكثير منه كانوا مجتهدين فيه، ولكن لم يعرف كثير من الناس وجه اجتهادهم، وبما أنهم من أهل الجنة، فامتنع أن يفعلوا ما يُوجب النار لا محالة.
فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت لقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبيّن لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تَبلّ خِمارها.
وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعليّ رضي الله عنهم أجمعين، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في الاقتتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم، فإنه لما تراسل عليّ وطلحة والزبير، وقصدوا الاتفاق على المصلحة، وأنهم إذا تمكنوا طلبوا قتلة عثمان أهل الفتنة، وكان عليّ غير راضٍ بقتل عثمان ولا معيناً عليه، كما كان يحلف فيقول: والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله، وهو الصادق البار في يمينه، فخشي القتلة، فحملوا على عسكر طلحة والزبير، فظن طلحة والزبير أن علياً حمل عليهم، فحملوا دفعاً عن أنفسهم، فظن عليّ أنهم حملوا عليه، فحمل دفعاً عن نفسه، فوقعت الفتنة بغير اختيارهم، وعائشة رضي الله عنها راكبة: لا قاتلت، ولا أمرت بالقتال. هكذا ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار.
وإذا قال أحدهم أن الله تعالى يقول: { وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ } [النساء: 29] يتضمن نهي المؤمنين عن قتل بعضهم بعضاً ، وكذلك قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا"
وقوله صلّى الله عليه وسلّم: "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار" قيل: يا رسول الله: هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: "كان حريصاً على قتل صاحبه"
فلو قال قائل: إن علياً ومن قاتله قد التقيا بسيفيهما، وقد استحلُّوا دماء المسلمين، فيجب أن يلحقهم الوعيد.

لكان جوابه: إن الوعيد لا يتناول المجتهد المتأول وإن كان مخطئاً، فـإن الله تعالى يقول في دعاء المؤمنين:
{ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِــذْنَا إِن نَّسِــينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } [البقــرة: 286] قــال: "فقد فعلت". فقد عُفِيَ للمؤمـنين عن النسـيان والخطـأ، والمجتهد المخطئ مغفور له خطؤه، وإذا غُفِرَ خطأ هـؤلاء في قتـال المؤمـنين، فـالمغفرة لعائشة لكونها لم تقرَّ في بيتها أولى.
وأيضاً فلو قال قائل: إن النبي صلّى الله عليه وسلم قال :
ـ "لا يخـرج أحد من المدينة رغبة عنها إلاّ أبـدلها الله خـيراً منه". وكما جاء في الصحيحين عن زيد بن ثـابت عن النـبي صـلّى الله عليه وسـلّم قال:
ـ "إنها طيبة (يعـني المدينـة) وإنها تنفي الرجـال كما تنفي النـار خبث الحديد."
وفي لفظ:" تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة."
وقال: إن علياً خرج عنها ولم يقم بها كما أقام الخلفـاء قبلـه، ولهـذا لم تجتمع عليه الكلمة.
لكـان الجـواب: إن المجتهد إذا كـان دون عليّ لم يتناوله الوعيـد، فعليّ أولى أن لا يتناوله الوعيد لاجتهاده، وبهذا يُجاب عن خروج عائشة رضي الله عنها. وإذا كان المجتهد مخطئاً فالخطأ مغفور بالكتاب والسنة.
وأماالقول بإن عائشة كانت في كل وقت تأمر بقتل عثمان، وتقول في كل وقت: اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً، ولما بلغها قتله فرحت بذلك.
فيقال:
أولاً: أين النقل الثابت عن عائشة بذلك؟
ثانياً: المنقول الثابت عنها يُكذِّب ذلـك، ويُـبيّن أنها أنكـرت قتلـه، وذمَّت من قتله، ودعت على أخيها محمد وغيره لمشاركته في ذلك.
ثالثاً: هب أن أحداً من الصحابة – عائشة أو غيرها – قــال في ذلك على وجه الغضـب، لإنكـاره بعض ما يُنكـر، فليس قوله حجـة، ولا يقـدح ذلك في إيمان القائل ولا المقول له، بل قد يكون كلاهما ولياً لله تعـالى من أهل الجنة، ويظن أحدهما جواز قتل الآخر، بل يظن كفـره، وهو مخطئ في هذا الظن. وفي حديث عليّ أن حاطباً كتب إلى المشركين يُخبرهم ببعض أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لما أراد غزوة الفتح فأطلع الله نبيه على ذلـك، فقـال لعليّ والزبـير: "اذهبا حـتى تأتيا روضة خـاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب". فلما أتيا بالكتاب، قال: "ما هذا يا حاطب"؟ فقال: والله يا رسول الله ما فعلت هذا ارتداداً ولا رضـاً بـالكفر، ولكن كنت امرءاً مُلصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، كان مَن معك من المهاجرين لهم بمكة قرابات يحمون بها أهليهم، فـأحببت إذ فـاتني ذلك أن أتخذ عنـدهم يـداً يحمـون بها قرابـتي. فقـال عمر رضي الله عنـه: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقـال: ”إنه شـهد بـدراً، وما يُـدريك أن الله اطّلع على أهل بـدر فقـال: اعلمــوا ما شـئتم فقد غفــرت لكم“.

وأنزل الله تعالى أول سورة الممتحنة: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ }
كما ثبت في الصحيحين عن عليّ وغيره في قصة حاطب بن أبي بلتعة، وكان من أهل بدر والحديبية. وقد ثبت في الصحيح أن غلامه قال: يا رسول الله، والله ليدخلن حاطب النار. فقال له النبي صلّى الله عليه وسلّم: "كذبتَ، إنه قد شهد بدراً والحديبية".
فإن عثمان وعلياً وطلحة والزبير أفضل باتفاق المسلمين من حاطب بن أبي بلتعة، وكان حاطب مسيئاً إلى مماليكه، وكان ذنبه في مكاتبة المشركين، وإعانتهم على النبي صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه أعظم من الذنوب التي تُضاف إلى هؤلاء، ومع هذا فالنبي صلّى الله عليه وسلّم نهى عن قتله، وكذَّب من قال: إنه يدخل النار، لأنه شهد بدراً والحديبية، وأخبر بمغفرة الله لأهل بدر. ومع هذا فقد قال عمر رضي الله عنه: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فسماه منافقاً، واستحل قتله، ولم يقدح ذلك في إيمان واحد منهما، ولا في كونه من أهل الجنة.
وأما القول بإن عائشة قد خالفت أمر الله في قوله تعالى: { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى } [الأحزاب: 33] فهي رضي الله عنها لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى. والأمر بالاستقراء في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجها في سفرة، فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبي صلّى الله عليه وسلّم، وقد سافر بهن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد ذلك، كما سافر في حجة الوداع بعائشة رضي الله عنها وغيرها، وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردفها خلفه، وأعمرها من التنعيم. وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي صلّى الله عليه وسلّم بأقل من ثلاثة أشهر بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواج النبي صلّى الله عليه وسلّم يحججن كما كن يحججن معه في خلافة عمر رضي الله عنه وغيره، وكان عمر يوكّل بقطارهن عثمان أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزاً فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في ذلك.
وأما القول بأن عائشة لما سألت: من تولى الخلافة؟ فقالوا: عليّ. فخرجت لقتاله على دم عثمان، فأي ذنب كان لعليّ في ذلك؟
وأما القول بإن عائشة وطلحة والزبير اتهما عليّاً بأنه قتل عثمان وقاتلوه على ذلك – كذب بيِّن، بل إنما طلبوا القتلة الذين كانوا تحيّزوا إلى عليّ، وهم يعلمون أن براءة عليّ من دم عثمان كبراءتهم وأعظم، لكن القتلة كانوا قد أووا إليه، فطلبوا قتل القتلة، ولكن كانوا عاجزين عن ذلك هم وعليّ، لأن القوم كانت لهم قبائل يذبُّون عنهم.
وجماهير أهل السنة متفقون على أن علياً أفضل من طلحة والزبير، فضلاً عن معاوية وغيره. ويقولون: إن المسلمين لما افترقوا في

خلافته فطائفة قاتلته وطائفة قاتلت معه، كان هو وأصحابه أولى الطائفتين بالحق، كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: "تمر مارقة على حين فُرقة من المسلمين، يقتلهم أولى الطائفتين بالحق". فهؤلاء هم الخوارج المارقون الذين مرقوا فقتلهم عليّ وأصحابه، فعُلِمَ أنهم كانوا أولى بالحق من معاوية.

كتاب (رد البهتان عن معاوية بن أبي سفيان)

سابعا :جاء في كتاب (رد البهتان عن معاوية بن أبي سفيا ن) للشيخ أبو عبد الله الذهبي

تحت عنوان موقفنا مما شجر بين الأصحاب من فتن وقتال ما يلي :

و معنى الإمساك عما شجر بين الصحابة ، هو عدم الخوض فيما وقع بينهم من الحروب و الخلافات على سبيل التوسع و تتبع التفصيلات ، و نشر ذلك بين العامة ، أو التعرض لهم بالتنقص لفئة و الانتصار لأخرى .

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (3/406) :

ـ و كذلك نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم ، و نعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب و هم كانوا مجتهدين ، إما مصيبين لهم أجران أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطؤهم ، و ما كان لهم من السيئات ، و قد سبق لهم من الله الحسنى ، فإن الله يغفر لهم إما بتوبة أو بحسنات ماحية أو مصائب مكفرة .

و ما شجر بينهم من خلاف فقد كانوا رضي الله عنهم يطلبون فيه الحق و يدافعون فيه عن الحق ، فاختلفت فيه اجتهاداتهم ، و لكنهم عند الله عز وجل من العدول المرضي عنهم ، و من هنا كان منهج أهل السنة والجماعة هو حفظ اللسان عما شجر بينهم ، فلا نقول عنهم إلا خيراً و نتأول و نحاول أن نجد الأعذار للمخطئ منهم و لا نطعن في نيّاتهم فهي عند الله وقد أفضوا إلى ما قدموا ، فنترضى عنهم جميعاً و نترحم عليهم و نحرص على أن تكون القلوب سليمة تجاههم .

قال ابن قدامة المقدسي في اللمعة (ص175) : و من السنة تولي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و محبتهم و ذكر محاسنهم و الترحم عليهم و الاستغفار لهم ، و الكف عن ذكر مساوئهم و ما شجر بينهم ، و اعتقاد فضلهم و معرفة سابقتهم ، قال الله تعالى{ و الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا}[الحشر/10] و قال تعالى{محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}[الفتح/29] و قال النبي صلى الله عليه وسلم : "لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" . البخاري مع الفتح (7/25) و مسلم برقم (6435) .

و يقول الإمام الذهبي رحمه الله في السير(10/92-93) :

ـ كما تقرر الكف عن كثير مما شجر بينهم ، و قتالهم رضي الله عنهم أجمعين و ما زال يمر بنا ذلك في الدواوين و الكتب و الأجزاء ، و لكن أكثر ذلك منقطع و ضعيف و بعضه كذب .. فينبغي طيه و إخفاؤه بل إعدامه لتصفوا القلوب ، و تتوفر على حب الصحابة و الترضي عنهم ، و كتمان ذلك متعين عن العامة و آحاد العلماء .. إلى أن قال : فأما ما نقله أهل البدع في كتبهم من ذلك فلا نعرج عليه ، ولا كرامة فأكثره باطل و كذب و افتراء .

و فضيلة الصحبة و لو للحظة ، لا يوازيها عملٌ ولا تنال درجتها بشيء ، و الفضائل لا تؤخذ بالقياس .

و قد أخرج ابن عساكر في تاريخه (59/141) في ترجمة معاوية رضي الله عنه من طريق ابن منده ثم من طريق أبي القاسم ابن أخي أبي زرعة الرازي قال : جاء رجل إلى عمي فقال له : إني أبغض معاوية ، فقال له : لم ؟ قال : لأنه قاتل علياً بغير حق ، فقال له أبو زرعة : رب معاوية ربٌ رحيم و خصم معاوية خصمٌ كريم فما دخولك بينهما ؟.

و قال الآجري رحمه الله في كتاب الشريعة (5/2485-2491) باب ذكر الكف عما شجر بين أصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و رحمة الله عليهم أجمعين :

ـ ينبغي لمن تدبر ما رسمنا من فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و فضائل أهل بيته رضي الله عنهم أجمعين ، أن يحبهم و يترحم عليهم و يستغفر لهم ، ويتوسل إلى الله الكريم لهم – أي بالدعاء و الترحم والاستغفار و الترضي – ويشكر الله العظيم إذ وفقه لهذا ، ولا يذكر ما شجر بينهم ، ولا ينقّر عنه ولا يبحث .

إن موضوع النزاع و الخلاف بين الصحابة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه يجب أن ينظر إليه من زاويتين :-

الأولى :

إن اللوم في تلك الفتنة على العموم يلقى على قتلة عثمان ، لأن كل من قتل من المسلمين بأيدي إخوانهم منذ قتل عثمان رضي الله عنه إنما يقع إثمه عليهم ، فهم الذين فتحوا باب الفتنة و كل ما وقع بعد ذلك فإثمه و وزره عليهم ، إذ كانوا هم السبب المباشر فيها ، و هم الفئة المعتدية الظالمة الباغية التي قتل بسببها كل مقتول في الجمل و صفين و ما تفرق عنها من أحداث و آراء و مواقف فتحت باب الخلاف و الفرقة بين المسلمين .

الثانية :

إن ما حدث من جانب الصحابة رضي الله عنهم في هذه الفتنة يحمل على حسن النية و الاختلاف في التقدير و الاجتهاد ، كما يحمل على وقوع الخطأ و الإصابة ، و لكنهم على كل حال كانوا مجتهدين و هم لإخلاصهم في اجتهادهم مثابون عليه في حالتي الإصابة و الخطأ ، و إن كان ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ ؛ لأن كل فئة كانت لها وجهة

نظر تـــدافع عنها بحسن نية ، حيث إن الخلاف بينهم لم يكن بســـبب التنــافس على الــدنيا ، و إنما كــان اجتهــاداً من كل منهم في تطــبيق شــرائع الإســلام . تحقيق مواقف الصــحابة في الفتنة (342-2/340) بتصرف .
و قد سئل ابن المبارك عن الفتنة الـتي وقعت بين علي و معاوية رضي الله عنهما فقـال : فتنة عصم الله منها سـيوفنا فلنعصم منها ألسـنتنا - يعـني في التحــرز من الوقــوع في الخطأ و الحكم على بعضــهم بما لا يكون مصيباً فيه.
و سئل الحسن البصري عن قتالهم فقال :
ـ قتال شـهده أصـحاب محمد صـلى الله عليه وسـلم و غبنا و علمـوا و جهلنا ، و اجتمعـوا فاتبعنا ، و اختلفـوا فوقفنا . الجـامع لأحكـام القـرآن للقرطبي (8/322) في تفسير سورة الحجرات .
و يقول النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم (220-18/219) :
ـ و اعلم أن الـدماء الـتي جـرت بين الصـحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هــذا الوعيد - يعــني قوله صــلى الله عليه وســلم إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل و المقتول في النار - و مذهب أهل السـنة و الحق إحســـان الظن بهم ، و الإمســـاك عما شــــجر بينهم ، و تأويل قتالهم و أنهم مجتهدون متأولون لم يقصـدوا معصـية ولا محض الـدنيا ، بل اعتقد كل فريق أنه المحق و مخالفه بـاغ فـوجب عليه قتاله لـيرجع إلى الله ، و كان بعضـهم مصـيباً و بعضـهم مخطئـاً معـذوراً في الخطأ لأنه اجتهاد و المجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه .
و يورد شيخ الإسلام في مواضع متفرقة من مجموع الفتاوى (35/50 و 54 و 56 و 69) رأي أهل السنة في هـذه المسـألة مسـتبعداً رأي أهل البـدع من الخـوارج و الرافضة و المعتزلة الـذين جعلـوا القتـال موجبـاً للكفر أو الفسق ، فيقول :
ـ و أهل السـنة و الجماعة و أئمة الـدين لا يعتقـدون عصـمة أحد من الصـحابة بل يمكن أن يقع الـذنب منهم ، والله يغفر لهم بالتوبة و يرفع بها درجــاتهم ، و إن الأنبيــاء هم المعصــومون فقط ، أما الصــديقون و الشهداء و الصالحون فليسوا معصومين ، و هذا في الـذنوب المحققة ، و أما اجتهادهم فقد يصـيبون فيه أو يخطئـون ، فـإذا اجتهـدوا و أصـابوا فلهم أجران ، و إذا اجتهدوا و أخطأوا فلهم أجر واحد على اجتهادهم ، و جمهور أهل العلم يفرقون بين الخوارج المارقين و بين أصـحاب الجمل و صـفين ممن يعد من البغـاة المتـأولين ، و هـذا مـأثور عن الصـحابة و عامة أهل الحديث ، و الفقهاء و الأئمة .
يقول ابن حجر في الفتح (13/37) :
ـ و اتفق أهل السـنة على وجـوب منع الطعن على أحد من الصـحابة بسـبب ما وقع لهم من ذلك ، و لو عـرف المحق منهم لأنهم لم يقـاتلوا

في تلك الحـروب إلا عن اجتهـادٍ و قد عفا الله تعـالى عن المخطئ في الاجتهاد ، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً ، و أن المصيب يؤجر أجرين .
و هكذا نأخذ من مجموع كلام هـؤلاء الأئمة ، أن الموقف مما شـجر بين الصحابة رضي الله عنهم هو الإمساك و عدم الخوض ، و هـذا هو الـذي دل عليه الحديث الثابت كما عند الطبراني و غيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال : :"إذا ذكر أصـحابي فأمسـكوا" . أنظر : السلسة الصحيحة (1/75) .

****

والآن آن الأوان للولوج إلى تلك الحقبة التاريخية الـتي تضـمنت أحـداث الفتنة لكي نتعرف على الوجه الحقيقي والتفسير الصحيح لما صدر عن هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم .

الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه

(البداية والنهاية)

جاء في كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير(بتصرف)
في سنة ثلاث وثلاثين سير امير المؤمنين جماعة من قـراء اهل الكوفة الى الشام وكان سبب ذلك انهم تكلمـوا بكلام قـبيح في مجلس سـعيد بن عامر فكتب الى عثمان في
أمرهم فكتب اليه عثمان أن يجليهم عن بلده إلى الشـام وكتب عثمـان إلى معاوية أمير الشام أنه قد أخرج اليك قراء من أهل الكوفة فأنزلهم وأكـرمهم وتـألفهم فلما قـدموا أنـزلهم معاوية وأكـرمهم واجتمع بهم ووعظهم ونصـحهم ، فأجابه المـترجم عنهم بكلام فيه بشـاعة وشـناعة فـاحتملهم معاوية لحلمه و أخـرجهم من بلـده ونفـاهم عن الشـام إلى الجزيرة ،وكانوا يشتمون عثمان وسعيد بن العاص وكـانوا عشـرة وقيل تسـعة ، فـاجتمع بهم عبـدالرحمن بن خالد بن الوليد وكـان نائبا على الجزيرة فهددهم وتوعدهم فاعتـذروا إليه وأنـابوا إلى الاقلاع عما كـانوا عليه فدعا لهم وسير مالكا الأشتر النخعي إلى عثمان بن عفـان ليعتـذر إليه عن أصـحابه بين يديه فقبل منهم وكف عنهم وخـيرهم أن يقيمـوا حيث أحبـوا فاختـاروا أن يكونـوا في معاملة عبـدالرحمن بن خالد بن الوليد فقـدموا عليه حمص فـأمرهم بالمقـام بالسـاحل وأجـرى عليهم الرزق .
وفي هذه السنة سـير عثمـان بعض أهل البصـرة منها إلى الشـام وإلى مصر بأسباب مسوغة لما فعله رضى الله عنه فكان هـؤلاء ممن يـؤلب عليه ويمـالىء الأعـداء في الحط والكلام فيه وهم الظـالمون في ذلك وهو البـار الراشد رضى الله عنه وبعثـوا إلى عثمـان من ينـاظره فيما

فعل وفيما اعتمد من عـزل كثـير من الصـحابة وتوليه جماعة من بـنى أمية من اقربائه واغلظوا له في القول.
وفي سـنة أربع وثلاثين تكـاتب المنحرفـون عن طاعة عثمـان وكـان جمهـــورهم من أهل الكوفة وهم في معاملة عبـــدالرحمن بن خالد بن الوليد بحمص ، فبعث عثمــــان رضي الله عنه إلى امـــــراء الأجنــــاد فاحضرهم عنده ليستشـيرهم فـاجتمع إليه معاوية بن أبي سـفيان أمـير الشام وعمـرو بن العـاص أمـير مصر وعبدالله ابن سـعد بن أبي سـرح أمير المغـرب وسـعيد بن العـاص أمـير الكوفة وعبدالله بن عـامر أمـير البصـــرة فاستشـــارهم فيما حـــدث من الأمر وافــتراق الكلمة فاشـــار عبدالله بن عامر ان يشغلهم بالغزو عما هم فيه من الشر فلا يكون هم احدهم إلا نفسه ،وأشار سعيد بن العاص بأن يستاصل شأفة المفسدين ويقطع دابــرهم ،وأشـــار معاوية بـــأن يـــرد عماله إلى أقـــاليمهم وأن لا يلتفت إلى هـؤلاء وما تـالبوا عليه من الشر فـانهم أقل وأضـعف جنـدا ،وأشار عبدالله بن سعد بن أبي سرح بأن يتألفهم بالمـال فيعطيهم منه ما يكف به شرهم ويأمن غائلتهم ويعطف به قلوبهم إليه وأما عمرو بن العاص فقام فقال أما بعد يا عثمـان فانك قد ركبت النـاس ما يكرهـون فاما أن تعزل عنهم ما يكرهون واما أن تقدم فتنزل عمالك على ما هم عليه ،فعند ذلك قـرر عثمـان عماله على ما كـانوا عليه وتـألف قلـوب أولئك بالمال وأمر بـأن يبعثـوا إلى الغـزو فجمع بين المصـالح كلها ولما رجعت العمال إلى أقاليمها امتنع أهل الكوفة من أن يدخل عليهم سعيد بن العاص ولبسوا السلاح وحلفوا أن لا يمكنـوه من الـدخول فيها حـتى يعزله عثمان ويولي عليهم أبا موسى الاشعري وكان اجتمـاعهم بمكـان يقـال له الجرعة فأجـابهم عثمـان إلى ما سـالوا ازاحة لعـذرهم وازالة لشبههم وقطعا لعللهم .
وقيل إن سبب تألب الاحزاب على عثمـان أن رجلا يقـال له عبدالله بن سبأ كان يهوديا فاظهر الاسلام وصـار إلى مصر فـأوحى إلى طائفة من النـــاس كلاما اخترعه من عند نفسه مضـــمونه أن محمد خـــاتم الانبيـــاء وعلي خاتم الاوصياء وهو أحق بالإمرة من عثمان ، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر وكتبـــوا إلى جماعـــات من عـــوام أهل الكوفة والبصـــرة فتمائلوا على ذلك وتكـاتبوا فيه وتواعـدوا أن يجتمعـوا في الانكـار على عثمـان وأرسـلوا اليه من يناظره ويـذكر له ما ينقمـون عليه من توليته أقرباءه وذوى رحمه وعزله كبار الصحابة فدخل هذا في قلوب كثير من الناس فجمع عثمان بن عفان نوابه من الأمصـار فاستشـارهم فأشـاروا عليه بما تقدم ذكره.
وقال الواقدي أن الناس طلبـوا من علي بن ابي طـالب أن يـدخل على عثمان فدخل عليه فقـال له إن النـاس ورائي وقد كلمـوني فيك ووالله ما أدري ما أقول لك وما أعرف شيئا تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه، فاعتذرعثمان عما كان يعطي اقرباءه بأنه من فضل ماله فقـام مـروان

بن الحكم فقـال :إن شـئتم والله حكمنا بيننا وبينكم السـيف ، فأسـكته عثمان وعنفه.
ودخلت سـنة خمس وثلاثين وفيها مقتل عثمـان وكـان السـبب في ذلك أن عمرو بن العـاص حين عزله عثمـان عن مصر ولى عليها عبدالله بن سعد بن ابي سرح ،وكره أهل مصر عبدالله بن سعد بن أبي ســرح بعد عمرو بن العـاص واشـتغل عبدالله بن سـعد عنهم بقتـال أهل المغـرب وفتحه بلاد الـــبربر والانـــدلس وافريقية وأنشأ بمصر طائفة من أبنـــاء الصحابة يؤلبون الناس على حربه والانكار عليه وكان عظم ذلك مسندا إلى محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة حـتى اسـتنفرا نحـوا من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة في صـفة معتمـرين في شـهر رجب لينكروا على عثمان فساروا إليها تحت اربع رفاق .
واقبل معهم محمد بن ابي بكر وأقـــام بمصر محمد بن أبي حذيفة يؤلب الناس ويدافع عن هؤلاء وكتب عبدالله بن سعد بن ابي سرح إلى عثمان يعلمه بقـدوم هـؤلاء القـوم إلى المدينة منكـرين عليه في صـفة المعتمرين فلما اقتربوا من المدينة أمر عثمـان علي بن ابي طـالب أن يخـرج اليهم لـيردهم إلى بلادهم قبل أن يـدخلوا المدينة ،فـانطلق علي بن ابي طالب إليهم وهم بالجحفة وكـانوا يعظمونه ويبـالغون في أمـره فردهم وأنبهم وشتمهم فرجعوا على أنفسهم بالملامة وقالوا هذا الــذي تحاربون الأمير بسببه وتحتجون عليه به ويقال إنه نـاظرهم في عثمـان وسألهم ماذا ينقمون عليه فـذكروا أشـياء منها أنه حمى الحمى وحـرق المصاحف وانه أتم الصلاة وأنه أولى الاحداث الولايـات وتـرك الصـحابة الأكابر وأعطى بني أمية اكثر من الناس.
فأجاب علي عن ذلك أما الحمى فإنما حماه لإبل الصدقة لتسمن ولم يحمه لإبله ولا لغنمه وقد حمـــاه عمر من قبله ،وأما المصـــاحف فإنما حــرق ما وقع فيه اختلاف وأبقى لهم المتفق عليه كما ثبت في العرضة الأخـيرة ،وأما إتمامه الصـلاة بمكة فانه كـان قد تأهل بها ونـوى الاقامة فأتمها، وأما توليته الأحـــداث فلم يــول إلا رجلا ســويا عـــدلا وقد ولى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم عتـاب بن أسـيد على مكة وهو ابن عشـرين سـنة وولى أسـامة بن زيد بن حارثة وطعن النـاس في إمارته فقال إنه لخليق بالإمارة ، وأما إيثـاره قومه بـنى أمية فقد كـان رسـول الله صلى الله عليه وسلم يؤثر قريشا على النـاس ، ويقـال انهم عتبـوا عليه في عمـار ومحمد بن ابي بكر فـذكر عثمـان عـذره في ذلك وأنه أقام فيهما ما كـان يجب عليهما ، وعتبـوا عليه في ايوائه الحكم بن أبي العاص وقد نفاه رسـول الله صـلى إلى الطـائف فـذكر أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نفاه إلى الطائف ثم رده ثم نفاه إليها .
فلما تمهدت الأعذار وانـزاحت عللهم ولم يبق لهم شـبهة أشـار جماعة من الصـحابة على عثمـان بتـأديبهم فصـفح عنهم رضى الله عنه وردهم إلى قومهم فرجعوا خائبين من حيث اتوا ولم ينالوا شيئا مما كانوا أملوا

وراموا، ورجع علي إلى عثمان فـإخبره برجـوعهم عنه وسـماعهم منه وأشـار على عثمـان أن يخطب النـاس خطبة يعتـذر إليهم فيها مما وقع من الأثـرة لبعض أقاربه ويشـهدهم عليه بأنه تـاب من ذلك وأنـاب إلى الاستمرار على ما كان عليه من سيرة الشـيخين قبله وأنه لا يحيد عنها كما كـان الأمر أولا في مـدة ست سـنين الأول فاسـتمع عثمـان هـذه النصيحة وقابلها بالسمع والطاعة .

وخطب الخطبة الـتى نـزع فيها وإعلم النـاس من نفسه التوبة فـرق الناس له وبكى من بكى فلما انصرف عثمان إلى منزله وجد به جماعة من أكابر الناس وجاءه مروان بن الحكم فقال والله لاقامة على خطيئة يستغفر منها خير من توبة خوف عليها، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس فقال عثمان قم فاخرج اليهم فكلمهم فـاني اسـتحي أن أكلمهم .

فخـرج مـروان إلى البـاب والنـاس يـركب بعضـهم بعضا فقـال فيما قال(ما شأنكم كانكم قد جئتم لنهب شـاهت الوجـوه جئتم تريـدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنا ارجعـوا إلى منـازلكم فوالله ما نحن مغلوبين على مابأيدينا) فجاء على مغضبا حتى دخل على عثمان فقـال (والله ما مـــــروان بـــــذى رأي في دينه ولا نفسه وأيم والله إنى لأراه سـيوردك ثم لا يصـدرك وما أنا بعائد بعد مقـامي هـذا لمعاتبتك) فلما خرج علي دخلت نائلة على عثمان فقالت (سـمعت قـول علي أنه ليس يعـاودك وقد أطعت مـروان حيث شـاء) قـال : فما أصـنع ؟.. قـالت: (تتقي الله وحده لا شريك له وتتبع سنة صـاحبيك من قبلك فانك مـتى أطعت مـروان قتلك ،ومـروان ليس له عند الله قـدر ولا هيبة ولا محبة فارسل إلى علي فاستصـلحه فـان له قرابة منك وهو لا يعصى) قـال فارسل عثمـان إلى علي فـأبى أن يأتيه وقـال : لقد أعلمته أني لست بعائد.

لما بلغ اهل الأمصـار خـبر مـروان وغضب علي على عثمـان بسـببه ووجـدوا الامر على ما كـان عليه لم يتغـير ولم يسـلك سـيرة صـاحبيه تكاتب أهل مصر وأهل الكوفة أهل البصرة وتراسلوا وزورت كتب على لسان الصحابة الذين بالمدينة وعلى لسان علي وطلحة والزبير يـدعون الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين وإنه أكبر الجهـاد اليـوم وخـرج أهل مصر في أربع رفـاق على أربعة امـراء وخرجـوا فيما يظهـرون للنـاس حجاجا ومعهم ابن السـوداء قبحه الله ،وخـرج أهل الكوفة في عـدتهم من أربع رفـاق ،وخـرج أهل البصـرة في عـدتهم أيضا في أربع رايـات. أهل مصر مصـــــرون على ولاية علي بن ابي طـــــالب ،وأهل الكوفة عازمون على تأمير الزبير ،وأهل البصرة مصممون على تولية طلحة ،لا تشك كل فرقة أن أمرها سيتم فسار كل طائفة من بلدهم حتى توافـوا حول المدينة وبعثوا قصادا وعيونا بين أيـديهم ليخـبروا النـاس أنهم إنما جاؤا للحج لا لغـيره وجـاءت طائفة من المصـريين إلى علي فصـاح بهم

وطـردهم ،وأتى البصـريون طلحة فسـلموا عليه فصـاح بهم وطـردهم ،وكــذلك كــان رد الزبــير على اهل الكوفة فرجع كل فريق منهم إلى قومهم وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم .
وسـاروا أياما راجعين ثم كـرو عائـدين إلى المدينة فما كـان غـير قليل حـتى سـمع أهل المدينة التكبـير وإذا القــوم قد زحفـوا على المدينة وأحاطوا بها وجمهورهم عند دار عثمان بن عفان وقالوا للناس:
(من كف يده فهو آمن) فكف الناس ولزموا بيوتهم وأقام الناس على ذلك أياما هـذا كله ولا يـدري النـاس ما القـوم صـانعون ولا على ما هم عازمون وفي كل ذلك وأمير المؤمنين عثمان بن عفان يخـرج من داره فيصــلي بالنــاس فيصــلي وراءه أهل المدينة وأولئك الآخــرون وذهب الصحابة إلى هـؤلاء يؤنبـونهم ويلـومنهم على رجـوعهم حـتى قـال على لأهل مصر: (ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم ؟)
فقالوا :(وجدنا مع بريد كتابا بقتلنا)
وكذلك قال البصريون لطلحة والكوفيون للزبـير ، فلما كـان في بعض الجمعات وقام عثمان رضي الله عنه على المنبر وفي يـده العصا الـتي كان يعتمد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته فقـام إليه رجل من أولئك فسبه ونال منه وأنزله عن المنبر فطمع الناس فيه من يومئذ فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خرجة أو خرجتين حتى قتل .
وقد استمر الحصر أكثر من شهر وقيل اربعين يوما حتى كــان آخر ذلك ان قتل شهيدا رضى الله عنه .
كـان فلما كـان قبل ذلك بيـوم قـال عثمـان للـذين عنـده في الـدار من المهـاجرين والأنصـار وكـانوا قريبا من سـبعمائة فيهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومـروان وأبو هريـرة وخلق من مواليه ولو تركهم لمنعوه فقـال لهم :(أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله)
وعنده من أعيان الصحابة وأبنائهم جم غفير وقال لرقيقه :(من أغمد سيفه فهو حر)
فبرد القتال من داخل وحمى من خارج ،واشتد الأمر وكان سـبب ذلك أن عثمان رأى في المنـام رؤيا دلت على اقـتراب أجله فاستسـلم لأمر الله رجاء موعوده وشوقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسـلم وروى أن آخر من خــرج من عند عثمــان من الــدار بعد أن عــزم عليهم في الخـــروج الحسن بن علي ، وعن ابن عمر أن عثمـــان رضي الله عنه أصبح يحدث الناس قال:(رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنـام فقال يا عثمان افطر عندنا) فأصبح صائما وقتل من يومه .
قتله رضي الله عنه:
قال خليفة بن خياط حدثنا ابن علية ثا ابن عوف عن الحسن قال أنبأني رباب قال بعثني عثمـان فـدعوت له الأشـتر فقـال ما يريد النـاس قـال ثلاث ليس من إحــداهن بد قـال ما هن قــال يخبرونك بين أن تخلع لهم

أمـرهم فتقـول هـذا أمـركم فاختـاروا من شـئتم ، وبين أن تقتص من نفسك ، فأن أبيت فأن القوم قاتلوك فقال أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سـربالا سـربلنيه الله وأما أن اقتص لهم من نفسي فوالله لئن قتلتموني لا تحابون بعدي ولا تصلون بعدي جميعا ولا تقاتلون بعدي جميعا عدوا أبدا .

قال وجـاء رويجل كأنه ذئب فـاطلع من بـاب ورجع وجـاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلا فأخذ بلحيته فعـال بها حـتى سـمعت وقع أضراسه فقـال: ما أغـنى عنك معاوية وما أغـنى عنك ابن عـامر وما أغنت عنك كتبك.

قال: اسل لحيتي يا ابن أخي.

قال فأنا رأيته استعدي رجلا من القـوم بعينه يعين أشـار إليه فقـام إليه بمشقص فوجى به رأسه قلت ثم مه قال ثم تعاوروا عليه حتى قتلوه

قال سيف بن عمر التميمي رحمه الله عن العيص بن القاسم عن رجل عن خنساء مـولاة أسـامة بن زيد وكـانت تكـون مع نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان أنها كـانت في الـدار ودخل محمد بن أبي بكر وأخذ بلحيته وأهوى بمشاقص معه فبجأ بها في حلقه فقال:

ـ " مهلا يا ابن أخي فوالله لقد أخذت مأخذا ما كان أبوك ليأخذ به"

فتركه وانصـرف مسـتحييا نادما فاسـتقبله القـوم على بـاب الصـفة فردهم طويلا حتى غلبـوه فـدخلوا وخـرج محمد راجعا فأتـاه رجل بيـده جريدة يقدمهم حتى قـام على عثمـان فضـرب بها رأسه فشـجه فقطر دمه على المصحف حتى لطخه ثم تعاوروا عليه فأتاه رجل فضربه على الثـدي بالسـيف ووثبت نائلة بنت الفرافصة الكلبية فصـاحت وألقت نفسها عليه وقالت:

ـ "يا بنت شيبة أيقتل أمير المؤمنين"

وأخذت السيف فقطع الرجل يدها وانتهبوا متـاع الـدار ومر رجل على عثمان ورأسه مع المصحف فضـرب رأسه برجله ونحـاه عن المصـحف وقال :

ـ "ما رأيت كاليوم وجه كافر أحسن ولا مضجع كافر أكرم"

قال والله ما تركوا في داره شيئا حتى الأقداح إلا ذهبوا به .

وروى الحافظ ابن عسـاكر أن عثمـان لما عـزم على أهل الـدار في الأنصراف ولم يبق عنده سوى أهله تسوروا عليه الدار وأحرقـوا البـاب ودخلوا عليه وليس فيهم أحد من الصـحابة ولا أبنـائهم إلا محمد بن أبي بكر وسبقه بعضهم فضربوه حتى غشى عليه وصـاح النسـوة فـانزعروا وخرجـوا ودخل محمد بن أبي بكر وهو يظن أنه قد قتل فلما رآه قد أفاق قال: ـ "على أي دين أنت يا نعثل"

قال :

"على دين الإسلام ولست بنعثل ولكني أمير المؤمنين"

فقال :

ـ "غيرت كتاب الله"
فقال : "كتاب الله بيني وبينكم"
فتقدم إليه وأخذ بلحيته وقال: " إنا لا يقبل منا يوم القيامة أن نقول ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا"
وشطحه بيده من البيت إلى باب الدار وهو يقول يا ابن أخي ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي.
وجاء رجل من كندة من أهل مصر يلقب حمارا ويكنى بأبي رومان وقال قتادة أسمه رومان وقال غيره كان أزرق أشقر وقيل كان أسمه سودان بن رومان المرادي وعن ابن عمر قال كان اسم الذي قتل عثمان أسود بن حمران ضربه بحربة وبيده السيف صلتا قال ثم جاء فضربه به في صدره حتى أقعصه ثم وضع ذباب السيف في بطنه واتكى عليه وتحامل حتى قتله وقامت نائلة دونه فقطع السيف أصابعها رضي الله عنها ويروى أن محمد بن أبي بكر طعنه بمشاقص في أذنه حتى دخلت حلقه والصحيح أن الذي فعل ذلك غيره وأنه استحى ورجع حين قال له عثمان لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها فتذمم من ذلك وغطى وجهه ورجع وحاجز دونه فلم يفد وكان أمر الله قدرا مقدورا وكان ذلك في الكتاب مسطورا .
وروى ابن عساكر عن ابن عون أن كنانة بن بشر ضرب جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخر لجنبيه وضربه سودان بن حمران المرادي بعد ما خر لجنبه فقتله وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات وقال أما ثلاث منهن فلله وست لما كان في صدري عليه
وقال الطبراني حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي وإسحاق بن داود الصواف التستري قالا ثنا محمد بن خالد بن خداش ثنا مسلم بن قتيبة ثنا مبارك عن الحسن قال حدثني سياف عثمان أن رجلا من الأنصار دخل على عثمان فقال:
ـ" ارجع يا ابن أخي فلست بقاتلي"
قال: وكيف علمت ذلك؟
قال: لأنه أتى بك النبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعك فحنكك ودعا لك بالبركة.
ثم دخل عليه رجل آخر من الأنصار فقال له مثل ذلك سواء .
ثم دخل محمد بن أبي بكر فقال: أنت قاتلي.
قال : وما يدريك يا نعثل
قال : لأنه أتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سابعك ليحنكك ويدعو لك بالبركة فحربت على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال فوثب على صدره وقبض على لحيته ووجأه بمشاقص كانت في يده هذا حديث غريب جدا وفيه نكارة وثبت من غير وجه أن أول قطرة

من دمه سـقطت على قوله تعـالى: "فسـيكفيكهم الله وهو السـميع العليم"

من خلال هذه الروايات المتعددة للقتل ، وباقي أحداث التمرد بدءاً من خـروج الأحـزاب الغاضـبة من الأمصـار وحـتى الوصـول إلى المدينة وارتكـاب جريمة القتل النكـراء في حق الخليفة ، تلك الروايـات الـتي نقلتها العديد من الكتب والمراجع التراثية الأخـــرى ، ترتسم الصـــورة الخاطئة لأحـداث الفتنة ، فـأمير المؤمـنين عثمـان رضي الله عنه رجل إمعة، وهو مضيع لحق الأمة الـتي جعله الله خليفته عليها إرضـاءاً لأهله وذوي قرباه.

أما مروان فهو رجل دنيوي متعصب لأهله ولايهمه أمر المسـلمين في كثـيرأو قليـل، ويبـدو دور كبـار الصـحابة باهتا متخـاذلا في الـدفاع عن خليفتهم، ونـرى محمد بن أبي بكرقـاتلا للخليفة بيـده ، وفي روايـات أخـرى نـراه يـتراجع حين يسـتمع لعتـاب عثمـان له ، بل في إحـدى الروايات نجده يدفع عنه الداخلين إليه بشر حتى غلبوه .

فهل يعقل أن يكون عثمـان رضي الله عنه على هـذا القـدر من التفاهة والتسطح ؟..إن كان الجواب على هـذا السـؤال بـالنفي ، فكيف راجت مثل هـذه الصـورة السـيئة عنه رضي الله عنه وأرضـاه؟..وإن كـانت الإجابة على هذا السؤال بالإيجاب فكيف تتوائم هذه الصـورة مع ملامح الشخصية التقية النقية التي ذكرنا بعض ملامحها في بداية الكتاب ، تلك الشخصية التي أحبها الرسـول العظيم وزوجه ابنـتين من بناته وقـال له ما معناه لو كانت لديه ابنة ثالثة لكان زوجها له..؟

عن ابن سـعد عن محمد بن مسـلمة رضي الله عنه قـال: أعطـاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفاً فقال:

ـ "«يا محمد بن مسـلمة جاهد بهـذا السـيف في سـبيل اللـه، حـتى إذا رأيت من المسلمين فئتين تقتتلان فاضرب به الحجر حـتى تكسـره، ثم كف لسانك ويدك حتى تأتيك منية قاضية أو يد خاطئة»"

فلما قتل عثمان رضي الله عنه وكان من أمر الناس ما كـان؛ خـرج إلى صـخرة في فنائه فضرب الصخرة بسيفه حتى كسره.

(المنتظم في التاريخ)

وجاء في كتاب (المنتظم في التاريخ) لمؤلفه أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ما يلي :

ولما رأى القوم أن الناس قد ثابوا إلى عثمان وضعوا على علي بن أبي طالب رقيبًا في نفر فلازمه ورقيبه خالد بن ملجم وعلى طلحة رقيبًا فلازمه ورقيبه سودان بن حمران وعلى الزبير رقيبًا فلازمه ورقيبه قتيرة وعلى نفر بالمدينة وقالوا لهم: إن تحركوا فاقتلوهم فلما لم يستطع هؤلاء النفر غشيان عثمان بعثوا أبناءهم إلى عثمان فأقبل الحسن بن علي فقال له: مرنا بأمرك فقال: يا ابن أخي أوصيك بما

أوصي به نفسي واصبر وما صبرك إلا بالله وجاء ابن الزبير فقال له مثل ذلك وجاء محمد بن طلحة فقال له مثل ذلك.
ومن هنا تبدو القيمة التاريخية والدينية والمعلوماتية لكتب مثل كتب الدكتور الصلابي وغيره من العلماء الأجلاء الذين بذلوا جهودا مشكورة لتصحيح الصورة ومحو تلك الأكاذيب.
جاء في كتاب الدكتور / محمد علي الصلابي:

(سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه شخصيته وعصره)

أسباب فتنة مقتل عثمان

أولاً: الرخاء وأثره في المجتمع
لما جاء عهد عثمان وتوسعت الفتوحات شرقا وغربا، وبدأت الأموال تتقاطر على بيت المال من الغنائم والأسلاب, وامتلأت أيدي الناس بالخيرات والأرزاق، ترتب علي ذلك انشغال الناس بالدنيا والافتتان بها، وصارت مادة للتنافس والبغضاء.
ثانيًا: طبيعة التحول الاجتماعي في عهد عثمان
لما توسعت الدولة الإسلامية عبر حركة الفتوح حصل تغير في تركيبة المجتمع واختلالات في نسيجه؛ فورثت الدولة الإسلامية ما على هذه الرقعة الواسعة من أجناس، وألوان، ولغات، وثقافات، وعادات، ونظم، وأفكار، ومعتقدات، وفنون أدبية وعمرانية، ومظاهر، وظهرت على سطح هذا النسيج ألوان مضطربة ، ورقع غير منسجمة، فصار المجتمع غير متجانس في نسيجه التركيبي ، فحصلت تغيرات في نسيج المجتمع البشري المكون من جيل السابقين وسكان البلاد المفتوحة، والأعراب ومن سبقت لهم ردة، واليهود والنصارى، وأدىذلك إلى ظهور لون جديد من الانحرافات، وفي قبول الشائعات .
ثالثًا: مجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما
كان مجيء عثمان مباشرة بعد عمر بن الخطاب واختلاف الطبع بينهما مؤديا إلى تغير أسلوبهما في معاملة الرعية، فبينما كان عمر قوي الشكيمة، شديد المحاسبة لنفسه, ولمن تحت يديه، كان عثمان ألين طبعا وأرق في المعاملة، ولم يكن يأخذ نفسه أو يأخذ الناس بما يأخذهم به عمر حتى يقول عثمان نفسه:(يرحم الله عمر، ومن يطيق ما كان عمر يطيق)
رابعًا: خروج كبار الصحابة من المدينة
كان عمر يخاف على الصحابة من إنتشارهم في البلاد المفتوحة وتوسعهم في القطاع والضياع، فكان يأتيه الرجل من المهاجرين وهو ممن حبس في المدينة فيستأذنه في الخروج فيجيبه عمر: (لقد كان

لك في غزوك مع رسـول الله ما يبلغـك، وخـير لك من الغـزو اليـوم ألا ترى الدنيا ولا تراك)
وأما عثمـان فقد سـمح لهم بـالخروج ولان معهم. يقـول الشـعبي: فلما ولي عثمان خلى عنهم فاضطربوا في البلاد وانقطع إليهم الناس، فكان أحب إليهم من عمر فكــان من نتــائج هــذا التوسع أن اتخذ رجــال من قريش أموالا في الأمصار، وانقطع إليهم الناس .
خامسًا: العصبية الجاهلية
يقــول ابن خلــدون:.. وأما ســائر العــرب من بــني بكر بن وائل وعبد القيس وسائر ربيعة والأزد وكندة وقضاعة وغيرهم، فلم يكونوا في تلك الصحبة بمكان إلا قليل منهم، وكـانت لهم في الفتوحـات قـدم، فكـانوا يرون ذلك لأنفسهم ...فلما انحصر ذلك العباب(الوحي ونزول الملائكة) وتنوسى الحال بعض الشيء، وذل العدو واستفحل الملك، كانت عروق الجاهلية تنبض، ووجدوا الرياسة عليهم من المهاجرين والأنصار وقريش وسواهم، فأنفت نفوسهم منه، ووافق ذلك أيام عثمان فكانوا يظهــرون الطعن في ولاته بالأمصــار، والمؤاخــذة لهم باللحظــات والخطــوات، والاستبطاء عليهم الطاعات، والتجني بسـؤال الاسـتبداد منهم والعـزل، ويفيضون في النكير على عثمان.
سادسًا: توقف الفتوحات
حين تــوقفت الفتــوح في أواخر عهد عثمــان أمــام حــواجز طبيعية أو بشرية لم تتجاوزها سواء في جهات فارس وشمالي بلاد الشــام أم في جهة أفريقية، توقفت الغنائم على أثرهـا، فتسـاءل الأعـراب: أين ذهبت الغنـائم القديمـة؟ أين ذهبت الأراضي المفتوحة الـتي يعـدونها حقا من حقوقهم؟ وانتشرت الشائعات الباطلة التي اتهمت عثمان بأنه تصرف في الأراضي الموقوفة على المسلمين وفق هواه، وأنه أقطع منها لمن شاء من الناس.
سابعًا: المفهوم الخاطئ للورع
الـورع في الشـريعة طيب؛ وهو أن يـترك ما لا بـأس به مخافة مما فيه بـأس. ... ومن أخطر أنـواع الـورع: الـورع الجاهل الـذي يجعل المبـاح حراما أو مفروضًـا، وهـذا الـذي وقع فيه أصـحاب الفتنـة؛ فقد اسـتغل أعـداء الإسـلام يومها مشـاعرهم هـذه ونفخـوا فيهـا، فـرأوا فيما فعله عثمان من المباحات أو المصالح خروجا على الإسلام وتغييرا لسـنة من سبقه، وعظمت هذه المسائل في أعين الجهلة فاستباحوا أو أعانوا من استباح دم الخليفة الراشد عثمان بن عفـان ، وفتحـوا على المسـلمين باب الفتنة إلى اليوم.
ثامنًا: طموح الطامحين
وجد في الجيل الثاني من أبناء الصحابة -رضي الله عنهم- من يعتـبر نفسه جـديرا بـالحكم والإدارة، ووجد أمثـال هـؤلاء أن الطريق أمـامهم مغلق، وفي العادة أنه متى وجد الطامحون الذين لا يجـدون لطمـوحهم متنفسا فـإنهم يـدخلون في كل عملية تغيـير، ومعالجة أمر هــؤلاء في غاية الأهمية .
تاسعًا: تآمر الحاقدين
لقد دخل في الإسـلام منـافقون موتـورون اجتمع لهم من الحقد والـذكاء والـدهاء ما اسـتطاعوا أن يـدركوا نقـاط الضـعف الـتي

يستطيعون من خلالها أن يوجدوا الفتنة, ووجدوا من يستمع إليهم بآذان مصغية، فكان من آثار ذلك ما كان فقد عرفنا سابقا وجود يهود ونصارى وفرس، وهؤلاء جميعا معروف باعث غيظهم وحقدهم على الإسلام والدولة الإسلامية، ولكننا هنا نضيف من وقع عليه حد أو تعزير لأمر ارتكبه في وسط الدولة، عاقبه الخليفة أو ولاته في بعض الأمصار وبالذات البصرة والكوفة ومصر والمدينة، فاستغل أولئك الحاقدون من يهود ونصارى وفرس وأصحاب الجرائم مجموعات من الناس كان معظمهم من الأعراب، ممن لا يفقهون هذا الدين على حقيقته, فتكونت لهؤلاء جميعا طائفة وصفت من جميع من قابلهم بأنهم أصحاب شر.

عاشرًا: التدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان

كان المجتمع مهيأ لقبول الأقاويل والشائعات نتيجة عوامل وأسباب متداخلة، وكانت الأرض مهياة، ونسيج المجتمع قابلا لتلقي الخروقات، وأصحاب الفتنة أجمعوا على الطعن في الأمراء بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى استمالوا الناس إلى صفوفهم، ووصل الطعن إلى عثمان بن عفان نفسه باعتباره قائد الدولة.

حادي عشر: استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس

وأهم هذه الأساليب: إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيرا، والتحريض والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس، والطعن على الولاة، واستخدام تزوير الكتب واختلافها على لسان الصحابة رضي الله عنهم؛ عائشة وعلي وطلحة والزبير، والإشاعة بأن علي بن أبي طالب الأحق بالخلافة، وأنه الوصي بعد رسول الله ×، وتنظيم فرق في كل من البصرة والكوفة ومصر، أربع فرق من كل مصر، مما يدل على التدبير المسبق. وأوهموا أهل المدينة أنهم ما جاءوا إلا بدعوة الصحابة، وصعّدوا الأحداث حتى وصلت إلى القتل.

ثاني عشر: أثر السبئية في أحداث الفتنة

إن شخصية ابن سبأ حقيقة تاريخية لا لبس فيها في المصادر السنية والشيعية المتقدمة والمتأخرة على السواء، وهي كذلك أيضا عند غالبية المستشرقين أمثال: يوليوس فلهاوزن وفان فولتن, وليفي ديلافيدوجولد تسيهر ورينولد نكلسن ودوايت رونلدسن. على حين يبقى إبن سبأ محل شك أو مجرد خرافة عند فئة قليلة من المستشرقين أمثال كيتاني, وبرنارد لويس وفريد لندر المتأرجح.. علما بأننا لا نعتد بهم في أحداث تاريخنا.

دور عبد الله بن سبأ في تحريك الفتنة

جاء ابن سبأ بمقدمات صادقة في خطته، وبنى عليها مبادئ فاسدة راجت لدى السذّج والغلاة وأصحاب الأهواء من الناس، وقد سلك في ذلك مسالك ملتوية لبَّس فيها على مَنْ حوله حتى اجتمعوا عليه؛ فطرق باب القرآن بتأوله على زعمه الفاسد، حيث قال: لَعَجَبٌ ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذِّب بأن محمدا لايرجع، وقد قال تعالى:" إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ" [القصص: 85] فمحمد أحق

بالرجوع من عيسى ،كما سلك طريق القياس الفاسد من ادعاء إثبات الوصية لعلي بقوله: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء. وحينما استقر الأمر في نفوس أتباعه انتقل إلى هدفه المرسوم، وهو خروج الناس على الخليفة عثمان رضي الله عنه، فصادف ذلك هوى في نفوس بعض القوم حيث قال لهم: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصيِّه وتناول أمر الأمة؟ ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدأوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس، وأدعوهم إلى هذا الأمر وبث دعاته، وكاتب من كان استفسد من الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعون فيها عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك.
وفي مصر أخذ ابن سبأ ينظم حملته ضد عثمان , ويحث الناس على التوجه إلى المدينة لإثارة الفتنة ، وقد غشهم بكتب ادعى أنها وردت من كبار الصحابة، حتى إذا أتى هؤلاء الأعراب المدينة المنورة واجتمعوا بالصحابة لم يجدوا منهم تشجيعا؛ حيث تبرأوا مما نسب إليهم من رسائل تؤلب الناس على عثمان ووجدوا عثمان مقدرا للحقوق .
...وكانت شبكة أعداء الإسلام تتألف من الموتورين من اليهود والنصارى والمجوس الذين جندوا الموتورين من الرعاع والسذج والبلهاء و الحاقدين ممن أدّبهم أو حدَّهم أو عزَّرهم الخليفة أو أحد ولاته، ونظم هؤلاء الأعداء (جمعية سرية) خبيثة جعلوا أعضاءها هؤلاء الذين استجابوا لهم، وجعلوا لهم أتباعا في المدن الكبيرة والأقاليم العديدة، وكونوا شبكة اتصالات سرية بينهم. وكانت أهم فروع جمعيتهم الخبيثة في: الكوفة، والبصرة، ومصر، ولهم بعض العناصر في المدينة المنورة والشام .
وفي سنة أربع وثلاثين - السنة الحادية عشرة من خلافة عثمان - أحكم عبد الله بن سبأ اليهودي خطته، ورسم مؤامراته, ورتب مع جماعته السبئيين الخروج على الخليفة وولاته، فقد اتصل ابن سبأ اليهودي من وكر مؤامراته في مصر بالشياطين من حزبه في البصرة والكوفة والمدينة، واتفق معهم على تفاصيل الخروج، وكاتبهم وكاتبوه، وراسلهم وراسلوه، وكان ممن كاتبهم وراسلهم، السبئيون في الكوفة، وقد كان بضعة عشر رجلا منهم منفيين في الشام، ثم في الجزيرة عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وبعد نفي أولئك الخارجين كان زعيم السبئيين الحاقدين في الكوفة يزيد بن قيس وقد خلت الكوفة في سنة أربع وثلاثين من وجوهها وأشرافها، لأنهم توجهوا للجهاد في سبيل الله، ولم يبق إلا الرعاع والغوغاء، الذي أثر فيهم السبئيون والمنحرفون وشحنوهم بأفكارهم الخبيثة، وهيَّجوهم ضد والي عثمان على الكوفة سعيد بن العاص .
سار يزيد بن قيس ومعه الأشتر النخعي بالألف من الخارجين إلى مكان على طريق المدينة يسمى (الجَرَعة)، وبينما كانوا معسكرين في الجرعة، طلع عليهم سعيد بن العاص عائدا من عند عثمان، فقالوا له:

ـ عُد من حيث أتيت ولا حاجة لنا بك، ونحن نمنعك من دخـول الكوفـة، وأخـبر عثمـان أننا لا نريدك واليا علينـا، ونريد من عثمـان أن يجعل أبا موسى الأشعري واليا مكانك.
قال لهم سعيد:
ـ لماذا خرجتم ألفا لتقولوا لي هذا الكلام؟ كـان يكفيكم أن تبعثـوا رجلا إلى أمير المؤمنين بطلبكم، وأن توقفـوا لي رجلا في الطريق ليخـبرني بذلك، وهل يخرج ألف رجل لهم عقول لمواجهة رجل واحد؟

مشاورة الخليفة للولاة

ـ واستقر رأي الخليفة علىاستدعاء ولاته للمشـاورة وتبـاينت الآراء كما ذكرنا من قبل ،
ويذكر الدكتور /الصلابي موقفا لمعاوية آنذاك مفاده:
ـ وقبل أن يتوجه معاوية بن أبي سـفيان إلى الشـام، أتى إلى عثمـان وقال له: يا أمير المؤمنين, انطلق معي إلى الشام، قبل أن يهجم عليك من الأمور والأحداث ما لا قبل لك بها.
قال عثمان: أنا لا أبيع جوار رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم بشـيء ولو كان فيه قطع خيط عنقي.
قال له معاوية: إذن أبعث لك جيشا من أهل الشام، يقيم في المدينة، لمواجهة الأخطار المتوقعة ليدافع عنك وعن أهل المدينة.
قال عثمان: لا، حـتى لا أقتِّر على جـيران رسـول الله صـلى الله عليه وسلم الأرزاق بجند تساكنهم، ولا أضيق على أهل الهجرة والنصرة.
قال له معاوية: يا أمير المؤمنين, والله لتغتالن أو لتغزين.
قال عثمان: حسبي الله ونعم الوكيل.
إذن فمعاوية رضي الله عنه لم يكن سلبيا في موقفه تجـاه الـدفاع عن الخليفة كما روج المروجين، كما أن هناك روايات أخرى تفيد أن جيوشا من الأمصـار هبت لنجـدة الخليفة المحصـور، مما حـدا بـالمتمردين أن يعجلوا بالقتل تفعيلا للفتنة وإجهاضا لأي مسـاع لـردعهم والحيلولة دون حدوثها .
كما أن ملامح شخصـية عثمـان رضي الله عنه تبـدو كالعهد به تقية نقية ترعىحرمة الزمان والمكان ولاتبيع جوار الحبيب محمد حتى ولوبالروح ، وليس هذا فحسب بل أنه أبـدى اسـتعداده للمـوت ولا يضـيق على أهل المدينة في أرزاقهم ..؟
إن ذي النورين رضي الله عنه رفض في رواية أخـرى الـذهاب إلى مكة ـ كما أشارعليه بعض الصحابة ـ لنفس الأسباب السابقة . رفض الفرار، ورفض استباحة مكة من قبل هؤلاء المتمردين احتراما للمكان الطاهر، بل رفض أيضا أن يرفع أحد كائنا من كـان السـلاح دفاعا عنه ، وصـرح لغلمانه أن من كف يده وأغمد سلاحه فهو حر .
فعل ذو النوري هذا واستسلم لقدره وأبى بشدة أن يجرح مسـلم واحد بسببه.
أي طهر هذا الـذي نـراه؟.. وأي إيثارنسـمعه من فم ذي النـورين الـذي ضـرب أروع الأمثلة في كيفية تصـرف أولي الأمر وقت الأزمـات؟..وأي إيمان نلمسه وتصديق لقول الحبيب محمدا حيا وميتا؟..لقد نبأه الحبيب محمد صلوات الله وسلامه عليه بما سـيلقاه في يومه هـذا ، فـوعي ما سمع ورضي بقضاء الله ، وتمسك بـالقميص الـذي ألبسه إيـاه الحـبيب

المصطفي صلوات الله وسلامه عليه ورضي بالشهادة ، وبالتالي فاز بالجنة..!

محاورة الخليفة للأحزاب

وبينماجاءت رواية البداية والنهاية لابن كثير أن الإمام علي هو من حاور الأحزاب الغاضبة في شأن مآخذهم التي أخذوها على عثمان رضي الله عنه ، يذكر لنا الدكتور / الصلابي نفس الحادثة ويخبرنا أن الخليفة عثمان رضي الله عنه هو من اخترق صفوف المتآمرين بعد مجيئهم للمدينة وحاورهم ، ولا نجد تضاربا في ذلك فربما حاور كل من الخليفتين رضوان الله عليهما الأحزاب أو من ينوب عنهم كل على حده ، وفي وقتين مختلفين .

قال الدكتور الصلابي في هذا المقام :

ـ كان أمير المؤمنين عثمان من اليقظة والوعي ما يجعله يحقق بقلم استخباراته مع هؤلاء المتآمرين، حيث بث في صفوفهم رجلين من المسلمين كانا قد عوقبا من الخليفة ليطمئن المتآمرون إليهم، فقد أرسل عثمان رجلين، مخزوميا وزهريا فقال: انظرا ما يريدون واعلما علمهم، وكانا مما نالهما من عثمان أدب فاصطبرا للحق ولم يضطغنا، فلما رأوهما باثوهما وأخبروهما بما يريدون، فقالا: من معكم على هذا من أهل المدينة، قالوا: ثلاثة نفر، فقالا: هل إلا؟ قالوا: لا، قالا: فكيف تريدون أن تصنعوا؟ وشرح هؤلاء القوم للرجلين أبعاد المؤامرة كاملة والخطة المقترحة. وقالوا: نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أنا قررناه بها فلم يخرج ولم يتب، ثم نخرج كأنا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه، فإن أبى قتلناه وكانت إياها.

فرجعا إلى عثمان فضحك وقال: اللهم سلم هؤلاء فإنك إن لم تسلمهم شقوا. فأرسل إلى الكوفيين والبصريين ونادى: الصلاة جامعة، وهم عنده في أصل المنبر، فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحاطوا بهم، فحمد الله وأثنى عليه، وأخبرهم خبر القوم، وحقيقة ما يريدون من تأكيد الشبهات عليه تمهيدا للخروج عليه وخلعه أو قتله، وقام الرجلان اللذان حادثا السبئيين، فشهدا بما أخبروهما به، فقال المسلمون جميعا في داخل المسجد: اقتلهم يا أمير المؤمنين، لأنهم يريدون الخروج على أمير المؤمنين، وتفريق كلمة المسلمين.

ورفض عثمان دعوة الصحابة لقتلهم؛ لأنهم مسلمون في الظاهر، من رعيته، ولا يرضى أن يقال: عثمان يقتل مسلمين مخالفين له، ولذلك رد عثمان بن عفان على تلك الدعوة قائلا: لا نقتلهم، بل نعفو ونصفح، ونبصرهم بجهدنا، ولا نقتل أحدا من المسلمين، إلا إذا ارتكب حدًّا يوجب القتل، أو أظهر ردة وكفرا.

ودعا عثمان القوم السبئيين إلى عرض ما عندهم من شبهات وإظهار ما يرونه من أخطاء وتجاوزات ومخالفات وقع هو فيها، وكانت جلسة مصارحة ومكاشفة في المسجد على مرأى ومسمع من الصحابة والمسلمين، فتكلم السبئيون وعرضوا الأخطاء التي ارتكبها عثمان - على حد زعمهم-, وقام عثمان بالبيان والإيضاح وقدم حججه وأدلته فيما فعل، والمسلمون المنصفون يسمعون هذه المصارحة والمحاسبة والمكاشفة، وأورد عثمان ما أخذوه عليه، ثم بين حقيقة الأمر ودافع عن حسن فعله،

وأشهد معه الصحابة الجالسين في المسجد :

1- قـال: قـالوا: إني أتممت الصـلاة في السـفر، وما أتمها قبلي رسـول الله ولا أبو بكر ولا عمـر، لقد أتممت الصـلاة لما سـافرت من المدينة إلى مكـــة، ومكة بلد فيها أهلي فأنا مقيم بين أهلي ولست مسافرا، أكذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم.

2- وقالوا: إني حميت حمى، وضيّقت على المسلمين، وجعلت أرضا واسعة خاصة لرعي إبلي، ولقد كان الحمى قبلي لإبل الصدقة والجهاد، حيث جعل الحمى كل من رسول الله وأبو بكر وعمر، وأنا زدت فيه لما كثرت إبل الصـدقة والجهـاد، ثم لم نمنع ماشـية فقـراء المسـلمين من الـرعي في ذلك الحمى، وما حميت لماشـيتي، ولما وليت الخلافة كنت من أكثر المسـلمين إبلا وغنمـا، وقد أنفقتها كلهـا، ومـالي الآن ثاغية ولا راغيـة، ولم يبق لي إلا بعـيران، خصصـتهما لحجي، أكـذلك؟ فقـال الصحابة: اللهم نعم.

3- وقـالوا: إني أبقيت نسـخة واحـدة من المصـاحف، وحـرقت ما سواها، وجمعت الناس على مصحف واحد، ألا إن القرآن كلام الله، من عند اللـه، وهو واحـد، ولم أفعل سـوى أن جمعت المسـلمين على القرآن، ونهيتهم عن الاختلاف فيه، وأنا في فعلي هـذا تـابع لما فعله أبو بكر، لما جمع القرآن، أكذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم.

4- وقـالوا: إني رددت الحكم بن أبي العـاص إلى المدينـة، وقد كـان رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم نفـاه إلى الطـائف، إن الحكم بن العاص مكي، وليس مدنيا، وقد سيره رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الطائف، وأعاده الرسول صـلى الله عليه وسـلم إلى مكة بعدما رضي عنه، فالرسول صلى الله عليه وسـلم سـيره إلى الطـائف، وهو الذي رده وأعاده، أكذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم.

5- وقالوا: إني استعملت الأحداث ووليت الشباب صغار السـن، ولم أولِّ إلا رجلا فاضلا محتملا مرضيا، وهؤلاء النـاس أهل عملهم فسـلوهم عنهم. ولقد ولى الذين من قبلي من هم أحدث منهم وأصغر منهم سنا، ولقد ولى رسول الله صلى الله عليه وسـلم أسـامة بن زيد وهو أصـغر ممن وليته، وقالوا لرسـول الله صـلى الله عليه وسـلم صـلى الله عليه وسلم أشد مما قالوا لي، أكـذلك؟ قـال الصـحابة: اللهم نعم، إن هـؤلاء الناس يعيبون للناس ما لا يفسرونه ولا يوضحونه.

6- وقالوا: إني أعطيت عبد الله بن سعد بن أبي السرح ما أفاء الله بـه، وإنما أعطيته خمس الخمس -وكـان مئة ألـف- لما فتح أفريقيـة، جـزاء جهـده، وقد قلت لـه: إن فتح الله عليك أفريقية فلك خمس الخمس من الغنيمة نفلا، وقد فعلها قبلي أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- ومع ذلك قال لي الجنود المجاهـدون: إنا نكـره أن تعطيه خمس الخمس ولا يحق لهم الاعـتراض والـرفض، فأخـذت خمس الخمس من ابن سعد ورددته على الجنود، وبذلك لم يأخذ ابن سـعد شـيئا، أكـذلك؟ قال الصحابة: اللهم نعم.

7- وقالوا: إني أحب أهل بيـتي وأعطيهم، فأما حـبي لأهل بيـتي فإنه لم يحملـني على أن أميل معهم إلى جـور وظلم الآخـرين، بل أحمل الحقـوق عليهم وآخذ الحق منهم، وأما إعطـاؤهم فـإني أعطيهم من مـالي الخـاص، وليس من أمـوال المسـلمين، لأني لا أسـتحل أمـوال المسـلمين، ولا لأحد من النـاس. ولقد كنت أعطي العطية الكبـيرة

الرغيبة من صلب مالي أزمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنا يومئذ شحيح حريص، أفحين أتيت على أسنان أهل بيتي، وفني عمري، وجعلت مالي الذي لي لأهلي وأقاربي، قال الملحدون ما قالوا؟ وإني والله ما أخذت من مصر من أمصار المسلمين مالا ولا فضلا، ولقد رددت على تلك الأمصار الأموال، ولم يحضروا إلى المدينة إلا الأخماس من الغنائم، ولقد تولى المسلمون تقسيم تلك الأخماس، ووضعها في أهلها، ووالله ما أخذت من تلك الأخماس وغيرها فِلْسًا فما فوقه، وإنني لا آكل إلا من مالي، ولا أعطي أهلي إلا من مالي.

8- وقالوا: إني أعطيت الأرض المفتوحة لرجال معينين، وإن هذه الأرضين المفتوحة قد اشترك في فتحها المهاجرون والأنصار وغيرهم من المجاهدين، ولما قسمت هذه الأراضي على المجاهدين الفاتحين، منهم من أقام بها واستقر فيها، ومنهم من رجع إلى أهله في المدينةأو غيرها، وبقيت تلك الأرض ملكا له، وقد باع بعضهم تلك الأراضي، وكان ثمنها في أيديهم.

. وقد أشار الصحابة والمسلمون على عثمان بقتل أولئك السبئيين (زعماء الفتنة) بسبب ما ظهر من كذبهم وتزويرهم، ولكن عثمان آثر أن يتركهم، وتركهم يغادرون المدينة ويعودون إلى بلادهم .

الخطوة الأخيرة للهجوم على الخليفة

ويضيف الدكتور الصلابي فيقول :

ثم اتفق أهل الفتنة بعد ذلك فيما بينهم على القيام بخطوتهم العملية النهائية في مهاجمة عثمان في المدينة، وحمله على التنازل عن الخلافة وإلا يقتل، وقرروا أن يأتوا من مراكزهم الثلاثة: مصر والكوفة والبصرة في موسم الحج، وأن يغادروا بلادهم مع الحجاج، وأن يكونوا في صورة الحجاج، وأن يعلنوا للآخرين أنهم خارجون للحج، فإذا وصلوا المدينة، تركوا الحجاج يذهبون إلى مكة لأداء مناسك الحج، واستغلوا فراغ المدينة من معظم أهلها -المشغولين بالحج- وقاموا بمحاصرة عثمان تمهيدا لخلعه أو قتله.

وفي شوال سنة خمس وثلاثين كان أهل الفتنة على مشارف المدينة, خرج المتمردون من مصر في أربع فرق لكل فرقة أمير، ولهؤلاء الأمراء أمير ومعهم شيطانهم عبد الله بن سبأ ، وكان أهل الفتنة من مصر يريدون علي بن أبي طالب خليفة، وكان أهل الفتنة من الكوفة يريدون الزبير بن العوام خليفة، وكان أهل الفتنة من البصرة يريدون طلحة بن عبيد الله وهذا العمل منهم كان بهدف الإيقاع بين الصحابة رضوان الله عليهم، وهو ما ذهب إليه الآجري حيث قال: وقد برأ الله -عز وجل- علي بن أبي طالب وطلحة والزبير رضي الله عنهم من هذه الفرق، وإنما أظهروا ليموهوا على الناس وليوقعوا بين الصحابة، وقد أعاذ الله الكريم الصحابة من ذلك.

علي يحاور الأحزاب

ونزل المتآمرون في ذي المروة، قبل مقتل الخليفة بما يقارب شهرا ونصفا، فأرسل عثمان إليهم عليا ورجلا آخر لم تسمه الروايات،

والتقى بهم علي فقال لهم:
ـ تعطون كتاب الله وتعتبون من كل ما سخطتم، فوافقوا على ذلك.
وفي رواية أنهم شادوه، وشادهم مرتين أو ثلاثا، ثم قالوا:
ـ ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله فقبلوا فاصطلحوا علىخمس:
1ـ المنفي يعود.
2 ـ والمحروم يعطى.
3 ـ ويوفر الفيء.
4 ـ ويعدل في القسم.
5 ـ ويستعمل ذو الأمانة والقوة.
وكتبوا ذلك في كتاب، وأن يرد ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبو موسى على الكوفة .
وهكذا اصطلح عثمان مع كل وفد على حدة ثم انصرفت الوفود إلى ديارها
وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعا راضين تبين لمشعلي الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقق، لذا خططوا تخطيطا آخر يذكي الفتنة ويحييها يقتضي تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمصار وعثمان ، وبرز ذلك فيما يأتي:

الخطاب المشبوه

في أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكبا على جمل يتعرض لهم، ويفارقهم -يُظهر أنه هارب منهم- فكأنه يقول: خذوني، فقبضوا عليه، وقالوا له: ما لك؟ فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان وعليه خاتمه إلى عامله، ففتحوا الكتاب فإذا فيه أمر بصلبهم أو قتلهم، أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوها. ونفى عثمان أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم: إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يمين بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت، ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم، فلم يصدقوه.
وهذا الكتاب الذي زعم هؤلاء المتمردون البغاة المنحرفون أنه من عثمان، وعليه خاتمه يحمله غلامه على واحد من إبل الصدقة إلى عامله بمصر ابن أبي السرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين هو كتاب مزور مكذوب على لسان عثمان، وذلك لعدة أمور:
1- إن حامل الكتاب المزور قد تعرض لهؤلاء المصريين ثم فارقهم، وهو لم يفعل ذلك إلا ليلفت أنظارهم إليه، ويثير شكوكهم فيه، فلو كان من عثمان لخافهم حامل الكتاب المزعوم، وأسرع إلى والي مصر ليضع بين يديه الأمر فينفذه.
2- كيف علم العراقيون بالأمر وقد اتجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن المصريين -الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم- مسافة شاسعة؛ وهذا ما إحتج به علي بن أبي طالب فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا بل إن عليًّا يجزم: هذا والله أمر أبرم بالمدينة.
3- كيف يكتب عثمان إلى ابن أبي السرح بقتل هؤلاء وابن أبي السرح

كـــان عقب خـــروج المتمـــردين من مصر متجهين إلى المدينة كتب إلى الخليفة يســـتأذنه بالقـــدوم عليـــه، وقد تغلب على مصر محمد بن أبي حذيفــة، وفعلا خــرج ابن أبي الســرح من مصر إلى العــريش وفلســطين فالعقبة، فكيف يكتب له عثمان بقتلهم وعنده كتابه الـذي يسـتأذنه به منه بالقدوم عليه؟

4- إن عثمـان قد نهى عن قتل المتمـردين عنـدما حاصـروه وأبى على الصحابة أن يـدافعوا عنـه، ولم يـأمر بقتـال الخـارجين دفاعا عن نفســه، فكيف يكتب مثل هــذا الكتــاب المــزور وقد خرجــوا عنه من المدينة مظهرين التوبة والإنابة.

5- تخلف حُكيم بن جبلة والأشـــــتر النخعي (وهما من زعمـــــاء المتآمرين)-بعد خروج المتمردين- في المدينة يشير إشارة واضـحة إلى أنهما هما اللـــــذان افتعلا الكتــــاب، إذ لم يكن لهما أي عمل بالمدينة ليتخلفا فيها، وما مكثا إلا لمثل هذا الغـرض، فهما صـاحبا المصـلحة في ذلك. وليس لمروان بن الحكم أية مصلحة، والذين يتهمـون مـروان في هذا إنما ينسبون إلى الخليفة الغفلة عن مهامه، وأن في ديـوان الخلافة من يجري الأمـور ويقضي بها دون علمـه، وبـذلك يـبرئون سـاحة أولئك المجرمين الناقمين، الغادرين، ثم لو أن مروان زور الكتاب لكان أوصى حامل ذلك الكتاب أن يبتعد عن أولئك المنحـرفين، ولا يتعـرض لهم في الطريق حتى يأخذوه وإلا لكان متآمرا معهم على عثمان، وهذا محال.

6- إن هذا الكتاب المشئوم ليس أول كتاب يزوره هؤلاء المجرمون، بل زوروا كتبا على لسـان أمهـات المؤمـنين، وكـذلك على لسـان علي وطلحة والزبـــير، فهـــذه عائشة -رضي الله عنهـــا- تُتهم بأنها كتبت إلى النـاس تـأمرهم بـالخروج على عثمـان فتنفي وتقـول: لا والـذي آمن به المؤمنـون, وكفر به الكـافرون، ما كتبت لهم سـوداء في بيضـاء حـتى جلست مجلسي هذا.

ونقول نحن بتواضع ودهشة ، لحسم هذا الأمر لمـاذا لم تقم أي جهة باستجواب حامل هذا الخطاب الهـام ــ والـذي تـرتب على ظهـوره إلى ساحة الأحداث فوران الفتنة وتصاعدها إلى أقصى مدى لها ـ للوقــوف على الحقيقة..؟

ومن المثير للدهشة أيضا أن أياً من كتب التراث لم تحمل مثل هــذا السـؤال!.. مع أنه السـؤال الوحيد الـذي كـان من المفـترض أن يسـأل وتتناقله الروايات بدلا من الخوض في نيات الناس وضمائرهم أو سـبهم واتهامهم بلا دليل..!

ولعل التفسـير الوحيد لهـذا هوتعمد عـدم الخـوض في هـذه النقطة إمعانا في الفتنة وتغييبا للحقيقة وهي لعمـري مقصد المغرضـين قـديما وحديثا .

استسلام الخليفة لقدره وموقف الصحابة

أخــرج ابن عســاكر عن جــابر بن عبد الله أن عليا أرسل إلى عثمــان فقال: إن معي خمسـمائة دارع، فـأذن لي فأمنعك من القـوم، فإنك لم تحدث شيئا يستحل به دمك، فقـال: ـ"جُـزيت خـيرا، ما أحب أن يهـراق دم في سببي."

ويقـول ابن سـيرين: كـان مع عثمـان في الـدار سـبعمائة، لو يـدعهم لضربوهم إن شاء الله حـتى يخرجـوهم من أقطارهـا، منهم: ابن عمـر، والحسن بن علي، وعبد الله بن الزبـــير. وبـــذلك يظهر زيف ما أتهم به الصحابة مهاجرين وأنصارا من تخاذل عن نصرة عثمان ، وكل ما روي في ذلك فإنه لا يســـلم من علة إن لم تكن عللا قادحة في الإســـناد والمتن جميعا.

ولما رأى بعض الصحابة إصرار عثمان على رفض قتـال المحاصـرين، وأن المحاصرين مصـرون على قتلـه، لم يجـدوا حيلة لحمايته سـوى أن يعرضوا عليه مساعدته في الخروج إلى مكة هربا من المحاصرين، فقد روى أن عبد الله بن الزبـير، والمغـيرة بن شـعبة، وأسـامة بن زيـد، عرضوا عليه ذلـك، وكـان عرضـهم متفرقـا، فقد عـرض كل واحد منهم عليه ذلك على حدة، وعثمان يرفض كل هذه العروض.

هـام : هل يعقل بعد ما قـرأ آنفا أن يكـون كبـار الصـحابة قد تخـاذلوا وتهاونوا في حق خليفتهم وأسلموه لأعدائه..؟

موقف أمهات المؤمنين وبعض الصحابيات:

1ـ أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما:

كـــان موقف الســـيدة أم حبيبة أم المؤمـــنين من المواقف البالغة الخطر في هذه الأحداث، ذلك أنه لما حوصر عثمـان ومنع عنه المـاء، سرَّح عثمان ابنا لعمـرو بن حـزم الأنصـاري - من جـيران عثمـان - إلى علي بأنهم قد منعونا الماء، فإن قدرتم أن ترسـلوا إلينا شـيئا من المـاء فافعلوا، وإلى طلحة وإلى الزبـير وإلى عائشة وأزواج النـبي صـلى الله عليه وسلم ، فكـان أولهم إنجـادا له علي وأم حبيبـة. جـاءت أم حبيبـة، فضربوا وجه بغلتها، و مالت راحلتها، فتعلقوا بها وقد كادت تقتل.

2- صفية زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وما فعلته الســـيدة أم حبيبة فعلت مثله الســـيدة صـــفية رضي الله عنهـا؛ فلقد روي عن كنانة قـال: كنت أقـود بصـفية لـتردَّ عن عثمـان، فلقيها الأشـــتر، فضـــرب وجه بغلتها حـــتى مـــالت، فقـــالت: ذروني لا يفضحني هذا، ثم وضعت خشبا من منزلها إلى منزل عثمـان تنقل عليه الطعام والماء.

3- عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

ولما حدث ما حدث للسـيدة أم حبيبة أعظمه النـاس جـدا، فخـرجت عائشة -رضي الله عنهـــــــــــا- من المدينة وهي ممتلئة غيظا على المتمـردين، وجاءها مـروان بن الحكم، فقـال: أم المؤمـنين، لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجـل، فقـالت: أتريد أن يصـنع بي كما صـنع بأم حبيبـة، ثم لا أجد من يمنعـني وخـرجت للحج مع أمهـات المؤمـنين، ولم يكن هـذا الخـروج هربا محضــا، وإنما كـان محاولة منهن لتخليص عثمان من أيدي هؤلاء المفتونين، الذين كان منهم محمد بن أبي بكر، أخو السيدة عائشة رضي الله عنها، الذي حاولت أن تسـتتبعه معها إلى الحج فأبى.

فقـالت السـيدة عائشـة: أما والله لو اسـتطعت أن يحـرمهم الله ما يجولون لأفعلن.

استشهاد عثمان *35 هجرية*

تحركت بعض جيوش الأمصار لنجدة الخليفة، وكادت أيـام الحج تنقضي سـريعا وتوشك جماعـات من هـؤلاء أن تزحف إلى المدينة للتصـدي لهؤلاء الخارجين الذين قرروا الإسراع بقتل عثمان رضي الله عنه.

وفي آخر أيام الحصار - وهو اليوم الذي قتل فيه- نـام فأصبح يحـدِّث الناس: ليقتلني القوم ثم قال:

ـ " رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنـام، ومعه أبو بكر وعمـر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا عثمان أفطر عندنا"

فأصبح صائما وقتل من يومه.

هـاجم المتمـردون الـدار فتصـدى لهم الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص، ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم، فنشب القتال فناداهم عثمـان: الله اللـه، أنتم في حل من نصرتي، فأبوا، ودخل غلمان عثمان لينصروه، فـأمرهم ألا يفعلوا؛ بل إنه أعلن أنه من كف يده منهم فهو حر.

وقـال عثمـان في وضـوح وإصـرار وحسـم، وهو الخليفة الـذي تجب طاعته:

ـ أعزم على كل من رأى أن عليه سمعا وطاعة إلا كف يده وسلاحه.

وكان المغيرة بن الأخنس بن شـريق فيمن حج ثم تعجل في نفر حجـوا معـه، فـأدرك عثمـان قبل أن يقتـل، ودخل الـدار يحمي عنه وقـال: ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى نموت؟ فأقـدم المتمردون على حرق الباب والسقيفة، فثار أهل الدار -وعثمان يصلي- حتى منعـوهم، وقاتل المغـيرة بن الأخنس والحسن بن علي ومحمد بن طلحة وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم وأبو هريـرة، فـأبلوا أحسن البلاء وعثمـان يرسل إليهم في الانصـراف دون قتـال، ثم ينتقل إلى صلاته،فاستفتح قوله تعالى: "طه ، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْـكَ الْقُـرْآنَ لِتَشْـقَى إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَّخْشَى" [طه: 1-3]

وكان سريع القراءة، فما أزعجه ما سـمع، ومضى في قراءته ما يخطئ وما يتعتـع، حـتى إذا أتى إلى نهايتها قبل أن يصـلوا إليه ثم دعا فجلس وقرأ: "قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَـانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ" [آل عمران: 137].

وأصيب يومئذ أربعة من شـبان قـريش وهم: الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن الحكم وقتل المغـيرة بن الأخنس، ونيار بن عبد الله الأسلمي وزياد الفهري، واستطاع عثمان أن يقنع المـدافعين عنـه، وألـزمهم بـالخروج من الـدار، وخلى بينه وبين المحاصـرين، فلم يبق في الـدار إلا عثمـان وآلـه، وليس بينه وبين المحاصرين مدافع ولا حام من الناس، وفتح باب الدار .

وبعد أن خـرج من في الـدار ممن كـان يريد الـدفاع عنـه، نشر المصحف بين يديه، وأخذ يقرأ منه وكان إذ ذاك صائما.

ألا يجب علينا أن نتوقف طويلا أمام هذا المشهد الـدرامي الـذي بلغ أسمى درجات الطهر. .؟!

نحن أمام انسان ارتفع بروحه إلى درجة ملائكية نادرة . تـرى كم منا من يمكنه إسـتقبال موته بهـذه الكيفية وبهـذا الهـدوء واليقين؟..كم منا من يمكنه أن يودع الدنيا هذا الوداع المستحيل ويجعل آخر عهده بها أن

يكـــون كتــاب الله آخرما تصــافحه عينــاه، وأن يكـــون رنين تلاوة آياته الشـــريفة آخرما ينطقه لســانه ، وأن يكـــون صـــوت رســـول الله عليه الصلاة والسلام ونبؤته ملؤ عقله وروحـه؟..كم منـامن يمكنه أن يفـارق أحبابه وفلــذات أكبــاده بإرادته وبمثل رحابة الصــدر الــتي بــدا عليه ذو النورين ، ولا يفكر إلا في صحبة الحبيب محمد بدار الخلد ..؟

يمكننا نحن الآن فقط أن نتخيل هـذا الشـيخ المهيب ونبكي من أجله ، وأن نلعن قاتليه ، ولكن لحظتها كان للمتربصين به موقف مغاير تماما لما كان عليه خليفتنا الشهيد رضي الله عنه ، ولما نحن عليه الآن.

يقول الدكتور الصلابي واصـفا لحظة الغـدر الخسـيس في كتابه عن ذي النورين :

فإذا برجل من المحاصرين يخنقه قبل أن يضربه بالسيف ، فقتل والمصـحف بين يديـه، وعلى أثر قطع اليد انتضح الـدم على المصـحف الذي كان بين يديه يقرأ منه، وسقط على قوله تعالى:

"فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" [البقرة: 137].

جنازته والصلاة عليه ودفنه

قـام نفر من الصـحابة في يـوم قتله بغسـله وكفنـوه وحملـوه على باب، ومنهم: حكيم بن حزام، وحـويطب بن عبد العـزى، وأبو الجهم بن حذيفة، ونيار بن مكرم الأسلمي، وجبير ابن مطعم، والزبير بن العـوام، وعلي بن أبي طالب، وجماعة من أصحابه ونسـائه، منهن امرأتـاه نائلة وأم البنين بنت عتبة بن حصين، وصبيان، والـذي يـرجح أن الـذي صـلى عليه كان الزبـير بن العـوام لرواية الإمـام أحمد في مسـنده؛ فقد بينت تلك الرواية أن الزبـير بن العـوام صـلى على عثمـان ودفنـه, وكـان أوصى إليـه, وقد دفن ليلا، وقد أكد ذلك ما رواه ابن سـعد والـذهبي؛ حيث ذكـرا أنه دفن بين المغـرب والعشـاء, رضـوان الله عليـه، وأما ما رواه الطبراني من طريق عبد الملك بن الماجشون قال: سمعت مالكا يقول: قتل عثمان فأقام مطروحا على كناسة بني فلان ثلاثا، فالرواية السابقة ضعيف سندها، وباطل متنها، فأما السند ففيه علتان:

أ- ضـعف عبد الملك بن الماجشـون الـذي كـان يـروي المنـاكير عن الإمام مالك.

ب- أن هـذه الرواية مرسـلة؛ حيث إن الإمـام مالكا لم يـدرك مقتل عثمان ، لأنه لم يولد إلا سنة 93هـ.

وأما متن هذه الرواية فباطـل، وفيه يقـول ابن حـزم: من قـال إنه أقام مطروحا على مزبلة ثلاثة أيام فكذب بحت، وإفك موضـوع، وتوليد من لا حيــاء في وجهــه، ولقد أمر رســول الله صـلى الله عليه وســلم بــرمي أجســاد قتلى الكفــار من قــريش يــوم بـدر في القليب, وألقى الــتراب عليهم وهم شر خلق الله تعــالى، وأمر عليه الســلام أن يحفر أخاديد لقتلى يهود قريظة، وهم شر من وارته الأرض، فمواراة المـؤمن والكـافر فـرض على المسـلمين، فكيف يجـوز لـذي حيـاء في وجهه أن ينسب إلى علي وهو الإمام, ومن بالمدينة من الصحابة أنهم تركوا رجلا ميتا بين أظهرهم على مزبلة ثلاثة أيام لا يوارونه

موقف محمد بن أبي بكر

إن قاتل عثمان رجل مصري، لم تفصح الروايات عن اسمه، وبينت أنه سدوسي الأصل، أسود البشرة، لقب بـ (جبلة) لسواد بشرته.

وأما ما يتعلق بتهمة محمد بن أبي بكر بقتل عثمان بمشاقصه، فهذا باطل، وقد جاءت روايات ضعيفة في ذلك، كما أن متونها شاذة لمخالفتها للرواية الصحيحة التي تبين أن القاتل هو رجل مصري وقد ذكر الدكتور يحيى اليحيى عدة أسباب ترجح براءة محمد بن أبي بكر من دم عثمان، منها:

أ- أن عائشة -رضي الله عنها- خرجت إلى البصرة للمطالبة بقتلة عثمان، ولو كان أخوها منهم ما حزنت عليه لما قتل فيما بعد.

ب- لعن علي لقتلة عثمان وتبرؤه منهم، يقتضي عدم تقريبهم وتوليتهم، وقد ولي محمد بن أبي بكر مصر، فلو كان منهم ما فعل ذلك.

ج- ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن محمد بن طلحة بن مصرف قال: سمعت كنانة مولى صفية بنت حيي قال: شهدت مقتل عثمان وأنا ابن أربع عشرة سنة، قالت: هل أندى محمد بن أبي بكر بشيء من دمه؟ فقال: معاذ الله، دخل عليه، فقال عثمان: يا ابن أخي لست بصاحبي فخرج، ولم يند من دمه بشيء.

د ـ وأخرج خليفة بن خياط والطبري بإسناد رجال ثقات عن الحسن البصري -وكان ممن حضر يوم الدار- أن ابن أبي بكر أخذ بلحيته، فقال عثمان: لقد أخذت مني مأخذا أو قعدت مني مقعدا، ما كان أبوك ليقعده فخرج وتركه.

قال علي بن أبي طالب لما علم بمقتل عثمان: رحم الله عثمان، إنا لله وإنا إليه راجعون، قيل له: إن القوم نادمون، فقرأ قوله تعالى: "كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ" [الحشر: 16، 17].

(شذرات الذهب في أخبار من ذهب)

أما كتاب (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي فقد ذكر الفتنة فقال :

(سنة34 وفي آخرها حاصر المصريون أمير المؤمنين عثمان نحو شهرين وعشرين يوماً ثم اقتحم عليه أراذل من أوباش القبائل فقتلوه والصحيح أنه لم يتعين قاتله وكانوا أربعة آلاف واشتهر عنه أنه قال لأرقائه عن أغمد سيفه فهو حر فأغمدوها إلا واحداً قاتل حتى قتل.

وكانوا مائة عبد وقيل أربعمائة وأن عليا رضي الله عنه أرسل إليه ابنه الحسن وقال له أن شئت أتيتك للنصر فقال إن رسول الله قال لي إن قاتلتهم نصرت عليهم أن لم تقاتلهم أفطرت عندنا الليلة وأنا أحب أن أفطر عند رسول الله وجاءه عبد الله بن سلام لينصره فقال له أخرج إليهم فإنك خارجاً خير لي من داخل فخرج فقال لهم أيها الناس إن لله سيفاً مغموداً عليكم وإن الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل

فيه نبيكم فالله الله في هذا الرجل أن تقتلوه فتطردوا جـيرانكم ويسل سيف الله المغمد فلا يغمد إلى يوم القيامة فقالوا اقتلوا اليهودي.
ولا شك أن الـــدماء المهراقة عقب قتله والملاحم بين علي ومعاوية عقوبة من الله بقتل عثمـان وانفتح بـاب الشر من يومئـذٍ وقد صـحت الأحاديث بأن له الجنة على بلوى تصيبه وأنه شـهيد سـعيد وقتلـوه يـوم الجمعة ثـاني عشر ذي الحجة والمصـحف بين يديه فتنضخ الــدم على قوله تعالى (فسـيكفيكم الله وهو السـميع العليم) وعمـره يومئـذٍ بضع وثمانون أو وتسعون سـنة ومـدة خلافته اثنتا عشـرة سـنة وأيـام ودفن بالبقيع بموضع يعرف" بحش كوكب" وكـان قد اشـتراه ووقفه زاده في البقيع وكان إذا مر به يقول" يدفن فيك رجل صالح"
وهكذا قتل الخليفة ، ووري التراب وأسدل السـتار عن حقبة في تـاريخ الإسلام لتبدأ حقبة أخرى خطط لها الأعداء بدقة
بحيث يظل لهيب الفتنة متقدا على الدوام .
إن الشـبهات الـتي صـنعها أعـداء الخليفة ذي النـورين حــول شخصه بالقدح، أثاروا مثلها حول الخليفة الجديد وأعني به الإمام علي كرم الله وجهه ، ولكن هذه المرة بالمدح ، وبقدحهم في عثمان وبمـدحم علي ــ رضي الله عنهما ــ كـانوا يسـيرون وفق خطتهم الجهنمية للإجهـاز على الإسلام ووحدة المسلمين كما ستتضح الصورة عبر الصفحات القادمة .
فقد بـــدأ اللغط والخـــوض في حق علي رضي الله عنه واتهامه بـــدم عثمان لعدة أسباب ـ هو منها برئ ـ مثل :

جاء في كتاب صفوة الصفوة :
عن سليمان بن موسى أن عثمان بن عفـان دعي إلى قـوم كـانوا على أمر قبيح فخرج إليهم فوجدوهم قد تفرقـوا ورأى أمـرا قبيحا فحمد الله إذ لم يصادفهم واعتق رقبة.

بداية اللغط في حق علي رضي الله عنه

1 ـ قيام محمد بن أبي بكر بدور في تأليب الناس بمصر ومشاركته في حصر عثمان ، وجدير بالذكر أن محمد بن أبي بكر تربي في حجر وبيت علي رضي الله عنه ، حيث أنه كان ابنا للسيدة أسـماء بنت عميس من الصديق رضوان الله عليه ، وحين مـات الصـديق تـزوج بها الإمـام علي وقام بتربية محمد.
2 ـ تعظيم الأحزاب للإمام علي واستماعهم له وقبول توبيخه لهم.
3 ـ اتفـاق أهل مصر من الأحـزاب على تولية الإمـام علي الخلافة بـدلا من عثمان .
4 ـ رفض الإمام علي الانتقام من قتلة عثمان رضي الله عنه فور توليه الخلافة مباشرة لحكمة ارتأها .

5 ـ انتقــال الإمــام علي من المدينة إلى الكوفة مع هــذه الأحــزاب الخارجة بعد أن تقلد منصب الخلافة .
ويمكننا الرد على ذلك فنذكر بمواقفه الآتية:
1 ـ رده للأحزاب ومناظرته لهم حين عتبوا على عثمان رضي الله عنه
2 ـ رفضه لقول أهل مصر من الأحـزاب بأحقيته بتـولي الخلافة وتعنيفه لهم .
3 ـ طلبه من الخليفةأن يسمح له بالــدفاع عنه حين حوصر ، وحين أبى عثمـان رضي الله عنه دفع بالحسن والحسـين لمرافقة عثمـان تحسـبا لما قد يحــدث ، ويكفي أن آخــرمن خــرج من عند الخليفة بعد أن أمر الجميع بالانصراف عنه كان الحسن بن علي .
4 ـ و ما ذنب الإمـام علي في كونه مطاعا ومحبوبا من النـاس ، ومنهم الأحزاب وهوعلي بن أبي طالب بكل ما يحمل من تـاريخ وعظمة دفاعا عن الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم ..؟
5 ـ وقد تبـدت مع الأيــام صـحة وجهة نظر الإمــام علي في ضــرورة التمهل في القـــــود من قتلة الخليفة (انظر موقعة الجمل وحـــــوار القعقاع مع السيدة عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم جميعا)
6 ـ حين سمع السيدة عائشة رضي الله عنها أثنـاء موقعة الجمل تـدعو على قتلة عثمــان شــاركها في الــدعاء عليهم ، كما أنه وفي أول الأمر تبرأ إلى الله من دم الخليفة وهو في ذلك صادق .
7 ـ أثناء موقعة الجمل وانصرافه بعد أن توصل القعقاع إلى الصــلح مع السيدة عائشة وطلحة والزبـير رضي الله عنهم جميعا وهم بالإنصـراف طلب ألا يأتي معه وألا ينضم بجيشه أحدا ممن شــارك في قتل الخليفة بأي صورة من الصور.
8 ـ أما انتقــال الإمــام علي إلى الكوفة فكـان لعـدة أسـباب منها خلو المدينة من معظم كبار الصحابة ،والعدد القليل من سكان المدينة الذي استجاب لدعوة الإمام لحـرب أهل الشـام ، وأهمها أن هـؤلاء الأحـزاب الذين خرجـوا على الخليفة وقتلـوه آخرالأمر كـانوا يبـدون حبهم للإمـام وكانوا يشكلون عصب الجيش الذي خرج لقتال أهل الشام .
ويقول العقاد في كتابه (عبقرية الإمام) معلقا على هذه النقطة :
"كان التنافس عنده ــ عنـدالإمام علي ــ علىأشـده بين العاصـمتين الحجــازيتين وبين الكوفة ، لا يرضي أهل المدينة بما يرضي أهل مكة ، ولا يرضي أهل الكوفة بما يرضي به هؤلاء وهؤلاء.حتى ضاق به المقــام في الحجاز وأوى إلى الكوفة مأوى " المستجير من الرمضاء بالنار"
وكانت قبائل البادية تنفس على قـريش غنـائم الولاية ومناصب الدولة ، وينظــرون إليهم نظــرة المســتأثر بجـاه الــدين والــدنيا وحق الخلافة والسطوة ، وكان أحجى بـالولاة أن يخفوها ويتلطفـوا في اصـلاحها ، أو تبـديلها ما اسـتطاعوا لها من إصـلاح وتبـديل ، ولكنهم على نقيض ذلك كانوا يبـاهون بها ويجهـرون بحـديثها حـتى قـال سـعيد بن العـاص والي الكوفة :
(" إنما السواد بستان لقريش ! ")

قد يكـون ما نقله وفسـره العقـاد بطريقته الخاصة لايتضـمن الحق كل الحق ، لاسيما وأن له مواقف جادة ضد معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ووصفهما صراحتة بأنهما من أهل الدنيا وربما سخروا الـدين لتحقيق مآربهما ــ وهـذا ما لا نتفق معه بشـأنه، ولكـني أعتقد أن كلامه يعطي بعض التفسـير بشـأن الفتنة والسـبب الـذي حـدا بالإمـام علي للخروج من المدينة

نقاط هامة يجب الوقوف عندها

حقيقة ولاة عثمان رضي الله عنه

هذه النقطة على وجه التحديد كانت مثار خلاف شـديد ، وقد كـانت من أول المآخذ الـتي أخـذها المتمـردون على ذي النـورين ، فما هو قـدر الصواب والخطأ فيما أثير حولها..؟

ويجيب على هذا السؤال بدقة الدكتور/علي محمد الصلابي فقال ضمن ما قاله:

ـ يكثر المؤرخون من الحديث عن محاباة عثمان أقاربه وسـيطرتهم على أزِمَّة الحكم في عهده، حتى أثاروا عليه نقمة كثير من النـاس، فثاروا ناقمين عليه إطلاقه يد ذوي قرباه في شئون الدولة. وأقارب عثمـــان الـــذين ولاهم : أولهم معاويـــة، والثـــاني عبد الله بن أبي السرح، الثـالث الوليد بن عقبـة، الرابع سـعيد بن العـاص، الخـامس عبد الله بن عامر، هؤلاء خمسة ولاهم عثمان وهم من أقاربه، وهـذا في زعمهم مطعن عليه فلننظر أولا من هم ولاة عثمـــان ، هم: أبو موسى الأشـعري، القعقـاع بن عمـرو، جـابر المـزني، حـبيب بن مسلمة، عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، أبو الأعور السـلمي، حكيم بن سـلامة، الأشـعث بن قيس، جرير بن عبد الله البجلي، عيينة بن النهاس، مالك بن حبيب، النسير العجلي، السائب بن الأقرع، سـعيد بن قيس، سـلمان بن ربيعـة، خـنيس بن حـبيش، الأحنف بن قيس، وعبد الـــرحمن بن ربيعـــة، ويعلى بن مُنَيـــة، وعبد الله بن عمـــرو الحضرمي، وعلي بن ربيعة بن عبد العزى. هؤلاء هم ولاة عثمـان ، يعني لو أخذنا إحصائية لوجدنا أن عـدد الـولاة ثمانية عشر واليـا، ألا يصح أن يكـون خمسة من بـني أمية يسـتحقون الولايـة، وبخاصة إذا علمنا أن النبي صلى الله عليه وسـلم كـان يـولي بـني أمية أكـثر من غيرهم، ثم يقال بعد ذلك: إن هؤلاء الولاة لم يكونـوا كلهم في وقت واحد، بل كان عثمان قد ولى الوليد بن عقبة ثم عزله فولى مكانه سعيد بن العاص، فلم يكونوا خمسة في وقت واحد، وأيضا لم يتوف عثمان إلا وقد عزل أيضا سعيد بن العاص، فعندما تـوفي عثمـان لم يكن من بني أمية من الولاة إلا ثلاثة وهم: معاوية وعبد الله بن سعد بن أبي السـرح، وعبد الله بن عـامر بن كريز فقـط، عـزل عثمـان الوليد بن عقبة وسـعيد بن العـاص، ولكنه عزلهما من أين؟ من الكوفة الـتي عـزل منها عمر سعد بن أبي وقـاص، الكوفة الـتي لم ترضَ بوال أبدا؛ إذ عزل عثمان لأولئك الـولاة لا يعتـبر مطعنا فيهم

بل مطعن في المدينة التي ولوا عليها
إن بني أمية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعملهم في حياته واستعملهم بعده من لا يتهم بقرابة فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولا نعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من بني عبد شمس؛ لأنهم كانوا كثيرين، وكان فيهم شرف وسؤدد، فاستعمل النبي صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد بن أبي العاص على مكة، وأبا سفيان بن حرب على نجران، وخالد ابن سعيد على صدقات بني مذجح، وأبان بن سعيد على بعض السرايا ثم على البحرين، فعثمان لم يستعمل إلا من استعمله النبي صلى الله عليه وسلم ومن جنسهم وقبيلتهم، وكذلك أبو بكر وعمر بعده؛ فقد ولى أبو بكر يزيد بن أبي سفيان في فتوح الشام، وأقره عمر، ثم ولى عمر بعده أخاه معاوية.
إن الولاة الذين ولاهم عثمان من أقاربه قد أثبتوا الكفاية والمقدرة في إدارة شئون ولاياتهم، وفتح الله على أيديهم الكثير من البلدان، وساروا في الرعية سيرة العدل والإحسان, ومنهم من تقلد مهام الولاية قبل ذلك في عهد الصديق والفاروق رضي الله عنهما.
وكان محمد بن مسلمة وطلحة بن عبيد الله وغيرهما قد تأثوا لما سمعوا من الإشاعات التي بثها عبد الله بن سبأ في الأمصار، فدخلوا على أمير المؤمنين عثمان وأشاروا عليه أن يبعث رجالا ممن يثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بخبرهم، فتخير نفرا من الصحابة لا يختلف اثنان في صدقهم وتقواهم وورعهم، اختار محمد بن مسلمة الذي كان عمر يأتمنه على محاسبة ولاته والتفتيش عليهم في الأقاليم، وأسامة بن زيد حِبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حِبِّه، وعمار بن ياسر السبَّاق إلى الإسلام، والمجاهد العظيم، وعبد الله بن عمر، التقي الفقيه الورع. فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامة إلى البصرة، وعمار إلى مصر، وابن عمر إلى الشام، وكانوا على رأس جماعة، فأرسلهم إلى تلك الأمصار الكبيرة، فمضوا جميعا إلى عملهم الشاق المضني الخطير العظيم، ثم عادوا جميعا عدا عمار بن ياسر الذي استبطأ في مصر ثم عاد، وقدموا بين يدي أمير المؤمنين ما شاهدوه وسمعوه وسألوا الناس عنه. وكان ما جاء به هؤلاء واحد في كل الأمصار، وقالوا: أيها الناس، ما أنكرنا شيئا، ولا أنكر المسلمون إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم، ويقومون عليهم. وأما ما روي من اتهام عمار بن ياسر بالتأليب على عثمان فإن أسانيد الروايات التي تتضمن هذه التهمة ضعيفة، لا تخلو من علة، كما أن في متونها نكارة.
وعند هذه النقطة بالذات يجب علينا فحص الملف الشخصي لهؤلاء النفرالذين طالتهم ألسنة الموتورين للوقوف على جلية الأمر.

أولاً: معاوية بن أبي سفيان

1- من القرآن الكريم
اشترك معاوية في غزوة حنين، قال تعالى: "ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ" [التوبة: 26].
فمعاوية من الذين شهدوا غزوة حنين، وكان من المؤمنين الذين

أنزل الله سكينته عليهم مع النبي صلى الله عليه وسلم.

2- من السنة:

دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاويةوتلك فضيلتين تفرد بهما:

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به».

وقوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم علِّم معاوية الكتاب والحساب، وقِهِ العذاب»

.وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا».قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله، أنا فيهم؟ قال: «أنت فيهم»، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم»، فقلت -أي أم حرام-: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا. قال المهلب: في هذا الحديث منقبة لمعاوية؛ لأنه أول من غزا البحر.

3- ثناء أهل العلم على معاوية :

أ- ثناء عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- عليه:

قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، فإنه ما أوتر إلا بواحدة، قال: إنه فقيه.

ج- ثناء أحمد بن حنبل

سئل الإمام أحمد: ما تقول - رحمك الله- فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول إنه خال المؤمنين فإنه أخذها بالسيف غصبا؟ قال أبو عبد الله: هذا قول سوء رديء، يجانبون هؤلاء القوم ولا يجالسون، ونبين أمرهم للناس

هـ- ثناء ابن تيمية على معاوية :

قال عنه ابن تيمية: «... فإن معاوية ثبت عنه بالتواتر أنه أمَّرَه النبي عليه الصلاة والسلام كما أمر غيره، وجاهد معه، وكان أمينا عنده يكتب له الوحي، وما اتهمه النبي صلى الله عليه وسلم في كتابة الوحي، وولاه عمر بن الخطاب الذي كان من أخبر الناس بالرجال، وقد ضرب الله الحق على لسانه وقلبه، ولم يتهمه في ولايته».

و- ثناء ابن كثير عليه:

قال عنه ابن كثير: وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين، فلم يزل مستقلا بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو. وقال أيضا: كان حليما, وقورا، رئيسا، سيدا في الناس، كريما، عادلا, شهما. وقال عنه أيضا: كان جيد السيرة، حسن التجاوز، جميل العفو، كثير الستر، رحمه الله تعالى.

4 - روايته للحديث:

يعد معاوية من الذين نالوا شرف الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومرد ذلك إلى ملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة، لكونه صهره وكاتبه صلى الله عليه وسلم. هذا وقد روى معاوية مائة وثلاثة وستين حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، اتفق له البخاري ومسلم على أربعة أحاديث، وانفرد

البخاري بأربعة ومسلم بخمسة. وكانت سيرة معاوية مع الرعية في ولايته من خير سير الولاة، مما جعل الناس يحبونه، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيار أئمتكم - حكامكم - الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم – تدعون لهم - ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم»

ثانيًا: عبد الله بن عامر بن كريز

ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في السنة الرابعة للهجرة. وعندما اعتمر الرسول الكريم × في السنة السابعة للهجرة عمرة القضاء، ودخل مكة حمل إليه عبد الله بن عامر، قال ابن حجر: «... فتلمظ وتثاءب، فتفل رسول الله في فيه، وقال: «هذا ابن السلمية؟» قالوا: نعم، فقال: «هذا أشبهنا» وجعل يتفل في فيه ويعوذه، فجعل يبتلع ريق النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنه لمسقى. فكان لا يعالج أرضا إلا ظهر له الماء.

وأشاد ابن سعد به قائلا: كان عبد الله شريفا، سخيا كريما كثير المال، والولد، محبا للعمران.

وقال عنه إبن حجر: كان جوادا كريما ميمونا.. جريئا شجاعا, وكان يعتبر من أجود أهل البصرة, ومن أجود أهل الإسلام.

وكان لعبد الله بن عامر أثر حميد في الفتوحات؛ فقد تمكن من القضاء على آمال الفرس بشكل تام، عندما قضى على آخر رمق من الأمل الفارسي القديم، وذلك بقضائه على آخر ملوكهم يزدجر بن شهريار بن كسرى، وخرزاد مهر أخي رستم اللذين تزعما المعارضة الفارسية ضد المسلمين.

وهو الذي شق نهر البصرة،

وقال فيه الذهبي: وكان من كبار أمراء العرب وشجعانهم وأجوادهم، وكان فيه رفق وحلم.

ثالثًا: الوليد بن عقبة

كان الوليد بن عقبة من رجال الدولة الإسلامية على عهد أبي بكر وعمر اللذين كانا يتخيران للأعمال ذوي الكفاءة والأمانة من الرجال، وأول عمل له في خلافة الصديق أنه كان موضع السر في الرسائل الحربية التي دارت بين الخليفة وقائده خالد بن الوليد في وقعة المذار مع الفرس وشهد له بظهر الغيب قاضي من أعظم قضاة الإسلام في التاريخ علما وفضلا وإنصافا، وهو التابعي الجليل الإمام الشعبي؛ فقد أثنى على غزوه وإمارته. وقد كان الوليد أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم، وقد أمضى خمس سنين وليس في داره باب. وقد قال عثمان: ما وليت الوليد لأنه أخي وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوأمة أبيه، والولاية اجتهاد.

أ ـ هل ثبت بأن الوليد نزلت فيه الآية "إِن جَاءَكُمْ فَاسِقُ"؟

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقُ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ" [الحجرات: 6].

يتناقل الرواة في ذلك قصة تقول: (إن رسول الله صلى الله عليه

وسلم بعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق مصدقا، فأخبر عنهم أنهم ارتدوا، وأبوا في أداء الصدقة، وذلك أنهم خرجوا إليه فهابهم ولم يعرف ما عندهم، فانصرف عنهم، وأخبر بارتدادهم، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت فيهم، فأخبروه أنهم متمسكون بالإسلام، ونزلت الآية. وقد جاءت روايات عديدة وليس للقصة سند موصول صحيح، وأقل ما يوصف به سند القصة أنه ضعيف.

ومما يعكر على رواية إرسال الوليد بن عقبة لجمع صدقات بني المصطلق ويعارضها حديث موصول السند إلى رجال ثقات، أن الوليد بن عقبة كان يوم الفتح صغيرا ومن كان في سنه لا يرسله النبي صلى الله عليه وسلم عاملا، فعن فياض بن محمد الرقي، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجاج الكلابي، عن عبد الله الهمداني (أبي موسى) عن الوليد بن عقبة قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيمسح على رؤوسهم ويدعو لهم فجيء بي إليه، وإني مطيب بالخلوق، ولم يمسح على رأسي، ولم يمنعه من ذلك إلا أن أمي خلقتني بالخلوق، فلم يمسني من أجل الخلوق.

إن القصة لعبت بها الأهواء المذهبية؛ فالوليد أموي عثماني، والذي أقحم اسم الوليد في قصة سبب نزول الآية شيعي رافضي (محمد بن السائب الكلبي)، قال عنه ابن حجر: كان يعد من شيعة أهل الكوفة، وقال ابن حجر: كان بالكوفة كذابان، أحدهما الكلبي، والآخر السدي ونحن لا ننكر أن تكون الآية نزلت في سياق قصة بني المصطلق، ولكن الذي ننكره أن يكون الوليد هو الموصوف بالفاسق في الآية، ذلك أن منطوق "إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ" بصيغة التنكير يدل على الشمول؛ لأن النكرة إذا وقعت في سياق الشرط عمت كما تعم إذا وقعت في سياق النفي.

ب ـ حد الوليد بن عقبة في الخمر:

وأما حد الوليد في الخمر فقد ثبت في الصحيحين أن عثمان حده بعدما شهدت عليه الشهود، فهو ليس مأخذا على عثمان، بل كان من مناقب عثمان حيث ذكر البخاري هذه الحادثة في باب (مناقب عثمان)إن تلك الحادثة لم تطرأ في عهد عثمان فحسب، بل لها سابقة في عهد عمر بن الخطاب قدامة بن مظعون له صحبة وشرب الخمر، وهو أمير على البحرين من قبل عمر فحده وعزله.

وقد ذكر بعض المؤرخين أنه لم يثبت على الوليد شربه الخمر، قال الحافظ في الإصابة: ويقال إن بعض أهل الكوفة تعصبوا عليه فشهدوا عليه بغير الحق .

وقد أشار إلى هذا ابن خلدون فقال: وما زالت الشائعات -أي على عمال عثمان- من قبل المشاغبين تنمو، ورمى الوليد بن عقبة - وهو على الكوفة - بشرب الخمر وشهد عليه جماعة منهم وحده عثمان وعزله. وما حكاه الطبري ببعض تفاصيل: إن أبناءً لأبي زينب وأبي مورع وجندب بن زهير نقبوا على ابن الحيسمان داره وقتلوه، فشهد عليهم بذلك أبو شريح الخزاعي الصحابي وابنه، -وكان جارا لابن الحيسمان- فاقتص منهم الوليد، فأخذ الآباء على أنفسهم أن

يكيدوا للوليد، وأخذوا يترقبون حركاته فنزل به أبو زبيد الشاعر، وكان نصرانيا وأسلم على يد الوليد, وكان الضيف متهما بشرب الخمر، فأخذ بعض السفهاء يتحدثون بذلك في الوليد لملازمته أبا زبيد، ووجد أبو زينب وأبو مورع خير فرصة يغتنمانها، فسافرا إلى المدينة وتقدما إلى عثمان شاهدين على الوليد بشرب الخمر، وأنهما وجداه يقئ الخمر، فقال عثمان: ما يقئ الخمر إلا شاربها، فجيء بالوليد من الكوفة فحلف لعثمان وأخبره خبرهم، فقال عثمان: نقيم حدود الله ويبوء شاهد الزور بالنار، فاصبر يا أخي.

ج ـ قال محب الدين الخطيب: وأما الزيادة التي وردت في رواية مسلم من أنه أتى بالوليد وقد صلى الصبح ركعتين ثم قال: أزيدكم، وفي بعض طرق أحمد أن صلى أربعا، فلم تثبت في شيء من شهادة الشهود، فهي من كلام حضين الراوي للقصة، ولم يكن حضين من الشهود ولم يروها عن شاهد ولا عن إنسان معروف، ولا كان في الكوفة في وقت الحادث المزعوم، فلا اعتداد بهذا الجزء من كلامه.

رابعًا: سعيد بن العاص

ولي الكوفة بعد الوليد بن عقبة، كان من فصحاء قريش, ولهذا ندبه عثمان فيمن ندب لكتابة القرآن؛ فعن أنس بن مالك قال: «... فأمر عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها (أي الصحف) في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش» وقد أقيمت عربية القرآن على لسان سعيد بن العاص؛ لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم. أدرك من الحياة النبوية تسع سنين، وقتل أبوه يوم بدر مشركا، قتله علي بن أبي طالب.

خامسًا: عبد الله بن سعد بن أبي السرح

درج المؤرخون في الغالب إذا ذكروا اسم عبد الله بن أبي السرح وتولية عثمان له على ولاية مصر على أن يقولوا: لقد ولى عثمان على مصر عبد الله بن أبي السرح أخاه من الرضاعة. وإيراد عبارة (أخاه من الرضاعة) مقرونة بالتولية تعتبر إيحاء من بعض المؤرخين باتهام عثمان , وأنه لهذه الأخوة من الرضاعة ولاه على مصر، وهذا الذي يراه المؤرخ غير صحيح، ويبدو أن عبد الله بن سعد تمكن من ضبط خراج مصر حتى زاد ما كان يجمعه من الخراج على ما كان يجمعه عمرو بن العاص قبله، ولعل مرد ذلك إلى اتباع عبد الله بن سعد لسياسة جديدة في المصروفات اختلفت عن سياسة عمرو، وبالتالي زادت أموال الخراج المتوافرة في مصر.

وقد قام عبد الله بن سعد أثناء ولايته بالجهاد في عدة مواقع، فكانت له فتوح مختلفة لها شأن عظيم، فكان من غزواته غزوة أفريقية سنة 27هـ وفتوحه فيها, وقتله ملكها جرجيروانتهت الغزوة بصلح مع بطريرك أفريقيا على تأدية الجزية للمسلمين. وقد عاد ابن أبي السرح إلى أفريقية مرة أخرى ووطد فيها الإسلام وذلك في سنة

33هـ، كما كان من أهم أعمال عبد الله بن سعد بن أبي السـرح غـزوه لبلاد النوبة وتسمى غزوة الأساودة أو غزوة الحبشة ويعتبر عبد الله بن سعد بحق أول قائد مسلم تمكن من اقتحام النوبة، وقاتل أهلها وفرض عليهم الجزيـة، واسـتقرت الحـال على ذلك في أيامه بين أهل النوبة والمسلمين.

كـذلك من أهم أعمـال عبد الله بن سـعد العسـكرية غـزوة ذات الصواري، وقد انتصر فيها المسلمون على الروم.

يقول عنه المقريزي: ومكث أميرا مدة ولاية عثمان كلها محمـودا في ولايته.

وقال فيه الذهبي: ولم يتعد ولا فعل ما ينقم عليه، وكان أحد عقلاء الرجـال وأجـوادهم. ولما وقعت الفتنة بمقتل عثمـان اعتزلها عبد الله بن سعد وسكن عسقلان، أو الرملة في فلسطين.

وروى البغوي بإسناد صحيح عن يزيد بن أبي حبيب قـال: خـرج ابن أبي السـرح إلى الرملة بفلسـطين، فلما كـان عند الصـبح قـال: اللهم اجعل آخر عملي الصبح.

فتوضأ ثم صلى، فسلم عن يمينه ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه.

سادسًا: مروان بن الحكم ووالده

كـان مـروان بن الحكم من أخص أقربـاء عثمـان بـه، وأوثقهم صـلة بمركز الخلافة وألصقهم بالأحداث التي عصفت بالوحـدة الإسـلامية في عهد عثمان ، فكـان منه بمنزلة كـاتم سر الدولـة، أو حامل ختم الملك أما ادعاء توريطه عثمان وإثارة النـاس عليه لتنقل الخلافة بعد ذلك إلى بني أمية، فافتراض لا دليل عليه إن عثمـان لم يكن ضـعيف الشخصـية حتى يتمكن منه كاتبه إلى الحد الذي يتصوره الرواة.

إن خبر طرد النبي صلى الله عليه وسـلم لأبيه ضـعيف سـندا ومتنـا، وتعقبه شيخ الإسلام ابن تيمية فأوضح تهافته وضعفه.

وعُرف عن مروان بن الحكم العلم والفقه والعدل، فقد كان سـيدا من سادات شباب قريش لما علا نجمه أيام عثمان بن عفان

وقد شهد له الإمام مالك بالفقه، واحتج بقضائه وفتاواه في مواطن عديدة من كتاب الموطأ, كما وردت في غيره من كتب السنة المتداولة في أيدي الأئمة المسلمين يعملون بها.

وكان الإمام أحمد يقول: يقال: كان عند مروان قضـاء، وكـان يتتبع قضايا عمر بن الخطاب. وكان مروان من أقرأ الناس للقـرآن كما كـان له رواية للحـديث الشـريف؛ حيث روى عن بعض مشـاهير الصـحابة، وروى عنه بعضـهم، وكما روى عنه بعض التـابعين. وكـان حريصا على تحري السنة والعمل بها.

يقـول ابن كثـير: وقد ولى مـروان المدينة لمعاوية بن أبي سـفيان، فكان شديدا على أهل الفسوق بها، حربا على مظاهر الـترف والتخنث، عـادلا مع رعيتـه، حـذرا من مجاملة ذوي قربـاه، أو من يحـاول منهم استغلال نفوذه؛ فقد لطم أخوه عبد الـرحمن مـولى لأهل المدينة يعمل حناطا أثناء فترة ولاية مروان على المدينة، فشكا الحنـاط إلى مـروان،

فأتى بأخيه عبد الرحمن، وأجلسه بين يدي الحناط وقال له: الطمه.
وذكر عن بعض أهل العلم أنه قـال: كـان آخر كلام تكلم به مـروان: وجبت الجنة لمن خاف النـار وقـال ابن القيم: أحـاديث ذم الوليـد، وذم مروان بن الحكم كذب.
فهل جامل عثمان ذوي قرباه على حساب المسلمين لمجرد انتمائهم لعائلته فقط؟
لو كان عثمان أراد أن يجامل أحدا من أقاربه على حساب المسـلمين لكان ربيبه محمد ابن أبي حذيفة أولى الناس بهذه المجاملة، ولكن الخليفة أبي أن يوليه شـيئا ليس كفئًا له بقولـه: يا بـني، لو كنت رضا ثم سـألتني العمل لأسـتعملتك، ولكن لست هنـاك. ولم يكن ذلك كراهية له ولا نفـورا منه، وإلا لما جهزه من عنده وحمله وأعطاه حين اسـتأذن في الخـروج إلى مصر.
وأما اسـتعمال الأحـداث فكـان لعثمـان في رسـول الله أسـوة حسنة، فقد جهز جيشا لغزو الروم في آخر حياته واستعمل عليه أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وعندما توفي الرسول صـلى الله عليه وسـلم تمسك الصديق بإنفاذ هذا الجيش، لكن بعض الصحابة رغبوا في تغيير أسامة بقائد أسن منه، فكلمـوا عمر في ذلك ليكلم أبا بكـر، فغضب أبو بكر لما سمع هذه المقالة وقـال لعمـر: يا عمـر، اسـتعمله رسـول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أعزله.
 ويقول علي: (ولم يولِّ -أي عثمان- إلا رجلا سـويا عـدلا، وقد ولى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم عتـاب بن أسـيد على مكة وهو ابن عشرين سنة).
إن عثمان لم يسلم من كثير من الباحثين في كتاباتهم غير المنصفة وغير المحققة عن عهد عثمان، وخصوصا الباحثين المحدثين الذين يطلقون أحكاما لا تعتمد على التحقيق أو على وقـائع محـددة، يعتمـدون فيها على مصادر موثوقة؛ فقد تورط الكثير منهم في الروايات الضـعيفة والرافضـية، وبنوا أحكاما باطلة وجائرة في حق الخليفة الراشد عثمان بن عفان؛ مثـل: طه حسـين في كتابه (الفتنة الكـبرى)، وراضى عبد الـرحيم في كتابه (النظام الإداري والحـربي)، وصـبحي الصـالح في كتابه (النظم الإسـلامية)، ومولوي حسـين في كتابه (الإدارة العربيـة)، وصـبحي محمصـاني في كتابه (تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضـاء)، وتوفيق اليـوزبكي في كتابه (دراسات في النظم العربية والإسـلامية)، ومحمد الملحم في كتابه (تـاريخ البحرين في القرن الأول الهجري)، وبدوي عبد اللطيف في كتابه (الأحزاب السياسية في فجر الإسلام)، وأنـور الرفـاعي في كتابه (النظم الإسـلامية)، ومحمد الريس في كتابه (النظريات السياسـية)، وعلي حسـني الخربـوطي في كتابه (الإسـلام والخلافـة)، وأبي الأعلى المـودودي في كتابه (الملك والخلافة)، وسيد قطب في كتابه (العدالة الاجتماعية)، وغـيرهم. لقد كـان عثمان بحق الخليفة المظلوم الذي افـترى عليه خصـومه الأولـون، ولم ينصفه المتأخرون.

العلاقة بين أبي ذر الغفاري وعثمان بن عفــان رضي الله عنهما

الرواية الصحيحة في العلاقة بين الصحابين الجليلين

وأصح ما روي في قصة أبي ذر ما رواه البخـاري في صـحيحه عن زيد بن وهب قال:

مررت بالربذة فـإذا أنا بـأبي ذر ، فقلت لـه: ما أنزلك منزلك هـذا؟ قـال: كنت بالشـام، فـاختلفت أنا ومعاوية في: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِـلِ وَيَصُـدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّـةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَـبِيلِ اللـهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" [التوبة: 34]

قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك, وكتب إلى عثمـان يشـكوني، فكتب إليَّ عثمـان أن أقـدم المدينة فقـدمتها، فكـثر علي النـاس حـتى كـأنهم لم يـروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي: إن شئت فكنت قريبا، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمروا عليَّ حبشيا لسمعت وأطعت.

إن قصة أبي ذر في المال جاءت من اجتهاده في فهم الآية الكريمة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْـوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَـبِيلِ اللـهِ وَالَّذِينَ يَكْنِـزُونَ الـذَّهَبَ وَالْفِضَّـةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنـوبُهُمْ وَظُهُـورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِـكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ" [التوبة: 34، 35]

وقد خالف جمهور الصـحابة أبا ذر، وحملـوا الوعيد على مـانعي الزكـاة، واستدلوا على ذلك بالحديث الـذي رواه أبو سـعيد الخـدري قـال: النــبي صــلى الله عليه وســلم: «ليس فيما دون خمس أواق صــدقة، وليس فيما دون خمس ذود صـــــــدقة، وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة».

وقال الحافظ ابن حجر: ومفهوم الحديث أن ما زاد على الخمس ففيه صــدقة، ومقتضــاه أن كل مــال أخــرجت منه الصــدقة فلا وعيد على صاحبه، فلا يسـمى ما يفضل بعد إخراجه الصـدقة كنزا. قـال الحافـظ: ويتلخص أن يقـال: ما لم تجب فيه الصـدقة لا يسـمى كـنزا؛ لأنه معفو عنــه، فليكن ما أخــرجت منه الزكـاة كـذلك؛ لأنه عفى عنه بـإخراج ما وجب منه فلا يسمى كنز .

أما ما يشاع من أن الخليفة عثمـان رضي الله عنه قد منعه الفتيا فـذاك كذب محض.ولو كان عثمـان نهـاه عن الفتيا مطلقا لاختـار له مكانا لا يـرى فيه الناس، أو حبسه في المدينة، أو منعه من دخول المدينـة، ولكن أذن له بالنزول في منزل يكثر مرور الناس به؛ لأن الربذة كـانت مـنزلا من منـازل الحجاج العراقيين.

وكل ما روي في أن عثمان نفاه إلى الربذة، فإنه ضـعيف الإسـناد لا يخلو من علة قادحــة، مع ما في متنه من نكــارة لمخالفته للمرويــات الصحيحة والحسنة، التي تبين أن أبا ذر استأذن للخروج إلى الربذة وأن عثمان أذن له؛ بل إن عثمان أرسل يطلبه من الشام ليجاوره بالمدينـة، فقد قال له عندما قدم من الشام

ـ إنا أرسلنا إليك لخير لتجاورنا بالمدينة. وقال له أيضا: كن عندي تغدو عليك وتروح اللقاح .

ولم تنص على نفيه إلا رواية رواها ابن سعد، وفيها بريدة بن سفيان الأسلمي الذي قال عنه الحافظ ابن حجرأنه ليس بالقوي وفيه رفض، فهل تقبل رواية رافضي تتعارض مع الروايات الصحيحة والحسنة ....؟!

و لما قيل للحسن البصري، عثمان أخرج أبا ذر؟ قال: لا، معاذ الله.

وكان ابن سيرين إذا ذكر له أن عثمان سير أبا ذر، أخذه أمر عظيم، ويقول: هو خرج من نفسه، ولم يسيره عثمان.

وفاة أبي ذر وضم عثمان عياله إلى عياله

في غزوة تبوك قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: قد تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره، فقال:

«دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»

وتلوم أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض منازله، فنظر ناظر من المسلمين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كن أبا ذر». فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده».

ومضى الزمان وجاء عهد عثمان وأقام أبو ذر في الربذة، فلما حضرته الوفاة أوصى امرأته وغلامه: إذا مت فاغسلاني وكفناني ثم احملاني فضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر.

فلما مات فعلوا به كذلك، فطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركائبهم تطأ سريره، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة، فقال: ما هذا ؟ فقيل: جنازة أبي ذر، فاستهل ابن مسعود يبكي، وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال: «يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده» فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه، فلما أرادوا أن يرتحلوا قالت لهم ابنته: إن أبا ذر يقرأ عليكم السلام وأقسم ألا تركبوا حتى تأكلوا، ففعلوا . ثم حملوهم حتى أقدموهم إلى مكة ونعوه إلى عثمان ، فقال الخليفة عثمان رضي الله عنه حينئذ(يرحم الله أبا ذر، ويغفر له نزوله الربذة) وضم عياله إلى عياله.

موقف عمار بن ياسر

ضرب الخليفة لعمار

يقول القاضي أبو بكر بن العربي في عواصمه ضمن تفنيده لما نسب إلى عثمان من افتراءات:

ـ" وأما ضربه لابن مسعود ومنعه عطاءه فزور، وضربه لعمار إفك

مثله، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبدا، وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجــوه لا ينبغي أن يشتغل بها؛ لأنها مبنية على باطل، ولا يبنى حق على باطل، إن أخلاق عثمـــان في ســـنه وإيمانه وحيائه ولين عريكته ورقة طبعه وسابقته وجليل مكانته في الإسلام أجَلّ من أن تنزل به إلى هذا الدرك من التصرف مع رجل من أجلاء أصحاب النـبي صـلى الله عليه وسـلم, يعرف له عثمان سابقته وفضله مهما كان بينهما من اختلاف في الرأي.

أفيرضى عثمان لنفسه وهو الذي أبى على الناس أن يقاتلوا دونـه، ورضي بـالموت صـابرا محتسـبا حقنا لـدماء المسـلمين واتقـاء للفتنة العامة أن يصــنع بعمــار -وهو أعلم بســابقته وفضــله في الإســلام- ما ذكـرت الروايــات المزعومة بأنه أمر غلمانه بـأن يضـربوه حـتى أغمى عليه، ثم يقوم عثمان في هذه الحـال فيطـأه في بطنـه؟ ثم هل ترضى أخلاق عثمان وحياؤه بأن يدعو بدعوة الجاهلية فيعير عمارا بأمه سـمية وهي من أهل السابقة والفضل، وعثمان يعـرف شـرف انتسـاب عمـار إلى أمه سمية رضي الله عنها، أول شهيدة في الإسلام..؟! "

اتهام عمار بالمساهمة في الفتنة وإثارة الشغب ضد عثمان

تتنــوع التهم المنســوبة إلى عمــار في تحريكه لأمر الفتنــة، وتحريضه على عثمان، وسعيه بين العامة للتمرد عليه، فمنها ما يذكر من إرســال عثمــان له إلى مصر لاســتجلاء ما يحـدث فيها مما نقل إليه عن تمـرد العامة هناك، وأن السبئيين استطاعوا استقطاب عمار والتأثير عليه.

ولقد ثبت أن المــؤرخين قد اعتمدوا في نســبة هــذه الافــتراءات إلى عمارعلى روايــات لم تسـلم إحـداها من الطعن في صـحة أسـانيدها أو في استقامة متونها.

موقف عبد الله بن مسعود من مصحف عثمان

لم يثبت أن ابن مسعود خـالف عثمـان في ذلـك، وكل ما روي في ذلك ضعيف الإسناد، كما أن هذه الروايات الضعيفة الـتي تتضـمن ذلك تثبت أن ابن مسـعود رجع إلى ما اتفق عليه الصـحابة في جمع القـرآن، وأنه قام في الناس وأعلن ذلك، وأمرهم بالرجوع إلى جماعة المسلمين في ذلك. وقال:

ـ" إن الله لا ينتزع العلم انتزاعا، ولكن ينتزعه بذهاب العلمـاء، وإن الله لا يجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضـلالة، فجـامعوهم على ما اجتمعوا عليه، فإن الحق فيما اجتمعوا عليه"

وكتب بذلك إلى عثمان.

وقد ورد عن ابن كثير رجوع ابن مسعود إلى الوفاق.

وأكد الـذهبي ذلك فقـال: وقد ورد أن ابن مسـعود رضي وتـابع عثمـان ولله الحمد.

ولا يلتفت إلى ما كتبه طه حسـين في قضـية المصـحف وعلاقة عثمـان مع ابن مسـعود وما سـاقه بأسـلوب مسـموم، فيه أفكـار أخـذها من أساتذته المستشرقين. الـذين اعتمـدوا على روايـات ضـعيفة ورافضـية في تشويه علاقة الصحابة ببعضهم رضي الله عنهم جميعا.

إن ابن مسـعود الـذي تـرك صـلاة القصر في مـنى خشـية من الخلاف والفتنة ومتابعة للخليفــة، هل يتوقع منه أن يصــعد المنــبر ويحــرض

الناس على الخلاف، وهو القائل:
ـ" إن الخلاف شر."
إن مؤرخي الروافض زوَّروا روايات ونسـبوها لابن مسـعود وموقفه من عثمــان رضي الله عنهم، وأظهــروا في تلك الأكــاذيب الصــحابة قوما متنــازعين متباغضــين، متعنــتين متفاحشــين في القــول، وهي روايــات ساقطة لا تثبت أمام النقد الهادئ الموضوعي، ويرفضها الذوق المؤمن والعقل الفطن، وقد زعمت الرافضة كذبا وزورا بـأن ابن مسـعود كـان يطعن على عثمان ويكفره، ولما حكم عثمان ضـربه حـتى مـات، وهـذا كذب بيِّن على ابن مسعود، فإن علماء النقل يعلمون أن ابن مسعود ما كان يكفر عثمان بل لما بويع عثمان بالخلافة سـار عبد الله بن مسـعود من المدينة إلى الكوفة، ولما وصل إليها حمد الله وأثنى عليه ثم قال:
ـ "أما بعد، فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مـات فلم نر يوما أكـثر نشـيجا من يومئـذ، وإنا اجتمعنا أصـحاب محمد فلم نـأل عن خيرنا ذي فُوق، فبايعنا أمير المؤمنين عثمان فبايعوا."
وهذه الكلمات الواضحة أكبر دليل على تلك المكانة الرفيعة لعثمـان بن عفــان في قلب ابن مســعود وعند جميع الصــحابة، أولئك الــذين مـدحهم الله تعـالى ورضي عنهم، وهم خـير من فقه قوله سـبحانه: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَـدِيدًا" [الأحـزاب: 70]. فقـول عبد الله بن مسـعود صـدق لا يعـدو الحقيقـة، كما أنه نـابع عن قناعته وصادر عن محض إرادته، ما قاله خوفا ولا خشـية، ولم يقـذف به هكـذا رخيصا للاســتهلاك والتغريــر، أو ليحــوز مكانة ومنصــبا في الخلافة الجديدة. إذن فمن بدهيات الأمـور وأولياتها أن ليس ثمة حقد أو بغضـاء في قلب أحدهما على الآخر، وإن حـدث شـيء فإنما هو من أجل الحق وصالح المسـلمين، ويندرج تحت فقه النصـيحة وآدابها وتـأديب الخليفة لرعيتـه، وأما ما زعم الــروافض ومن سـار على نهجهم من أن عثمـان ضرب ابن مسعود حتى مات فهذا كذب باتفاق أهل العلم.

****

الفتنة في عهد الإمام علي رضي الله عنه

جاء في مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ما يلي :
عن سعد بن أبي وقـاص قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم لعلي :
ـ " أنت مـني بمنزلة هـارون من موسى إلا أنه لا نـبي بعـدي ." متفق عليه . (صـحيح) وعن زر بن حـبيش قـال قـال علي رضي الله عنه والـذي فلق الحبة وبـرأ النسـمة إنه لعهد النـبي الأمي صـلى الله عليه وسلم إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منـافق . رواه مسـلم . (متفق عليه)

وعن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر:
ـ " لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ".
فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال:
ـ " أين علي بن أبي طالب ؟"
فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه . قال:
ـ " فأرسلوا إليه ".
فأتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال:
ـ " انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم" متفق عليه .
عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
ـ "إن عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن ." رواه الترمذي . (صحيح)
عن سعد بن أبي وقاص قال لما نزلت هذه الآية "ندع أبناءنا وأبناءكم" دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال:
ـ" اللهم هؤلاء أهل بيتي "رواه مسلم . (صحيح)
وعن عائشة قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال :
ـ "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " (رواه مسلم)
وعن زيد بن أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال :
ـ "أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي وفي رواية كتاب الله عز وجل هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة ." رواه مسلم . (صحيح)
وجاء في تاريخ الطبري :
عن إسماعيل بن إياس بن عفيف عن أبيه عن جده قال :

ـ كنت أمرأ تاجرا فقدمت أيام الحج فـأتيت العبـاس فبينا نحن عنـده إذ خرج رجل يصلي فقام تجاه الكعبة ثم خرجت امرأة فقامت معه تصلي وخرج غلام فقام يصلي معه فقلت يا عباس ما هذا الدين إن هذا الدين ما أدري ما هو قال هذا محمد بن عبدالله يـزعم أن الله ارسـله به وأن كنوز كسـرى وقيصر سـتفتح عليه وهـذه امرأته خديجة بن خويلد آمنت به وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به قال عفيف:

ـ " فليتني كنت آمنت يومئذ فكنت أكون رابعا"

تلك بعض الأحـاديث الـتي جـاءت في منـاقب أهل الـبيت النبـوي ، وإن المــرء لتصــيبه الدهشة في مقتل حين يستشــعرهااليوم بعد كل هــذه السنين الطويلة من البعثة النبوية ، ويجد أن الآخرين وهم حـديثي العهد بها قد أغفلوها ليسقط الحسـين وآله في كـربلاء وليمة لسـيوف الغـدر والحقد ..؟!

جاء في كتاب حياة الصحابة للكندهلوي:

1ـ أخرج يعقوب بن سفيان عن مُجمِّع بن سـمعان الـتيمي قـال: خـرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسيفه إلى السوق فقال:

" من يشتري مني سيفي هـذا فلو كـان عنـدي أربعة دراهم أشـتري بها إزاراً ما بعته."

2 ـ وأخرج أبو القاسم البغوي عن صالح بن أبي الأسود عمَّن حدثه أنه رأى عليـاً رضي الله عنه قد ركب حمـاراً ودلَّى رجليه إلى موضع واحد ثم قال:

ـ" أنا الذي أهنتُ الدنيا." كذا في البداية.

3 ـ دخل ضرار بن ضمرة الكِناني على معاوية فقال له: صِفْ لي عليـاً، فقال: أوَ تُعْفيني يا أمير المؤمنين؟ قال لا أُعفيك، قال:

ـ "أما إذْ لا بدَّ؛ فإنَّه كان والله بعيد المدى، شـديد القـوى، يقـول فَصْـلاً ويحكم عــدلاً، يتفجَّرُ العلمُ من جوانبــه، وتنطِق الحكمــةُ من نواحيــه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنسُ بالليل وظلمته، كان والله غزير العَبْرة، طويل الفكرة، يقلِّبُ كفَّه ويخاطبِ نفسه، يُعجبه من اللباس ما قَصُر. ومن الطعام ما جَشُب، كان والله كأحدنا يُدنينا إذا أتينــاه، ويُجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقرُّبه إلينا وقربهِ منا لا نكلمه هيبة لـه، فـإن تبسم فَعَنْ مثل اللؤلؤ المنظوم، يُعَظِّمُ أهل الدين، ويُحبُّ المساكين، لا يطمعُ القويُّ في باطله، ولا ييأسُ الضـعيف من عدلـه، فأشْـهدُ بالله لقد رأيتُه في بعض مواقفه وقد أرخى الليل ســدوله وغــارت نجومه يميــلُ في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحــزين، فكـأني أسـمعه الآن وهو يقـول: يا ربنـا، يا ربنـا: يتضـرع إليه ثم يقـول للدنيا: إليَّ تَغَرَّرْتِ؟ إليَّ تشوَّفتِ؟ هيهات هيهات، غُرِّي غــيري، قد بتَتُّكَ ثلاثاً. فعـرُك قصـيرٌ، ومجلسُـك حقـيرٌ، وخطـرُك يسـير، آه، آه، من قلة الزاد وبعد السفر ووحشةِ الطريق."

فَـوَكَفَتْ دمـوع معاوية على لحيتها يملكها وجعل ينشـفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء فقال:

ـ" كذا كان أبو الحسن رحمه الله، كيف وَجْدُك عليه يا ضرار؟"

قال:

ـ "وَجْد مَنْ ذُبح واحدها في حِجْرها، لا ترقأُ دمعتها، ولا يسكن حزنها"

4 ـ عن خيثمة واللألكائي وأبي الحسن البغدادي والشيرازي وابن مَنْـده وابن عسـاكر عن سُـويد بن غَفْلة قـال: مـررتُ بقـوم يـذكرون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وينتقصـونهما. فـأتيت عليـاً رضي الله عنه فذكرت له ذلك فقال:

" لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميـل، أخـوا رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ووزيراه "

ثم صعد المنبر فخطب خطبة بليغة فقال:

ـ "ما بال أقـوام يـذكرون سـيدَي قـريش وأبـوَي المسـلمين بما أنا عنه متنزه، وممَّا يقولون بريء، وعلى ما يقولون معاقب؟ والذي فَلَق الحبة وبرأ النَّسَمة إنه لا يبحهما إلا مـؤمن تقي، ولا يُبغضـهما إلا فـاجر رديء، صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدق والوفاء يأمران وينهيان ويعاقبـان، فما يجـاوزان فيما يصـنعان رأي رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ولا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم كرأيهما رأيـاً، ولا يحب حبهما حبـاً، مضى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وهو عنهما راضٍ والناس راضون، ثم وُلي أبو بكر الصلاة، فلما قبض الله نبيه صـلى اللهً عليه وسلم ولاَّه المسلمون ذلك وفوَّضوا إليه الزكـاة لأنهما مقرونتـان، وكنت أولَ من يُسمَّى له من بني عبد المطلب وهو لذلك كاره، يـود أن بعضـنا كفـاه، فكـان والله خـير من بقي، أرأفه رأفـة، وأرحمه رحمـة، وأكيسه ورعاً، وأقدمه إسلاماً، شبهه رسول الله صـلى الله عليه وسـلم بميكائيل رأفة ورحمة، وبإبراهيم عفواً ووقاراً، فسار بسيرة رسول الله حتى قبض الله عليه.

ثم وَلي الأمر من بعـده عمر بن الخطـاب، واسـتُأمر في ذلك النـاس، فمنهم من رضي ومنهم من كـره، فكنت ممن رضـي. فوالله ما فـارق عمر الدنيا حتى رضي نم كان له كارهاً، فأقـام الأمر على منهـاج النـبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه، وناصر المظلوم على الظالم. ثم ضرب الله بالحق على لسانه حتى رأينا أن مَلَكاً ينطلق على لسانه، وأعز الله بإسـلامه الإسـلام، وجعل هجرته للـدين قِوامـاً، وقـذف في قلـوب المؤمنين الحب له وفي قلوب المنافقين الرهبة له، شـبهه رسـول الله صلى الله عليه وسـلم بجبريل فظـاً غليظـاً على الأعـداء، وبنـوح حَنقـاً ومغتاظـاً على الكـافرين. فمن لكم بمثلهمـا؟ لا يُبلغ مبلغهما إلا بـالحبِّ لهما واتباع آثارهما، فمن أحبهما فقد أحبني، ونم أبغضهما فقد أبغضـني وأنا منه بريء. ولو كنت تقدمتُ في أمرهما لعاقبت أشد العقوبة، فمن أتيت به بعد مقامي هذا فعليه ما على المفتري. ألا وخير هـذه الأمة بعد

نبيها أبو بكر وعمر ثم الله أعلم بالخير أين هو. أقول قـولي هـذا ويغفر الله لي ولكم."

بيعة على رضي الله عنه (35 هجرية)

ذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية:

بايعه النـاس قبل أن يـدفن عثمـان وقيل بعد دفنه وقد امتنع علي من إجابتهم إلى قبول الإمارة حتى تكرر قولهم له وفر منهم إلى حائط بني عمرو بن مبدول وأغلق بابه فجـاء النـاس فطرقـوا البـاب وولجـوا عليه وجاؤوا معهم بطلحة والزبـير فقـالوا له إن هـذا الأمر لا يمكن بقـاؤه بلا أمير ولم يزالوا به حتى أجاب.

وقال الدكتورالصـلابي في كتابـه: (سـيرة عثمـان بن عفـان رضي الله عنه شخصيتة وعصره):

ـ تمت بيعة على رضي الله عنه بالخلافة بطريقة الاختيـار وذلك بعد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، يـوم الجمعة لثمـاني عشـرة ليلة مضت من ذى الحجة سـنة خمس وثلاثين. قـام كل من بقى بالمدينة من أصـحاب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم بمبايعة على رضي الله عنه بالخلافة، وذلك لأنه لم يكن أحد أفضل منه على الإطلاق في ذلك الـوقت، فلم يـدع الإمامة لنفسه أحد بعد عثمـان، رضي الله عنـه، ولم يكن رضي الله عنـه، حريصًـا عليهـا، ولـذلك لم يقبلها إلا بعد إلحاح شـديد ممن بقى من الصـحابة بالمدينـة، وخوفًا من ازديـاد الفتن وانتشارها.

روى أبو بكر الخلال بإسناده إلى محمد ابن الحنفية قال:

ـ كنت مع على رحمه الله وعثمان محصر قال: فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة، قال: فقام على رحمه الله، قال محمـد: فأخذت بوسطه تخوفًا عليه فقال: خلّ لا أم لك، قال: فأتى على الـدار، وقد قتل الرجل رحمه الله، فأتى داره فدخلها فأغلق بابه، فأتاه النـاس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقـالوا: إن هـذا قد قتـل، ولابد للنـاس من خليفة ولا نعلم أحدًا أحق بها منك، فقال لهم على: لا تريدوني فإني لكم وزيرًا خـير مـني لكم أمـيرًا، فقـالوا: لا والله لا نعلم أحـدًا أحق بها منك، قال: فإن أبيتم علىَّ فـإن بيعـتي لا تكـون سـرًا، ولكن أخـرج إلى المسجد, فبايعه الناس.

وفي رواية أخرى عن سالم ابن أبي الجعد عن محمد ابن الحنفيـة: فأتاه أصـحاب رسـول الله فقـالوا: إن هـذا الرجل قد قتل ولابد للنـاس من إمام ولا نجد أحدًا أحق بها منك أقدم مشاهد، ولا أقرب من رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقـال على: لا تفعلـوا فـإني لكم وزيـرًا خـير مني أمـيرًا، فقـالوا: لا والله ما نحن بفـاعلين حـتى نبايعـك، قـال: ففي المسـجد فإنه ينبغي لبيعـتي ألا تكـون خفيا ولا تكـون إلا عن رضا المسلمين، قال: فقال سالم بن أبي الجعد: فقـال عبد الله بن عبـاس: فلقد كـرهت أن يـأتي المسـجد كراهية أن يشـغب عليـه، وأبى هو إلا المسجد، فلما دخل المسجد جـاء المهـاجرون والأنصـار فبـايعوا وبـايع الناس.

ومن هذه الآثار الصحيحة بعض الدروس والعبر والفوائد منها:

- زهد على رضي الله عنه في الخلافة وعـدم طلبه لها أو طمعه

فيها، واعتزاله في بيته حتى جاءه الصحابة يطلبون البيعة.
- إجماع الصحابة من المهاجرين والأنصار والناس عامة في المدينة على بيعته، ويدخل في هؤلاء أهل الحل والعقد، وهم الذين قصدوا عليًا وطلبوا منه أن يوافق على البيعة، وألحوا عليه حتى قبلها، وليس للغوغاء وقتلة عثمان كما في بعض الروايات الضعيفة والموضوعة.
- إن الشبهة التي أدخلوها على بيعة على، كون الخوارج الذين حاصروا عثمان، وشارك بعضهم في قتله، كانوا في المدينة، وأنهم أول من بدءوا بالبيعة وأن طلحة والزبير بايعا مكرهين، وهذه أقاويل المؤرخين، لا تقوم على أساس وليس لها سند صحيح، والصحيح أنه لم يجد الناس بعد أبي بكر وعمر وعثمان كالرابع قدرًا وعلما وتقى ودينًا، وسبقًا وجهادًا، فعزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأى ذلك فرضًا عليه، فانقاد إليه، ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي، لأدى ذلك إلى فتن واختلافات في جميع الأقطار الإسلامية، فكان من مصلحة المسلمين أن يقبل على البيعة مهما كانت الظروف المحيطة بها،ولم يتخلف عن على أحد من الصحابة الذين كانوا بالمدينة، وقد خلط الناس بين تخلف الصحابة عن المسير معه إلى البصرة وبين البيعة؛ أما البيعة فلم يتخلف أحد عنها، وأما المسير معه فتخلفوا عنه لأنها كانت مسألة اجتهادية, كما أن عليًا لم يلزمهم بالخروج معه.
وقد بلغت الروايات الصحيحة والشواهد في بيعة على إحدى عشرة رواية.
ويضيف الدكتور الصلابي:
ـ انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على أن عليًا رضي الله عنه كان متعينًا للخلافة بعد عثمان رضي الله عنه لبيعة المهاجرين والأنصار له، لما رأوا لفضله على من بقى من الصحابة، وأنه أقدمهم إسلامًا، وأوفرهم علمًا، وأقربهم بالنبي صلى الله عليه وسلم نسبًا، وأشجعهم نفسًا وأحبهم إلى الله ورسوله، وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة وأشرفهم منزلة، وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم هديًا وسمتًا، فكان رضي الله عنه متعينًا للخلافة دون غيره، وقد قام من بقى من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعقد البيعة له بالخلافة بالإجماع، فكان حينئذ إمامًا حقًا وجب على سائر الناس طاعته وحرم الخروج عليه ومخالفته، وقد نقل الإجماع على خلافته كثير من أهل العلم منهم:
1- نقل محمد بن سعد: بويع لعلي بن أبي طالب رحمه الله بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان بالخلافة، بايعه طلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمار بن ياسر، وأسامة بن زيد، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصارى، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم.
2 ـ وقال أبو الحسن الأشعرى: ونثبت إمامة علي بعد عثمان، رضي الله عنه، بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد لأنه لم يدع أحد من أهل الشورى غيره في وقته، وقد اجتمع على فضله وعدله.
4- وقال أبو نعيم الأصبهاني: سلم من بقى من العشرة الأمر لعلي رضي الله عنه ولم ينكر أنه من أكمل الأمة ذكرًا وأرفعهم قدرًا، لقديم سابقته وتقدمه في الفضل والعلم، وشهوده المشاهد الكريمة، يحبه

الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، ويحبه المؤمنون ويبغضه المنافقون.

5- وقـال أبو منصـور البغـدادي:أجمع أهل الحق والعـدل على صـحة إمامة على رضي الله عنه وقت انتصـابه لها بعد قتل عثمـان رضي الله عنه.

6- وقال الزهري: وكان قد وفى يعهد عثمان حتى قتل، وكان أفضل من بقى من الصحابة، فلم يكن أحد أحق بالخلافة منه، ثم لم يستبد بها مع كونه أحق الناس بها حتى جرت له بيعة، وبايعه مع سائر النـاس من بقى من أصحاب الشورى

7- وقـال عبد الله الجويـنى: وأما عمر وعثمـان وعلي- رضـوان الله عليهم – فسـبيل إثبـات إمـامتهم وإجمـاعهم لشـرائط الإمامة كسـبيل إثبات إمامة أبي بكر، ومرجع كل قاطع في الإمامة إلى الخـبر المتـواتر والإجمـاع..ولا اكـترات بقـول من يقـول: لم يحصل إجمـاع على إمامة علي رضي الله عنه، فإن الإمامة لم تجحد له وإنما هـاجت الفتن لأمـور أخر.

وقد اعـترض بعض النـاس على الإجمـاع على خلافة على رضي الله عنه من وجوه:

1- تخلف عنه (في رواية أخـرى) من الصـحابة جماعة منهم سـعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وابن عمر وأسامة بن زيد وسـواهم من نظرائهم.

2- إنما بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان.

3- أن أهل الشام؛ معاوية ومن معه لم يبايعوه بل قاتلوه.

وهـذه الاعتراضـات لا تـأثير لها على الإجمـاع المـذكور، ولا تـوجب معارضته وذلك أنها مردودة من وجوه:

الوجه الأول: أن دعـوى أن جماعة من الصـحابة تخلفـوا عن بيعته دعوة غير صحيحة إذ أن بيعته لم يتخلف أحد عنهـا، وأما نصـرته فتخلف عنها قـوم منهم من ذُكر لأنها كـانت مسـألة اجتهاديـة، فاجتهد كل واحد وأعمل نظره .

أما سـعد بن أبي وقـاص فقد نقل بيعته ابن سـعد، وابن حبـان، والذهبي وغـيرهم، وكـذلك البقية قد بـايعوا كما ذكرنا الإجمـاع في ذلك فيمن حضر من الصحابة في المدينة.

الوجه الثـاني: أن عقد الخلافة ونصب إمـام واجب لابد منـه، ووقف ذلك على حضور جميع الأمة واتفاقهم مستحيل متعذر.

الوجه الثالث: أن الإجمـاع حصل على بيعة أبي بكر بمبايعة الفـاروق وأبي عبيـدة ومن حضـرهم من الأنصـار مع غيبة على وعثمـان وغيرهما من الصحابة، وكـذلك حصل الإجمـاع على خلافة على بمبايعة سـعد بن أبي وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد وعمار ومن حضرهم من البدريين وغيرهم من الصـحابة، ولا يضر هـذا الإجمـاع من غـاب عن البيعة أو لم يبايع من غيرهم رضي الله عنهم جميعًا.

قال الحسن البصرى: والله ما كانت بيعة على إلا كبيعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم.

الوجه الرابع: دعوى أنه إنما بويع على أن يقتل قتلة عثمان: هذا لا يصح في شـــرط البيعة وإنما يبايعونه على الحكم بـــالحق، وهو أن يحضر الطالب للدم، ويحضر المطلوب وتقع الدعوى، ويكون الجـواب، وتقـوم البينة ويقع الحكم بعد ذلك.

الوجه الخـــــــامس: أن معاوية – رضي الله عنه – لم يقاتل عليًا على الخلافة ولم ينكر إمامته وإنما كان يقاتل من أجل إقامة الحد الشــرعي على الـذين اشـتركوا في قتل عثمـان مع ظنه أنه مصـيب في اجتهـاده ولكنه كـان مخطئا في اجتهـاده ذلـك، فله أجر الاجتهـاد فقط وقد ثبت بالروايات الصحيحة أن خلافه مع على – رضي الله عنه – كـان في قتل قتلة عثمان ولم ينازعه في الخلافة.

ولقد ذكر هذاالذهبي عن الزهري قوله:

ـ لما بلغ معاوية قتل طلحة والزبــير، وظهــور علي، دعا أهل الشــام للقتال معه على الشورى والطلب بدم عثمان، فبايعوه على ذلك أمـيراً غير خليفة.

أخرج الدِيَنَوري وابن عسـاكر عن كُمَيل بن زيـاد قـال: خـرجت مع علي بن أبي طـــالب رضي الله عنه فلما أشـــرف على الجبَّان التفت إلى المقبرة فقال:

ـ يا أهل القبور، يا أهل البِلى، يا أهل الوحشة: ما الخـبر عنـدكم؟ فـإن الخبر عندنا قد قُسمت الأموال، وأُيتمت الأولاد، واستُبدل بالأزواج، فهذا الخبر عندنا؛ فما الخبر عندكم؟.

ثم التفت إليَّ فقال:

ـ يا كُمَيل لو أُذن لهم في الجواب لقالوا: إنَّ خيرالزاد التقـوى. ثم بكى وقال: يا كميل، القبر صندوق العمل، وعند الموت يأتيك الخبر.

موقف طلحة والزبير رضي الله عنهما.

يقول الدكتورالصلابي عن بيعتهما ما يلي :

(عن أبي بشير العابدى قال: كنت بالمدينة حين قتل عثمـان، رضي الله عنــه، واجتمع المهــاجرون والأنصــار فيهم طلحة والزبـير فـأتوا عليًـا، فقــالوا: يا أبا الحسن هلم نبايعــك، فقــال: لا حاجة لي في أمــركم، أنا معكم، فمن اخـترتم فقد رضـيت بـه..فاختـاروا، فقـالوا والله ما نختـار غيرك..إلخ الرواية وفيها تمام البيعة لعلي – رضي الله عنه – والروايات في هـذا كثـيرة ذكر بعضـها ابن جرير في تاريخه وهى دالة على مبايعة الصحابة- رضي الله عنهم – لعلي رضي الله عنـه، واتفـاقهم على بيعته بمن فيهم طلحة والزبير، كما جاء مصرحًا به في الرواية السـابقة، وأما ما جاء في بعض الروايات من أن طلحة والزبير بايعا مكـرهين، فهـذا لا يثبت بنقل صحيح، والروايات الصحيحة على خلافه

فقد روى الطـبري عن عـوف بن أبي جميلة قـال: أما أنا فأشـهد أني سمعت محمد بن سيرين يقول: إن عليًا جاء فقال لطلحـة: ابسط يـدك يا طلحة لأبايعك. فقال طلحة: أنت أحق، وأنت أمير المؤمـنين، فابسط يدك, فبسط علىّ يده فبايعه.

وعن عبد خير الخيوانى أنه قام إلى أبي موسى فقال: يا أبا موسى هل كان هذان الرجلان – يعنى طلحة والزبير – ممن بايع عليًا؟ قال: نعم.
كما نص على بطلان ما يـدعي من أنهما بايعا مكـرهين الإمـام المحقق ابن العربي وذكر أن هذا مما لا يليق بهما، ولا بعلي، قـال- رحمه اللـه-: فإن قيل بايعا مكرهين «أي طلحة والزبير»، قلنـا: حاشا لله أن يكرهـا، لهما ولمن بايعهما ولو كانا مكرهين ما أثر ذلـك، لأن واحد واثـنين تنعقد البيعة بهما وتتم.
إن الروايات التي تقـول بـأن طلحة والزبـير أكرهـوا على البيعة باطلة وهناك روايات صحيحة أشـارت – كما ذكـرت – إلى بيعتهما لعلي رضي الله عنهم، وهناك رواية صحيحة أوردها ابن حجر عن طريق الأحنف بن قيس وفيها أن عائشة وطلحة والزبـير، رضـوان الله عليهم، قد أمـروا الأحنف بمبايعة على رضي الله عنه بعـدما استشـارهم فيمن يبـايع بعد عثمان رضي الله عنه .

أخبار ملفقة عن طلحة والزبير

تعد هــذه الأخبــار الملفقة عن هــذين الصــحابين الجليلين جــزء من مسلسل ذم الصحابة والتشهير بهما من قبل أعـداء الإسـلام، وعلينا أن نتسـاءل كيف يكـون تصـرفهما على هـذا الشـأن ،وقد جـاء في ذكر مناقبهما في الرياض النضرة ما يلي:
عنزيد بن أبي أوفى أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم قـال لطلحة والزبـير: "أنتما حواريـاي كحـواريي عيسى بن مـريم". أخرجه الحافظ الدمشقي والبغوي في معجمه.
عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قـال: كـان على رسـول الله صـلى الله عليه وسلم يوم أحد درعـان، فـذهب لينهض على صـخرة فلم يسـتطع، فبرك طلحة بن عبيد الله تحته وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى صعد على الصخرة؛ قال الزبير: فسـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقـول: "أوجب طلحـة" أخرجه أحمد والترمـذي وقال: حسن صحيح، وأبو حاتم واللفظ للترمذي.
عن عائشة قـالت: كـان أبو بكر إذا ذكر يـوم أحـد، قـال: ذلك كله يـوم طلحة، قال أبو بكر: كنت أول من جاء يوم أحـد، فقـال لي رسـول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي عبيدة بن الجراح: عليكما؛ يريد طلحة، وقد نـزف، فأصـلحنا من شـأن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الحفار، فإذا فيه بضع وسبعون أو أقل أو أكـثر بين طعنة وضربة ورمية، وإذا قد قطعت أصبعه، فأصلحنا من شأنه. أخرجه صاحب الصفوة، وأخرج أبو حاتم معناه ولفظه.
وكـان يلقب بطلحة الخـير، لقبه به رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يوم أحـد، وقيـل: في وقعة بـدر، حين غـاب عنها في حاجة المسـلمين، وطلحة الفياض، لقبه به رسول الله صـلى الله عليه وسـلم يـوم غـزوة

ذات العشيرة، وطلحة الجود، لقبه به رسول الله صلى الله عليه وسلم يــوم حــنين. حكــاه ابن قتيبة وصــاحب الصــفوة ومشــكل الصــحيحين والفضائلي والطائي وغيره.
وعن عبد الله بن الزبير قال: كنت عند الأحزاب أنا وعمر بن أبي سلمة مع النساء في أطم حسان، فنظرت فإذا الزبير على فرسه يختلف إلى بــني قريظة مــرتين أو ثلاثــا، فلما رجعت قلت يا أبــة، رأيتك تختلــف، فقال: رأيتني يا بني؟ قلت نعم، قال: كــان رسـول الله صــلى الله عليه وسلم قال: "من يأتي بــني قريظة فيــأتيني بخــبرهم؟" فــانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسـلم أبويه فقــال:" فــداك أبي وأمي. أخرجاه وأخرجه الترمذي وقال: حديث حسن.
قال أبو عمر وغــيره: شــهد الزبــير بــدراً والحديبية والمشــاهد كلهــا، لم يتخلف عن غــزوة غزاها رســول الله صــلى الله عليه وســلم، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى الذين قال عمر فيهم: توفي رسول الله صلى الله عليه وسـلم وهو عنهم راض، وهــاجر الهجرتين.
ذكر في كتاب صفوة الصفوة ما يلي:
عن أبي مريم، عن علي، قال:انطلقت أنا والنبي عيه السلام حــتى أتينا الكعبة. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اجلس وصــعد على منكبي فذهبت لأنهض به فــرأى مــني ضــعفا فــنزل وجلس لي نــبي الله صلى الله عليه وسلم وقال لي اصعد على منكبي. قــال فنهض بي فانه ليخيل إلي أني لو شــئت لنلت أفق الســماء حــتى صــعدت على الــبيت وعليه تمثال صفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حــتى استمكنت منــه. فقــال لي رســول الله صــلى الله عليه وسلم:" اقــذف به" . فقــذفت به فتكسر كما تتكسر القــوارير ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله. صلى الله عليه وسلم نستبق حــتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس رواه أحمد.

موقعة الجمل 36هجرية

يقول الدكتور الصلابي في كتابه(سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه شخصيته وعصره):
قــدم طلحة والزبــير إلى مكة ولقيا عائشة – رضي الله عنهم جميعًا – وكان وصــولهما إلى مكة بعد أربعة أشــهر من مقتل عثمــان تقريبًــا، أي في ربيع الآخر من عــام36هـ، ثم بــدأ التفــاوض في مكة مع عائشــة، رضي الله عنها، للخروج والمطالبة بدم الخليفة المقتول .
لقد تــوافرت مجموعة من العوامل في مكة جعلتهم يفكــرون في طريقة جادة لتحقيق مطلبهم، ومن هذه العوامل:
1 ـ أن بنى أمية قد هربوا من المدينة واستقروا في مكة.

2 ـ أن عبد الله بن عامر – أمير البصرة في عهد عثمان- كان في مكة وهو يحث على الخروج ويعرض المعونة المادية.

3ـ أن يعلى بن أمية الذي خرج من اليمن لإعانة الخليفة عثمان وصل إلى مكة، وقد قتل الخليفة ومع من المال والسلاح والدواب شيء لا بأس به.

كانت السيدة عائشة والزبير وطلحة ومن معهم يسعون لإيجاد رأى إسلامي عام في مواجهة الطغمة السبئية التي قتلت عثمان، وأصبحت ذات شوكة لا يستهان بها، وذلك من خلال تعريف المسلمين بما أتى هـؤلاء السبئيون والغوغاء من أهل الأمصار ، فلقد بات واضحًا عند الصحابة من الفريق الذي كان يرى رأي عائشة – رضي الله عنها- أن الغوغاء والسبئيين لهم وجود في جيش عليّ، وأنه لأجل ذلك فإن عليًا- رضي الله عنه – يصعب عليه مواجهتهم، خشية منه على أهل المدينة، ومن ثم فإنه ينبغي عليهم أن يحاولوا السعي لإفهام المسلمين، وتقوية الجانب المطالب بإقامة الحدود، لتتم إقامتها بأقل الخسائر في دماء الأبرياء.وتم الاتفاق على التوجه للبصرة بعد تحديدها كمكان مثالي للبدأ بالأخذ بالثأر.

روى الطبري أن عثمان بن حنيف – وهو والى البصرة من قبل أمير المؤمنين على بن أبى طالب – أرسل إلى عائشة – رضي الله عنها – عند قدومها البصرة يسألها عن سبب قدومها، فقالت رضي الله عنها :

ـ "خرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت "لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ" [النساء:114]. فنهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به وتحضكم عليه ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره."

وروى ابن حبان أن عائشة – رضي الله عنها – كتبت إلى أبى موسى الأشعري – والى عليّ على الكوفة-:

ـ " فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت، وقد خرجت مصلحة بين الناس، فمر من قبلك بالقرار في منازلهم، والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين."

ولما أرسل عليٌّ القعقاع بن عمرو لعائشة ومن كان معها يسألها عن سبب قدومها، دخل عليها القعقاع فسلم عليها، وقال: أي أمه، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بنى، إصلاح بين الناس.

وبعد انتهاء الحرب يوم الجمل جاء عليٌّ إلى عائشة – رضي الله عنها – فقال لها: غفر الله لك. قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح. فتقرر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين الناس.

وفيه رد على من طعن في عائشة – رضي الله عنها – من الشيعة الرافض في قولهم: إنها خرجت من بيتها وقد أمرها الله بالاستقرار فيه في قوله: "وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى" [الأحزاب:33]، فإن سفر الطاعة لا ينافي القرار في البيت وعدم الخروج منه إجماعًا، وهذا ما كانت تراه أم المؤمنين – عائشة – في خروجها للإصلاح للمسلمين وكان معها محرمها ابن أختها عبد الله بن الزبير.

ويقول ابن العربي:

ـ "وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح، وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت للخلق، وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بالله في قوله: "لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ" [النساء:114]. والأمر بالإصلاح، مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثى حر أو عبد."

مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب

ثبت مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب من طرق صحيحة؛ فعن يحيى بن سعيد بن القطان، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن قيس ابن حازم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأزواجه:

ـ «كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب».

ومن طريق شعبة عن إسماعيل ولفظ شعبة: أن عائشة لما أتت على الحوأب سمعت نباح الكلاب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب.

فقال لها الزبير: أترجعين؟ عسى الله عز وجل أن يُصلح بك بين الناس.

وبهذا اللفظ أخرجه يعلى بن عبيد عن إسماعيل، وهو عند الحاكم وقال الألباني: إسناده صحيح جدًا وقال: صححه من كبار أئمة الحديث: ابن حبان، والذهبي، وابن كثير، وابن حجر. فهذه الروايات الصحيحة، ليس فيها شيء من شهادة الزور أو التدليس الذي يتنزه عنه مقام الصحابة والذي زعمته الروايات الضعيفة.

وهناك روايات أخرى وردت في هذا الموضوع، كلها باطلة سندًا ومتنًا، ومغزى هذه الروايات وهدفها هو الطعن على كبار الصحابة وفضلائهم، وبيان أن مقصدهم من خروجهم هذا، هو تحقيق مطامع دنيوية شخصية من مال ورئاسة وغيرها، وأن الغاية تبرر الوسيلة، وأنهم لا يتورعون في سبيل ذلك عن إشعال الحرب والفتنة بين المسلمين، وتركز الروايات على الصحابيين الجليلين طلحة والزبير – رضي الله عنهما , كما يريد مفتري هذه الروايات أن يبين ويؤكد أن هذين الصحابيين ومن معهما من أفراد المعسكر يتجرءون على انتهاك حرمات الله؛ فهم يقسمون ويحلفون لأم المؤمنين بأيمان مغلظة أن هذا ليس ماء الحوأب، وزيادة على ذلك أتوا بسبعين نفسًا – وفي رواية بخمسين نفسًا – يشهدون على صدق قولهم، فكان هذا العمل – كما افترى المسعودي الشيعي الرافضي – أول شهادة زور في الإسلام.

عندما وصل طلحة والزبير وعائشة – رضي الله عنهم – ومن معهم إلى البصرة نزلوا جانب الخريبة, ومن هناك أرسلوا إلى أعيان وأشراف القبائل يستعينون بهم على قتلة عثمان، كان كثير من المسلمين في البصرة وغيرها، يودون ويرغبون في القود من قتلة عثمان – رضي الله عنه – إلا أن بعض هؤلاء يرون أن هذا من اختصاص الخليفة وحده، وأن الخروج في هذا الأمر بدون أمره وطاعته معصية، ولكن خروج هؤلاء الصحابة المشهود لهم بالجنة، وأعضاء الشورى ومعهم أم المؤمنين عائشة حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفقه النساء مطلقًا،

ومطلبهم الشرعي لا غبار عليه ولا ينكره صحابي واحد، جعل الكثير من البصريين على اختلاف قبائلهم ينضمون إليهم.

وأقبل حُكيم بن جبلة بعدما خطبت عائشة – رضي الله عنها – في أهل البصرة، فأنشب القتال وأشرع أصحاب عائشة وطلحة والزبير – رضي الله عنهم – رماحهم وأمسكوا ليمسكوا، فلم ينته حكيم ومن معه، ولم يثن، وظل يقاتلهم، وطلحة والزبير كافون إلا ما دافعوا عن أنفسهم، وحكيم يذمر خيله ويركبهم بها, وعلى الرغم من ذلك، فإنه عائشة – رضي الله عنها – ظلت حريصة على عدم إنشاب القتال، فأمرت أصحابها أن يتيامنوا بعيدًا عن المقاتلين، وظلوا على ذلك حتى حجز الليل بينهم, ومضى حكيم بن جبلة فيمن غزا معه عثمان بن عفان – رضي الله عنه- وحصره من نزاع القبائل كلها، فلقد كانوا قد عرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة، فاجتمعوا إليه، ووافقوا أصحاب عائشة، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، وظل منادى عائشة – رضي الله عنها – يناديهم ويدعوهم إلى الكفّ فيأبون, وجعلت – رضي الله عنها – تقول: لا تقتلوا إلا من قاتلكم. لكن حكيمًا لم يُرَع للمنادى، وظل يُسَعَّر القتال، عندئذ وبعد ما تبينت للزبير وطلحة – رضي الله عنهما – طبيعة هؤلاء الذين يقاتلون، وأنهم لا يتورعون ولا ينتهون عن حرمة، وأن لهم هدفًا في إنشاب القتال، قالا: الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة، اللهم لا تبق منهم أحدًا.

خروج أمير المؤمنين على بن أبى طالب إلى الكوفة

لم يكن الصحابة – رضي الله عنهم – في المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين على بن أبى طالب من المدينة، فقد تبين ذلك حينما همّ علىّ بالنهوض إلى الشام،, فقد كان يرى أن المدينة لم تعدُ تمتلك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة فقال:

ـ" إن الرجال والأموال بالعراق"

وحين بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة استنفر أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته، وحدث تثاقل من بعض أهل المدينة بسبب وجود الغوغاء في جيش على، وطريقة التعامل معهم، فكان كثير من أهل المدينة يرون أن الفتنة ما زالت مستمرة، فلابد من التروي حتى تنجلي الأمور أكثر.

ولقد حاول عبد الله بن سلام صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يثنى عزم أمير المؤمنين علىّ عن الخروج، فأتاه وقد إستعد للمسير، وأظهر له خوفه عليه ونهاه أن يقدم على العراق قائلاً: أخشى أن يصيبك ذباب السيف، كما أخبره بأنه لو ترك منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن يراه أبدًا، كان علىّ يعلم هذه الأشياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

ـ" وايم الله لقد أخبرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم."

تساؤلات على الطريق

أ- ما سأله أبو رفاعة بن رافع بن مالك العجلان الأنصاري لما أراد الخروج من الرّبذة.

فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوى فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم

يجيبونا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر، قال: فـإن لم يرضـوا؟ قـال: نـدعهم ما تركونـا، قـال: فـإن لم يتركونـا؟ قـال: امتنعنا منهم، قـال: فنعم إذًا. فسـمع تلك السلسـلة من الأسـئلة والإجابـات فاطمأن إليها وارتاح لها، وقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول،

ب ـ أهل الكوفة يسألون عليًا.

لما قدم أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه في ذي قار، قام إليه أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن سبب قـدومهم، ، فقـال له على رضي الله عنه:

ـ علىَّ الإصلاح وإطفـاء النـائرة لعل الله يجمع شـمل هـذه الأمة بنا ويضع حـربهم وقد أجـابوني، قـال: فـإن لم يجيبونـا؟ قـال: تركنـاهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قـال: فهل لهم مثل ما عليهم من هذا؟ قال: نعم.

جـ- أبو سـلامة الـدألانى، ممن سـأل أمـير المؤمـنين رضي الله عنه فقال: أترى لهؤلاء القوم حجّة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله عز وجل بـذلك؟ قـال: نعم. قـال: فـترى لك حجة بتـأخيرك ذلـك؟ قال: نعم، إنّ الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمّه نفعًـا، قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غدًا؟ قال: إني لأرجو ألاّ يقتل أحد نقىّ قلبه لله منّا ومنهم إلا أدخله الله الجنة.

أخـرج الـبيهقي عن يحـيى بن سـعيد عن عمه قـال: لما تواقفنا يـوم الجمـل، وقد كـان علي رضي الله عنه حين صـفّنا نـادى في النـاس: لا يرمينَّ رجلٌ بسهم، ولا يطعن برمح، ولا يضرب بسيف، ولا تبدؤوا القوم بالقتال، وكلّموهم بألطف الكلام، وأظنه قـال: فـإن هـذا مَقـامٌ من فَلَج فيه فَلَج يوم القيامـة. فلم نـزل وقوفـاً حـتى تعـالى النهـار حـتى نـادى القوم بأجمعهم يا ثَـاراتِ عثمـان، فنـادى علي رضي الله عنه محمد بن الحنيفة وهو أمامنا ومعه اللواء فقال: يا ابن الحنفية ما يقولـون؟ فأقبل علينا محمد بن الحنفية فقال: يا أمير المؤمنين: يا ثأرات عثمـان، فرفع علي رضي الله عنه يديه فقال:

ـ " اللهمَّ كبَّ اليوم قتلة عثمان لوجوههم."

وأخـرج ابن عسـاكر عن أبي إسـحاق قـال: قـال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنـه: إن عثمـان رضي الله عنه في النـار. قـال: ومن أين علمت؟ قال: لأنَّه أحدث أحداثاً، فقال له علي:

ـ أتراك لو كانت لك بنت أكنت تزوجها حتى تستشير؟

قال: لا.

قال:

ـ أفرأي هو خير من رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنتيـه؟ وأخبرني عن النبي صـلى الله عليه وسـلم أكـان إذا أراد أمـراً يسـتخير الله أو لا يستخيره؟

قال: لا. بل كان يستخيره.

قال:

ـ أفكان الله يخير له أم لا؟

قال: بل يخير له

قال:

ـ فاخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم اختـار الله له في تزويجه عثمان أم لم يختر له؟

ثم قال:
ـ لقد تجـردتُ لك لأضـرب عنقك فـأبى الله ذلـك، أما والله لو قلت غير ذلك لضربت عنقك.

محاولات الصلح

القعقاع بن عمرو التميمي: أرسل أمـير المؤمـنين عليٌّ القعقـاع بن عمـرو التميمي رضي الله عنهما في مهمة الصـلح إلى طلحة والزبـير، وقال: القَ هذين الرجلين، فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظّم عليهما الاختلاف والفرقـة. وذهب القعقـاع إلى البصـرة، فبـدأ بعائشة – رضي الله عنها- وقال لها: ما أقدمك يا أمـاه إلى البصـرة؟ قـالت لـه: يا بـنى من أجل الإصـلاح بين النـاس. فطلب القعقـاع منها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا، ويكلمهما في حضرتها وعلى مسمع منها.

ولما حضرا سألهما عن سـبب حضـورهما، فقـالا كما قـالت عائشـة: من أجل الإصلاح بين الناس. فقال لهما: أخبراني ما وجه هذا الإصـلاح؟ فوالله لئن عَرفناه لنصلحنَّ معكم، ولئن أنكرناه لا نصلح، قـالا لـه: قتلة عثمان، رضي الله عنه، ولابد أن يُقتلـوا، فـإن تُركـوا دون قصاص كـان هـذا تركًا للقـرآن، وتعطيلاً لأحكامـه، وإن أُقتصَّ منهم كـان هـذا إحيـاء للقـرآن. قـال القعقـاع: لقد كـان في البصـرة ستّمائة من قتلة عثمـان وأنتم قتلتموهم إلا رجلاً واحدًا، وهو حرقـوص بن زهـير السـعدي، فلما هرب منكم احتمى بقومه من بـنى سـعد، ولما أردتم أخـذه منهم وقَتْله منعكم قومه من ذلـك، وغضب له سـتة آلاف رجل اعـتزلوكم، ووقفـوا أمامكم وقفة رجل واحد، فإن تركتم حرقوصًا ولم تقتلوه، كنتم تـاركين لما تقولون وتنادون به وتطالبون عليًا به، وإن قاتلتم بنى سعد من أجل حرقوص، وغلبوكم وهزموكم وأديلـوا عليكم، فقد وقعتم في المحـذور، وقوَّيتموهم، وأصابكم ما تكرهون، وأنتم بمطـالبتكم بحرقـوص أغضـبتم ربيعة ومضـر، من هـذه البلاد، حيث اجتمعـوا على حـربكم وخـذلانكم، نصـرة لبـنى سـعد، وهـذا ما حصل مع على، ووجـود قتلة عثمـان في جيشه.

تـأثرت أمُّ المؤمـنين ومن معها بمنطق القعقـاع وحجته المقبولـة؛ فقالت لـه: فمـاذا تقـول أنت يا قعقـاع؟ قـال: أقـول: «هـذا أمر دواؤه التسكين، ولابد من التأني في الاقتصـاص من قتلة عثمـان، فـإذا انتهت الخلافات، واجتمعت كلمة الأمة على أمير المؤمنين تفرغ لقتلة عثمـان، وإن أنتم بايعتم عليًا واتفقتم معه، كان هذا علامة خير، وتباشـير رحمـة، وقــدرة على الأخذ بثـأر عثمـان، وإن أنتم أبيتم ذلــك، وأصــررتم على المكابرة والقتال كان هذا علامة شر، وذهابًا لهذا الملك، فـآثروا العافية ترزقوهــا، وكونــوا مفــاتيح خــير كما كنتم أولاً، ولا تُعرَّضــونا للبلاء، فتتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وايم الله إني لأقـول هـذا وأدعـوكم إليه، وإني لخـائف أن لا يتم، حـتى يأخذ الله حجته من هـذه الأمة الـتي قلَّ متاعها، ونزل بها ما نـزل، فـإنّ ما نـزل بها أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا قتل النفر الرجل، ولا قتل القبيلة القبيلة».

اقتنعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص، ووافقوا على دعوته إلى الصلح، وقالوا له: قد أحسنت وأصبت المقالـة، فـارجع، فـإن قـدم على، وهو على مثل رأيك، صلح هـذا الأمر إن شـاء اللـه. عـاد القعقـاع إلى على في «ذي قار» وقد نجح في مهمته، وأخبر عليًا بما جرى معه،

فأُعجب على بذلك، وأوشك القوم على الصلح، كرهه من كرهه، ورضيه من رضيه.

أثر السبئية في معركة الجمل

ويتضح – بما لا يدع مجالاً للشك – حرص الصحابة – رضي الله عنهم – على الإصلاح وجمع الكلمة؛ وهذا هو الحق الذي تثبته النصوص وتطمئن إليه النفوس. وقبل الحديث عن جولات المعركة نشير إلى أن أثر السبئية في معركة الجمل مما يكاد يجمع عليه العلماء:

أ- جاء في أخبار البصرة لعمر بن شبَّة أن الذين نسب إليهم قتل عثمان خشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم، فأنشبوا الحرب بينهم حتى كان ما كان.

ب- قال الإمام الطحاوى: فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من على ولا من طلحة، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين.

جـ- وقال الباقلانى: وتم الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم، والإحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فرقتين، ويبدءوا بالحرب سحرة في المعسكرين ويختلطوا، ويصيح الفريق الذي في عسكر على: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر على، فتم لهم ذلك على ما دبروه ونشبت الحرب، فكان كل فريق منهم دافعًا لمكروه عن نفسه .

د- ونقل القاضي عبد الجبار: أقوال العلماء، باتفاق رأي على وطلحة والزبير وعائشة – رضوان الله عليهم – على الصلح، وترك الحرب، واستقبال النظر في الأمر، وأنّ من كان في المعسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم، فدبّروا في إلقاء ما هو معروف، وتمّ ذلك.

هـ- ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: وقدم علىّ على البصرة، وتدانوا ليتراءوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء، واشتجرت الحرب، وكثرت الغوغاء على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا يقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإنّ واحدًا في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف.

و- ويقول ابن حزم: وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر علىّ، فدفع أهله عن أنفسهم، كل طائفة تظن – ولا شك – أن الأخرى بدأتها القتال، واختلط الأمر اختلاطًا، ولم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه.

فإذا الزبيرَ رضي الله عنه – وهو طرف أساسي في المعركة – يكشف لنا عن حقيقة الأمر: إن هذه لهى الفتنة التي كنا نحدّث عنها، فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويحك؛ إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإني لا أدرى أمقبل أنا فيه أم مدبر.

ويشير إلى ذلك طلحة فيقول: بينما نحن يد واحدة على من سوانا، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضًا.

وفي الطـرف الآخر يؤكد أصـحاب على رضي الله عنه على الفتنة فيقــول عمــار – رضي الله عنه – في الكوفة عن خــروج عائشــة: إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكنها مما ابتليتم)

يقسم الــدكتور الصــلابي موقعة الجمل إلى جولــتين فيــورد مــايلي (بتصرف):

الجولة الأولى من موقعة الجمل

كانت المعركة يوم الجمعة في السادس عشر من جمـادى الثانيـة، سـنة ست وثلاثين، في منطقة «الزابوقة» قرب البصرة

ونادى على في جيشه،كما نادى طلحة والزبـير في جيشـهما.وأثنـاء ذلك جاء رجل إلى الزبـير، وعـرض عليه أن يقتل عليًـا، وذلك بـأن ينـدس مع جيشه، ثم يفتك به، فأنكر عليه بشدة، وقال: لا؛ لا يفتك مـؤمن بمـؤمن، أو أن الإيمـان قيَّد الفتـك, فـالزبير، رضي الله عنـه، ليس له غـرض في قتل على أو أي شـــخص آخر بـــريء من دم عثمـــان، وقد دعا أمـــير المؤمــنين عليٌّ الزبــير، فكلمه بـألطف العبـارة، وأجمل الحــديث.وقيل ذكره بحديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له – أي الزبير - «لتقاتلنه وأنت له ظالما »- وهذا الحديث ليس له إسناد صحيح.

وبعض الروايـات ترجـع السـبب في انصـراف الزبـير – رضي الله عنه – قبيل المعركة لما علم بوجود عمار بن ياسر في الصف الآخر وهو الــذي قــال في حقه رســول الله صــلى الله عليه وســلم:«تقتل عمــار الفئة الباغية»

ـ وبعضها يرجع السبب في انصرافه إلى شكه في صحة موقفه من هذه الفتنة – كما يسميها .

وفي رواية ترجع الســبب في انصــرافه إلى أن ابن عبــاس، رضي الله عنهما، ذكره بالقرابة القوية من على.

ـ وربما كـانت عوامل متعددة ومتداخلة أسـهمت في خـروج الزبـير من ساحة المعركة.

فالزبير، رضي الله عنه، كـان على وعى لهدفه – وهو الإصـلاح – ولكنه لما رأى حلــول الســلاح مكــان الإصــلاح رجع، ثم قتل غيلة على يد ابن جرموز، أما طلحه فقد أصابه سهم غارب ،جعله ينزف حتى مات.

وبخروج الزبير من ميدان المعركـة، وبمـوت طلحـة، رضي الله عنهمـا، وبسقوط القتلى والجرحى من الجـانبين تكـون قد انتهت الجولة الأولى من معركة الجمــل، وكــانت الغلبة فيها لجيش على، وكــان على رضي الله عنه يـراقب سـير المعركة ويـرى القتلى والجـرحى في الجـانبين، فيتألم ويحزن، وأقبل عليٌّ على ابنه الحسن، وضمّه إلى صـدره، وصـار يبكي ويقول له: يا بُنى، ليت أباك مات قبل هـذا اليـوم بعشـرين عامًـا. فقــال الحســن: يا أبت، لقد كنت نهيتك عن هــذا، فقــال على: ما كنت أظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد، وما طعمُ الحياة بعد هذا؟ وأيُّ خير يُرجى بعد هذا؟!

الجولة الثانية من موقعة الجمل

وصل الخبر إلى أم المؤمنين بما حدث من القتال، فخرجت على جملها ومعها كعب الـذي دفعت إليه مصـحفًا يـدع النـاس إلى وقف الحـرب، تقـدمت أم المؤمـنين وكلها أمل أن يسـمع النـاس كلامها لمكانتها في قلـوب النـاس؛ فتحجز بينهم وتطفئ هـذه الفتنة الـتي بـدأت تشـتعل، وحمل كعب بن سـور المصـحف، وتقـدم أمـام جيش البصـرة، ونـادى جيش على قائلاً: يا قوم، أنا كعب بن سور، قاضي البصرة، أدعوكم إلى كتاب الله، والعمل بما فيه، والصلح على أساسه. وخشي السبئيون في مقدمة جيش على أن تنجح محاولة كعب فرشقوه بنبـالهم رشـقة رجل واحد، فلقي وجه الله، ومات والمصحف في يده.

وكـان على من الخلف يـأمر بـالكف عن القتـال، وعـدم الهجـوم على البصريين، لكن السبئيين في مقدمة جيشه لا يستجيبون لـه، ويـأبون إلا إقـدامًا وهجومًا وقتـالاً، ولما رأت عائشة عـدم اسـتجابتهم لـدعوتها، ومقتل كعب بن سور أمامها، قالت:

ـ " أيها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم. "

وصـارت عائشة تـدعو على قتلة عثمـان وتلعنهم، وضج أهل البصـرة بالدعاء على قتلة عثمان وأشـياعهم، ولعنهم، وسـمع علىٌّ الـدعاء عاليًا في جيش البصرة فقال: ما هذا؟ قالوا: عائشة تدعو على قتلة عثمـان، والناس يدعون معها. قال على: ادعوا معي على قتلة عثمان وأشياعهم والعنوهم. وضجّ جيش على بلعن قتل عثمان والدعاء عليهم وقال على:

ـ "اللهم لعن قتلة عثمان في السهل والجبل."

وقتل حـول الجمل كثـير من المسـلمين وقد أصـيبت عائشة بحـيرة شديدة وحرج فهي لا تريد القتال ولكنه وقع رغمًا عنهـا، وأصـبحت في وسط المعمعـة، وصـارت تنـادي بـالكف، فلا مجيب، وكـان كل من أخذ بخطـام الجمل قتـل، فجـاء محمد بن طلحة (السـجاد) وأخذ بخطامة وقال لأمه أم المؤمنين: يا أمـاه ما تـأمرين؟ فقـالت: كن كخـيري ابـني آدم – أي كف يدك – فأغمد سيفه بعد أن سلة فُقتل رحمه الله.

أدرك أمير المؤمـنين علي – رضي الله عنه – بما أوتى من حنكة وقـوة ومهارة عسكرية فـذة – أن في بقـاء الجمل اسـتمرارًا للحـرب، وهلاكًا للناس، وأن أصحاب الجمل لن ينهزمـوا أو يكفـوا عن الحـرب ما بقيت أم المؤمنين في الميـدان، كما أن في بقائها خطـرًا على حياتهـا؛ فـأمر على نفرًا من جنـده منهم محمد بن أبى بكر «أخو أم المؤمـنين» وعبد الله بن بديل أن يعرقبا الجمل ويخرجا عائشة من هودجها إلى السـاحة ، فعقروا الجمل, واحتمل أخوها محمد وعبد الله بن بديل الهـودج حـتى وضعاه أمـام على، فـأمر به على، فأدخل في مـنزل عبد الله بن بـديل, وصـدق حـدس على – رضي الله عنه – العسـكري، فما إن أخـرجت أم المؤمنين من الميدان، حتى ولوا الأدبار منهزمين.

عن أبي البخـتري قـال: سـئل علي رضي الله عنه عن أهل الجمل أمشركون هم؟ قال: من الشرك فـرُّوا. قيـل: أمنـافقون هم؟ قـال: إن

المنـافقين لا يـذكرون الله إلا قليلاً، قيـل: فما هم؟ قـال: إخوانا بَغَـوا علينا.

موقعة الجمل في البداية والنهاية

وهذا بعض ما قاله ابن كثير في البداية والنهاية معلقا على أحداثها:

ـ " وقد سـألت عائشة عمن قتل معها من المسـلمين ومن قتل من عسـكر علي فجعلت كلما ذكر لها واحد منهم تـرحمت عليه ودعت له ولما أرادت أم المؤمـنين عائشة الخـروج من البصـرة بعث إليها علي رضي الله عنه بكل ما ينبغي من مـركب وزاد ومتـاع وغـير ذلك وأذن لمن نجا ممن جاء في الجيش معها أن يرجع إلا أن يحب المقام واختـار لها أربعين إمرأه من نسـاء أهل البصـرة المعروفـات وسـير معها أخاها محمد بن أبي بكر فلما كـان اليـوم الـذي ارتحلت فيه جـاء علي فوقف على الباب وحضر الناس وخرجت من الدار في الهودج فودعت النـاس ودعت لهم وقالت :

ـ "يا بني لا يعتب بعضنا على بعض إنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنه على معتبتي لمن الأخيار"

فقال علي :

ـ "صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك وإنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والاخرة"

وسار علي معها مودعا ومشيعا أميالا وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم وقصـدت في مسـيرها ذلك إلى مكة فأقـامت بها إلى أن حجت عامها ذلك ثم رجعت إلى المدينة رضي الله عنها

كـان أمـير المؤمـنين على رضي الله عنه حريصًـا على وحـدة الصـف، واحـترام رعايا الدولـة، ومعـاملتهم المعاملة الكريمـة، وكـان لهـذه المعاملة أثر بـالغ في مبايعة أهل البصـرة لأمـير المؤمـنين على الـذي سـأل عن مـروان بن الحكم وقـال هو آمن فليتوجه حيث شـاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه.

وأخـرج ابن أبي شـيبة وابن أبي الـدنيا في الـدعاء أبو نعيم في الحلية والبيهقي عن ابن أعبَد قـال: قـال علي رضي الله عنـه: يا ابن أعبد هل تـدري ما حق الطعـام؟ قلت: وما حقُّه؟ قـال تقـول: بسم اللـه، اللهمَّ بـارك لنا فيما رزقنـا. ثم قـال: أتـدري ما شـكره إذا فـرغت؟ قلت: وما شكره؟ قال تقول: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا.

موقعة الجمل في شذرات الذهب في أخبارمن ذهب

وذكرعبد الحي بن أحمد العكـري الدمشـقي في كتابه شـذرات الـذهب في أخبار من ذهب.

ـ " سنة ست وثلاثين ، فيها وقعة الجمل وتلخيصها أنه لما قتل عثمـان صبراً توجع المسلمون وسقط في أيـدي جماعة وعنـوا بكيفية المخـرج

من تقصـيرهم فيه فسـار طلحة والزبـير وعائشة نحو البصـرة وكـانت عائشة قد لقيها الخبر وهي مقبلة من عمرتها فرجعت إلى مكة وطلبـوا من عبد الله بن عمر أن يسير معهم فأبى وقال مروان لطلحة والزبـير على أيكما أسلم بالإمارة وأنادي بالصلاة فقـال عبد الله بن الزبـير على أبي وقـال محمد بن طلحة على أبي فكـرهت عائشة قوله وأمـرت ابن اختها عبد الله بن الزبير فصـلى بالنـاس ولما علم علي كـرم الله وجهه بمخرجهم اعترضهم من المدينة لـيردهم إلى الطاعة وينهـاهم عن شق عصا المســلمين ففـــاتوه فمضى لوجهه وأرسل ابنه الحسن وعمـــاراً يستنفران أهل المدينة وأهل الكوفة فخطب عمار وقال في خطبته إني لأعلم أنها زوجة نــــبيكم في الــــدنيا والآخـــرة ولكن الله ابتلاكم ليعلم أتطيعونه أم تطيعونها ولما قـــدمت عائشة وطلحة والزبــــير البصـــرة اســــــــتعانوا بأهلها وبيت مالها ووصل علي خلفهم واجتمع عليه أهل البصرة والكوفة فحاول صلحهم واجتماع الكلمة وسعى الساعون بذلك فثار الأشرار بالتحريش ورموا بينهم بالنار حتى اشـتعلت الحـرب وكـان ما كان وبلغت القتلى يومئـذٍ ثلاثة وثلاثين ألفـاً وقيل سـبعة عشر وقتل عشـرة من أصـحاب الجمل ومن عسـكر علي رضي الله عنه نحو ألف وقطع على خطـام جمل عائشة سـبعون يـداً من بـني ضـبة وهي في هودجها ثم أمر علي بعقـــــره وكـــــان رايتهم فحمى الشر وظهر علي وانتصر وكان قتالهم من ارتفـاع النهـار يـوم الخميس إلى صـلاة العصر لعشر ليـال خلـون من جمـادى الآخـرة ولما ظهر علي جـاء إلى عائشة فقـــال غفر الله لك قـــالت ولك ما أردت إلا الإصـــلاح ثم أنزلها في دار البصــرة وأكرمها واحترمها وجهزها إلى المدينة في عشــرين أو أربعين امــرأة ذوات الشــرف وجهز معها أخاها محمـــداً وشـــيعها هو وأولاده وودعها رضي الله عنهم

وقتل يومئذٍ طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي قيل رماه مروان بن الحكم لحقد كان في قلبه عليه وكان هو وهو في جيش واحد .

ووله محمد بن طلحة السجاد كان له ألف نخلة يسـجد تحتها في كل يوم ومر به علي صريعاً فنزل ونفض الـتراب عن وجهه وقـال: ــ "هـذا قتله بره بأبيه"

وقتل يومئـذٍ الزبـير بن العـوام القرشي الأسـدي أحد العشـرة قتله ابن جرموز غدراً بوادي السباع وقد فـارق الحـرب وودعها حين ذكـره على قول النبي وأنت ظالم له ولما جاء ابن جرموز إلى علي ليبشـره بـذلك بشره بالنـار وروى ابن عبد الـبر عن علي كـرم الله وجهه أنه قـال إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من أهل هذه الآية (ونزعنا ما صدورهم من غل) ولا ينكر ذلك إلا جاهل بفضـلهم وسـابقتهم عند الله وقد روى عن النبي قـال يكـون لأصـحابي من بعـدي هنـات يغفرها الله بســابقتهم معي يعمل بها قــوم من بعـــدهم يكبهم الله في النـــار على وجوههم."

موقعة الجمل في تاريخ الإسلام للذهبي

وجاء في كتاب تاريخ الإسلام للذهبي ما يلي :

وقال الثّوريّ، عن الأسود بن قيس، عن عمرو بن سفيان قال: لمّا ظهر عليّ يوم الجمل قال: أيّها النّاس إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله، ثمّ إنّ أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر، فأقام واستقام حتّى ضرب الدّين بجرانه، ثمّ إنّ أقواماً طلبوا الدّنيا فكانت أمور يقضي الله فيها. إسناده حسن.

قال خليفة: قدم طلحة، والزبير، وعائشة البصرة، وبها عثمان بن حنيف الأنصاري والياً لعلي، فخاف وخرج منها، ثم سار علي من المدينة، بعد أن استعمل عليها سهل بن حنيف أخا عثمان، وبعث ابنه الحسن، وعمار بن ياسر إلى الكوفة بين يديه يستنفران الناس، ثم إنه وصل إلىالبصرة، وهو أحد الرؤوس الذين خرجوا على عثمان كما سلف، فالتقى هو وجيش طلحة والزبير، فقتل الله حكيماً في طائفة من قومه، وقتل مقدم جيش الآخرين أيضاً مجاشع بن مسعود السلمي.

ثم اصطلحت الفئتان، وكفوا عن القتال، على أن يكون لعثمان بن حنيف دار الإمارة والصلاة، وأن ينزل طلحة والزبير حيث شاءا من البصرة، حتى يقدم علي رضي الله عنه.

وقال سعيد بن جبير: كان مع علي يوم وقعة الجمل ثمانمائة من الأنصار، وأربعمائة ممن شهدوا بيعة الرضوان

اصطف الفريقان، وليس لطلحة ولا لعلي رأسي الفريقين قصد في القتال، بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة، فترامى أوباش الطائفتين بالنبل، وشبت نار الحرب، وثارت النفوس، وبقي طلحة يقول: أيها الناس انصتوا، والفتنة تغلي، فقال:

ـ " أف فراش النار، وذئاب طمع"

وقال:

ـ" اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى، إنا داهنا في أمر عثمان، كنا أمس يداً على من سوانا، وأصبحنا اليوم جبلين من حديد، يزحف أحدنا إلى صاحبه، ولكنه كان مني في أمر عثمان مالا أرى كفارته، إلا بسفك دمي"

فقال مجالد، عن الشعبي قال: رأى علي طلحة في بعض الأودية ملقى، فنزل فمسح التراب عن وجهه، ثم قال:

ـ "عزيز علي أبا محمد أن أراك مجندلاً في الأودية"

ثم قال:

ـ" إلى الله أشكو عجزي وبجري"

قال الأصمعي: معناه: سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي.

مقالة عمارعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

كـــثر الغمز واللمز من المغرضـــين في تفســـير هـــذه المقولة ، لكن الدكتورالصلابي غفر الله له ولوالديه يرد بقوله :

قـال عمـار: "والله إنها لزوجة نـبيكم صـلى الله عليه وسـلم في الـدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي"

وليس في قول عمار هذا ما يطعن به على عائشة – رضي الله عنها – بل فيه أعظم فضيلة لها، وهي أنها زوجة نبينا في الـدنيا والآخـرة، فـأي فضل أعظم من هذا؟! وأما قوله في الجزء الأخير من الأثـر: ولكن الله ابتلاكم لتتبعـــوه أو إياهـــا. فليس بمطعن على أم المؤمـــنين عائشة – رضي الله عنها – وبيان ذلك من وجوه:

أ- أن قـول عمـار هـذا يمثل رأيـه، وعائشة – رضي الله عنها – تـرى خلاف ذلــك، وأن ما هي عليه هو الحـــق، وكل منهما صـــحابي جليـــل، عظيم القدر في الدين والعلم، فليس قول أحدهما حجة على الآخر.

ب- أن غاية ما في قــول عمــار هو مخالفتها أمر الله في تلك الحالة الخاصة، وليس كل مخـالف مـذمومًا حـتى تقـوم عليه الحجة بالمخالفة ويعلم أنه مخـالف، وإلا فهو معـذور إن لم يتعمد المخالفـة، فقد يكــون ناسيًا أو متأولاً فلا يؤخذ بذلك.

جـ- أن عمارًا – رضي الله عنه – ما قصد بذلك ذم عائشة ولا انتقاصـها، وإنما أراد أن يبين خطأها في الاجتهاد نصحًا للأمـة، وهو مع هـذا يعـرف لأم المؤمنين قدرها وفضـلها, وقد جـاء في بعض روايـات هـذا الأثر عن عمار أن عمارًا سمع رجلاً يسب عائشة، فقال: اسكت مقبوحًا منبـــوذًا، والله إنها لزوجة نـبيكم في الـدنيا والآخـرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتطيعوه أو إياها.

جاء في كتاب حياة الصحابة للكندهلوي :

1ـ أخـرج الطـبراني عن رِبْعي بن حِـرَاش قـال اسـتأذن عبد الله ابن عبـاس على معاوية رضي الله عنهم وقد عَلِقت عنـده بطـونِ قـريش وسـعيد ابن العـاص جـالس عن يمينـه، فلما رآه معاوية مقبلاً قـال: يا سـعيد، والله لألقِيَنَّ على ابن عبـاس مسـائل يعيَى بجوابهـا، فقـال له سعيد: ليس مثل ابن عباس يعيى بمسائلك، فلما جلس قال له معاوية: ما تقول في أبي بكر؟ قال: (رحم اللهِ أبا بكر، كان واللهِ للقـرآن تاليـاً، وعن المَيْل نائياً، وعن الفحشاء ساهياً، وعن المنكر ناهياً، وبدينه عارفاً، ومن الله خائفاً. وبالليل قائماً، وبالنهار صائماً، ومن دنيـاه سـالماً وعلى عدل البرية عازماً، وبالمعروف آمراً وإِليه صائراً، وفي الأحوال شـــاكراً، ولله في الغدو والرواح ذاكـراً، ولنفسه بالمصـالح قـاهراً. فـاق أصـحابه ورعاً وكفافاً وزهداً وعفافاً وبـرّاً وحِياطة زهـادة وكفـاءة، فـأعقبَ الله مَنْ ثَلَبه اللعائن إِلى يوم القيامة)

قـــال معاويـــة: فما تقـــول في عمر بن الخطـــاب؟ قـــال: (رحم الله أبا حفص، كان والله حليف الإسلام، ومأوى الأيتام، ومحلَّ الإيمـان، ومعـاذَ الضعفاء، ومعقلَ الحنفـاء، للخَلْق حصـناً، وللنـاس عونـاً، قـام بحق الله

صـابراً محتسـباً حـتى أَظهر الله الـدين وفتح الـديار، وذُكِر الله في الأقطـار والمناهل وعلى التلال وفي الضـواحي والبقـاع، وعند الخَـنى وقوراً، وفي الشّـدة والرخـاء شـكوراً، ولله في كل وقت وأوان ذكـوراً، فأعقب الله من يبغضه اللعنة إِلى يوم الحسرة).قـال معاوية رضي الله عنه: فما تقول في عثمـان بن عفـان؟ قـال: (رحم الله أَبا عمـرو، كـان والله أكرم الحَفَدة، وأوصلَ البررة، وأصبرَ الغزاة، هجّاداً بالأسحار. كثيرَ الدموع عند ذكر اللـه، دائمَ الفكر فيما يعنيه الليـلَ والنهـارَ، ناهضـاً إِلى كل مكرمـة، يسـعى إلى كل منجيـة، فـرّاراً من كل مُوبقـة، وصـاحب الجيش والبـئر، وخَتَن المصـطفى على ابنتيـه، فـأعقب الله من سـبَّه الندامة إلى يوم القيامة).

قـال معاويـة: فما تقـول في علي بن أبي طـالب؟ قـال: (رحم الله أَبا الحسن كـان والله علمَ الهـدى، وكهـفَ التقى، ومحل الحجى، وطَـوْدَ البهـاء، ونـور السُّـرَى في ظلم الـدُّجَى، داعيـاً إلى المَحَجَّة العظمى، عالماً بما في الصحف الأُولى، وقائماً بالتأويل والذكرى، متعلِّقاً بأسباب الهدى، وتاركاً للجَوْر والأذى. وحائداً عن طرقات الرَّدَى، وخـيرَ من آمن واتقى، وسيِّدَ من تقمَّص وارتدى، وأفضلَ من حجَّ وسـعى، وأسـمحَ من عدل وسوَّى، وأخطبَ أَهل الدنيا إِلا الأنبياء والنبي المصطفى، وصـاحب القبلتين، فهل يوازيه موحِّدٌ؟ وزوج خـير النسـاء، وأبو السـبطين، لم تَـرَ عيني مثله ولا تـرى إِلى يـوم القيامة واللقـاء، من لعنه فعليه لعنـةُ الله والعباد إِلى يوم القيامة).

قال: فما تقول في طلحةَ والزبير؟ قـال: (رحمة الله عليهمـا، كانا والله عفيفَين، بـرّين، مسـلمَين، طـاهرَين، متطهِّرَين، شـهيدَين، عـالَمين، زَلا زلَّة والله غـافرٌ لهما إِن شـاء الله بالنُّصـرة القديمة والصُّـحبة القديمة والأفعال الجميلة).

قـال معاويـة: فما تقـول في العبَّاس؟ قـال: (رحم الله أَبا الفضل كـان والله صِنوَ أَبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرَّة عين صفيِّ اللـه، كهف الأقوام، وسيّد الأعمام، وقد عَلا بصراً بـالأمور ونظـراً بـالعواقب. قد زانَه علمٌ، قد تلاشت الأحساب عند ذكر فضيلته، وتباعـدت الأسـباب عند فخر عشيرته، ولم لا يكـون كـذلك وقد ساسه أكـرم من دبَّ وهب عبدُ المطلب، أفخر من مشى من قريش وركب.

2 ـ أخرج الطبراني عن عامر بن سعد قـال: بينما سـعد رضي الله عنه يمشي إذ مر برجل وهو يشـتم عليـاً وطلحة والزبـير رضي الله عنهم، فقال له سعد:

ـ إنك تشـتم أقوامـاً قد سـبق لهم من الله ما سـبق، والله لتكفنَّ عن شتمهم أو لأدعُونَّ الله عز وجل عليك.

قال: يخوفني كأنه نبي.

فقال سعد:

ـ اللهمَّ إن كان يشتم أقواماً قد سبق لهم منك ما سبق فاجعله اليوم نكالاً .
فجاءت بُخْتِيَّة، فأفرج الناس لها فتخبطته، فرأيت الناس يتبعون سعداً يقولون: استجاب الله لك يا أبا إسحاق.
وعند الحاكم عن مصعب بن سعد عن سعد رضي الله عنه أن رجلاً نال من علي رضي الله عنه، فدعا عليه سعد بن مالك، فجاءته ناقة أو جمل فقتله فأعتق سعد نَسَمة وحلف أن لا يدعو على أحد

معركة صفين (37هـ)

تعد معركة صفين فصلا هاما من فصول الفتنة ، فها نحن نرى المسلمين وقد وقفوا متحاربين في معسكرين ، يقود أحدهم الإمام علي ، والآخر يأتمر بأمر معاوية رضي الله عن الجميع .
صورة مأساوية أخرى تضاف إلى تلك الصور التي يحملها ضميرنا بكل ألم ومرارة ، فصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانوا بالأمس القريب يدا واحدة على عدوهم ، نراهم في هذه المعركة وقد تربص كل معسكر بالمعسكر الآخر، الرماح موجهة لصدور إخوان الأمس ، والأيدي التي اعتادت أن ترمي العدو بالنبال هاهي توجه نصالها نحو نحورهم ونحور إخوانهم .
فشلت كل المشاورات ، وراحت جهود الوساطة بين الطرفين في محاولات الاصلاح وتوفيق ذات البين أدراج الرياح، وبدا إبليس اللعين مع بطانته منتشيا بلحظة انتصار نادرة ، وراح ينفث في نارالفرقة ليزيدها اشتعالا بعد أن نسج خيوط التمزق بحرفية يحسد عليها. فعثمان الذي استحق القتل أول الأمر أو أول المؤامرة ، يجب أن يكون في وسطها شهيدا ليؤخذ بثأره .
مفارقة مليئة بالألم ، ومسلسل استهداف الإسلام في أعز بنيه ــ وهم صحابة الرسول عليهم رضوان الله ــ وفي أعز ما يملك ــ وهو وحدة الكلمة ـ يمضي على قدم وساق بلا ملل ولا كلل .
قميص ملطخ بالدماء الطاهرة لذي النورين ، وأصابع زوجته الفاضلة الوفية يطيران وسط طوفان الغضب من المدينة إلى الشام ، ليستقر فوق خشبات المنبر بالمسجد الكبيربدمشق، ألا يصلحان وقودا للنار؟..والمسلمون الذين فجعوا في خليفتهم على يد الغوغاء كيف يمكنهم حمل شعلة الغضب وصب جامها فوق رؤوس القتلة ..؟!
أسئلة مشروعة ، وغضب له مبرره القوي ، ودعوى للقصاص لابد منها ، ولكن ...
متى تطرح هذه الأسئلة ؟.. ولمن توجه..؟
وهذا الغضب العارم المبرر متى وكيف يمكن التنفيث عنه ..؟
ودعوى القصاص التي لامناص عنها من يطرحها ؟.. ومن يقوم بتنفيذها ..؟
أسئلة أخرى كانت في حاجة إلى الحكمة في طرحها ، وإلى الأناة في الرد عليها،ولكن هيهات هيهات ...
إن الفرق الكبير والجوهري بين موقعة الجمل وموقعة صفين هو أن المتحاربين في موقعة الجمل كان كل معسكر حريص على أرواح المعسكر الآخر، ولذا بعد قليل من المشاورات واللقاءات تم الصلح ،

ولكن السيئة وأذنابهم فعلوا فعل إبليس كما أسلفنا فدارت دائرة الحرب ، وحتى أثناء الحرب كان لصوت الحكمة نصيب فتراجع طلحة والزبير ، لكن في صفين كان الوضع على النقيض من ذلك تماما .
ويرصد لنا الدكتور الصلابي الوضع بدقة فيقول :

تسلسل الأحداث التي قبل المعركة

خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بالدماء، ومعه أصابع نائلة التي أصيبت حين دافعت عنه بيدها, وكانت نائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان شامية فورد النعمان على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلق الأصابع في كم القميص يرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله، وحث بعضهم بعضًا على الأخذ بثأره فهاجت النفوس والعواطف، واهتزت المشاعر ولا غرابة بعد هذا إطلاقًا أن نرى إصرار معاوية ومن معه من أهل الشام بالإصرار على المطالبة بدم عثمان، وتسليم القتلة للقصاص قبل البيعة

دوافع معاوية في عدم البيعة: امتنع معاوية وأهل الشام عن البيعة ورأوا أن يقتص على – رضي الله عنه – من قتلة عثمان ثم يدخلون البيعة, وقالوا: لا نبايع من يؤوى القتلة وتخوفوا على أنفسهم من قتلة عثمان الذين كانوا في جيش على، فرأوا أن البيعة لعلى لا تجب عليهم، وأنهم إذا قاتلوا على ذلك كانوا مظلومين.

وكان معاوية – رضي الله عنه – يرى أن عليه مسئولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه، فهو ولي دمه، والله يقول: " وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا" [الإسراء:33]

لذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل مظلومًا على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام، إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس.

لقد كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسي في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبى سفيان بيعة على بن أبى طالب، ورأوا أن تقديم حكم القصاص مقدم على البيعة، وليس لأطماع معاوية في ولاية الشام، أو طلبه ما ليس له بحق، وكان اجتهاد معاوية يخالف الصواب.

قال الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام:

حدثني خلاد بن يزيد الجعفي، ثنا عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن الشعبي -أو أبي جعفر الباقر شك خلاد- قال: لما ظهر أمر معاوية دعا علي رضي الله عنه رجلاً، وأمره أن يسير إلى دمشق، فيعتقل راحلته على باب المسجد، ويدخل بهيئة السفر، ففعل الرجل، وكان قد وصاه بما يقول، فسألوه: من أين جئت؟ قال: من العراق: قالوا: ما وراءك؟ قال: تركت علياً قد حشد إليكم ونهد في أهل العراق.

فبلغ معاوية، فأرسل أبا الأعور السلمي يحقق أمره، فأتاه فسأله، فأخبره بالأمر الذي شاع، فنودي: الصلاة جامعة، وامتلأ الناس في المسجد، فصعد معاوية المنبر وتشهد ثم قال: إن علياً قد نهد إليكم في أهل العراق، فما الرأي؟ فضرب الناس بأذقانهم على صدورهم،

ولم يرفع إليه أحد طرفة، فقام ذو الكلاع الحميري فقـال: عليك الـرأي وعلينا أم فعال -يعني الفعال- فنزل معاوية ونودي في الناس: "اخرجوا إلى معسكركم، ومن تخلف بعد ثلاث أحل بنفسه"

المراسلات للصلح بين علي ومعاوية

ومن كتاب عثمان بن عفان رضي الله عنه كتب الـدكتور الصلابي ـ بتصرف:

ـ ومن المعـروف أن الإمـام قد بعث على رضي الله عنه كتبًا كثـيرة إلى معاوية فلم يرد عليه جوابها، وتكرر ذلك مـرارًا إلى الشـهر الثـالث من مقتل عثمان في صفر، ثم بعث معاوية طُومارًا مع رجل، فـدخل به على عليّ فقال له على: ما وراءك؟ قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القَوَد,كلهم موتور تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهو على منبر دمشق، فقال على: اللهم إنيّ أبرأ إليك من دم عثمان.

بعد معركة الجمل أرسل أمير المؤمنين علىٌّ جرير بن عبد الله إلى معاوية يدعوه إلى بيعته، فلمّا أعطاه كتاب علي طلب معاوية عمرو بن العـاص ورءوس أهل الشـام فاستشـارهم، فـأبوا أن يبـايعوا حـتى يقتل قتلة عثمـان، أو أن يسـلم إليهم قتلة عثمـان، وإن لم يفعل قـاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم.

فخرج على رضي الله عنه بجيشه حتى وصل قرب قرقيسياء ، فأتته الأخبار بأن معاوية قد خرج لملاقاته وعسكر بصفين، فتقدم على نحوه.

القتال على الماء

وصل جيش على رضي الله عنه إلى صفين، حيث عسـكر معاويـة، ولم يجد موضـعًا فسـيحًا سـهلاً يكفي الجيش، فعسـكر في موضع وعر نوعًا ما، فـوجئ جيش العـراق بمنع معاوية عنهم المـاء، فهـرع البعض إلى على رضي الله عنه يشــكون إليه هــذا الأمــر، فأرسل على إلى الأشـعث بن قيس فخــرج في ألفين ودارت أول معركة بين الفــريقين انتصر فيها الأشعث واستولى على الماء ـ وقد وردت رواية تنفى وقـوع القتال في أصله ـ وقد كان القتـال على المـاء في أول يـوم تواجها فيه في بداية شــهر ذي الحجة فاتحة شر على الطــرفين المســلمين، إذ اسـتمر القتـال بينهما متواصـلاً طـوال هـذا الشـهر، وكـان القتـال على شكل كتـائب صـغيرة، وقد تجنبـوا القتـال بكامل الجيش خشـية الهلاك والاستئصال، وأملاً في وقوع صلح بين الطرَفين.

الموادعة بينهما ومحاولات الصلح

ما إن دخل شهر المحـرم، حـتى بـادر الفريقـان إلى الموادعة والهدنة طمعًا في صـلح يحفظ دمـاء المسـلمين، فاسـتغلوا هـذا الشـهر في المراســلات بينهم ولم تنجح تلك المحــاولات لالــتزام كل فريق منهما برأيه وموقفه.

وقد انتقد ابن كثـير التفصـيلات الطويلة الـتي جـاءت في روايـات أبى مخنف ونصر بن مزاحم، بخصوص المراسلات بين الطرفين .

ثم عـادت الحـرب على ما كـانت عليه في شـهر ذي الحجة من قتـال الكتـائب والفـرق والمبـارزات الفرديـة، خشـية الالتحـام الكلي إلى أن

مضى الأسـبوع الأول منـه، إلا أن عليًا أعلن في جيشه أن غـدًا الأربعـاء سيكون الالتحام الكلي لجميع الجيش، ثم نبذ معاوية يخبره بذلك.

يقول شاهد عيان:

ـ اقتتلنا ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى تكسرت الرمـاح ونفـدت السـهام ثم صـرنا إلى المسـايفة فاجتلـدنا بها إلى نصف الليل حـتى صـرنا نعـانق بعضنا بعضًا، ولما صارت السـيوف كالمناجل تضـاربنا بعمد الحديـد، فلا تسمع إلا غمغمة وهمهمة القـوم، ثم ترامينا بالحجـارة وتحاثينا بـالتراب وتعاضينا بالأسنان وتكادمنا بالأفواه.

ليلة الهرير يوم الجمعة(ثالث أيام القتال)

ويقــول ابن كثـير في وصف ليلة الهرير ويــوم الجمعــة: وتعاضــوا بالأسنان يقتتل الـرجلان حـتى يثخنا ثم يجلسـان يسـتريحان، وكل واحد منهما ليهمر على الآخر، ويهمر عليه، ثم يقومون فيقتتلان كما كانا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولم يـزل ذلك دأبهم حـتى أصـبح النـاس من يـوم الجمعة وهم كذلك، وصـلى النـاس الصـبح إيمـاء وهم في القتـال حـتى تضاحى النهار وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام.

الدعوة إلى التحكيم

إن ما وصل إليه حـال الجيشـين بعد ليلة الهرير لم يكن يحتمل مزيد قتـال، وجـاءت خطبة الأشـعث بن قيس زعيم كنـدة في أصـحابه ليلة الهرير فقال:

ـ " قد رأيتم يا معشر المسـلمين ما قد كـان في يـومكم هـذا الماضـي، وما قد فـني فيه من العـرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ؛ فما رأيت مثل هذا قط، ألا فليبلغ الشاهد الغـائب، إن نحن تواقفنا غدًا إنه لفناء العرب، وضـيعة الحرمـات، أما والله ما أقـول هذه المقالة جزعًا من الحرب، ولكني رجل مسن، وأخاف على النسـاء والـذرارى غـدًا، إذا نحن فنينـا، اللهم إنك تعلم أني قد نظـرت لقـومي ولأهل ديني فلم آلُ."

وجاء خبر ذلك إلى معاوية فقال:

ـ أصاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غدًا لتميلن الروم على ذرارينا ونسـائنا، ولتميلن أهل فـارس على أهل العـراق وذراريهم، وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهي، ثم قال لأصحابه:

ـ اربطوا المصاحف على أطراف القنا.

وهـذه رواية عراقية لا ذكر فيها لعمـرو بن العـاص ولا للمخادعة والاحتيال ـ وإنما كانت رغبة كلا الفريقين ـ ولن يضـير معاوية أو عمـرًا شيء أن تأتي أحـدهم الشـجاعة فيبـادر بـذلك وينقذ ما تبقى من قـوى الأمة المتصـارعة، إنما يـزعج ذلك السـبئية الـذين أشـعلوا نـيران هـذه الفتنـة، وتركـوا لنا ركامًا من الروايـات المضـللة بشـأنها، تحيل الحق باطلاً، وتجعل الفضل – كالمناداة لتحكيم القرآن لصون الدماء المسلمة – جريمة ومؤامروحيلـة، ونسـبوا لأمـير المؤمـنين على أقـوالاً مكذوبة تعارض ما في الصحيح، على أنه قـال: وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهنًا ومكيـدة. ومن الشـتائم قـولهم عن رفع المصـاحف: إنها مشـورة ابن العاهرة ووسّعوا دائرة الدعاية المضادة على عمـرو بن العـاص – رضي الله عنه – حتى لم تعد تجد كتابًا من كتب التاريخ إلا فيه انتقاص لعمـرو

بن العاص وأنه مخادع وماكر بسبب الروايات الموضوعة التي لفقها أعداء الصحابة الكرام، ونقلها الطبري، وابن الأثير وغيرهما، فوقع فيها كثير من المؤرخين المعاصرين مثل حسن إبراهيم حسن في تاريخ الإسلام، ومحمد الخضري بك في تاريخ الدولة الأموية، وعبد الوهاب النجار في تاريخ الخلفاء الراشدين وغيرهم كثير، مما ساهم في تشويه الحقائق.

إن رواية أبى مخنف تفترض أن عليًا رفض تحكيم القرآن لما اقترحه أهل الشام، ثم استجاب بعد ذلك له تحت ضغط القراء الذين عرفوا بالخوارج فيما بعد.

وهذه الرواية تحمل سبًا من على لمعاوية وصحبه يتنزه عنه أهل ذاك الجيل المبارك، فكيف بساداتهم وعلى رأسهم أمير المؤمنين على؟! ويكفى للرواية سقوطًا أن فيها أبا مخنف الرافضي المحترق، فهي رواية لا تصمد للبحث النزيه، ولا تقف أمام روايات أخرى لا يتهم أصحابها بهوى مثل ما يرويه الإمام أحمد بن حنبل عن طريق حبيب بن أبى ثابت قال:

ـ " أتيت أبا وائل أحد رجال على بن أبى طالب فقال: كنا بصفين، فلما استحر القتل بأهل الشام قال عمرو لمعاوية: أرسل إلى عليٍّ المصحف؛ فادعه إلى كتاب الله، فإنه لا يأبى عليك، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله : "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ" [آل عمران:23]، فقال على:

ـ نعم، أنا أولى بذلك.

وفي هذه الروايات الصحيحة رد على دعاة الفتنة، ومبغضي الصحابة الذين يضعون الأخبار المكذوبة، ويضعون الأشعار وينسبونها إلى أعلام الصحابة والتابعين الذين شاركوا في صفين؛ ليظهروهم بمظهر المتحمس لتلك الحرب ليزرعوا البغضاء في النفوس ويعملوا ما في وسعهم على استمرارالفتنة.

إن الدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاوية وقبول التحكيم دون التأكيد على دخول معاوية في طاعة على والبيعة له، تطور فرضته أحداث حرب صفين، إذ إن الحرب التي أودت بحياة الكثير من المسلمين، أبرزت اتجاها جماعيًا رأى أن وقف القتال وحقن الدماء ضرورة تقتضيها حماية شوكة الأمة وصيانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيها وأثرها في اتخاذ القرارات.

إن أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه قَبِل وقف القتال في صفين، ورضي التحكيم وعدَّ ذلك فتحًا ورجع إلى الكوفة، وعلق على التحكيم آمالاً في إزالة الخلاف، وجمع الكلمة، ووحدة الصف، وإعادة حركة الفتوح من جديد. إن وصول الطرفين إلى فكرة التحكيم والاستجابة له أسهمت فيها عدة عوامل منها:

أ- أنه كان آخر محاولة من المحاولات التي بذلت لإيقاف الصدام وحقن الدماء سواء تلك المحاولات الجماعية أو المحاولات الفردية التي بدأت بعد موقعة الجمل ولم تفلح، أما الرسائل التي تبودلت بين الطرفين لتفيد وجهات نظر كل منهما، فلم تُجد هي الأخرى شيئًا، وكان آخر تلك المحاولات ما قام به معاوية في أيام اشتداد القتال حيث كتب إلى على رضي الله عنه يطالبه بوقف القتال فقال: فإني أحسبك أن لو

علمت وعلمنا أن الحــرب تبلغ بك ما بلغت لم نجنها على أنفســنا، فإنا إن كنا قد غُلبنا على عقولنا فقد بقى منا ما ينبغي أن ننـــــــدم على ما مضى ونصلح ما بقى .

ب- تساقط القتلى وإراقة الـدماء الغزيـرة ومخافة الفنـاء، فصـارت الدعوة إلى إيقاف الحرب مطلبًا يرنو إليه الجميع.

جـ- الملل الذي أصاب النـاس من طـول القتـال، حـتى وكـأنهم على موعد لهذا الصوت الذي نادى بالهدنة والصلح، وكانت أغلبية جيش على في اتجاه الموادعة، وكانوا يرددون: قد أكلتنا الحرب، ولا نرى البقـاء إلا عن الموادعة ' وهـذا ينقض ذلك الـرأي المتهـافت الـذي رُوِّج بـأن رفع المصـاحف كـان خدعــة من عمــرو بن العــاص، والحق أن فكــرة رفع المصاحف لم تكن جديدة وليست من ابتكار عمـرو بن العـاص، بل رُفع المصحف في الجمل ورشق حامله كعب بن سور قاضى البصرة بسهم وقُتل.

د- الاسـتجابة لصـوت الـوحي الـداعي للإصـلاح، قـال تعـالى: " فَـإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ" [النساء:59]

مقتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين

كـان عمّـار بن ياسـر، رضي الله عنـه، قد جـاوز الرابعة والتسـعين عامًا، وكان يحـارب بحمـاس، يحـرض النـاس، ويسـتنهض الهمم، ولكنه بعيد كل البعد عن الغلـــو، فقد ســـمع رجلاً بجــواره يقــول: كفر أهل الشـام. فنهـاه عمـار عن ذلك وقـال: إنما بغـوا علينـا، فنحن نقـاتلهم لبغيهم، فإلهنا واحد، ونبينا واحد، وقبلتنا واحدة.

ولما رأى عمــار رضي الله عنه تقهقر أصـحابه، وتقـدم خصـومه، أخذ يســتحثهم ويــبين لهم أنهم على الحق ولا يغــرنهم ضــربات الشــاميين الشديدة، فقال ضمن ما قاله رضي الله عنه:

ـ من سره أن تكتنفه الحور العين فليقدم بين الصفين محتسـبًا، فـإني لأرى صفًا يضـربكم ضـربًا يرتـاب منه المبطلـون، والـذي نفسي بيـده، لو ضـربونا حـتى يبلغـوا منا سـعفات هجـر، لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل، ولعلمنا أن مصلحينا على الحق وأنهم على الباطل.

وأضاف: أزفت الجنة وزينت الحـور العين، من سـره أن تكتنفه الحـور العين، فليتقدم بين الصفين محتسبًا.

فكان عمارعاملاً مهمًا من عوامل حمـاس جيش العـراق ورفع روحهم المعنوية مما زادهم عنفًا وضراوة وتضحية في القتال، حتى استطاعوا أن يحولوا المعركة لصالحهم.

ويعد حـديث رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم لعمـار، رضي الله عنه، والذي بشـره بمقتله على يد الفئة الباغية من الأحـاديث الصـحيحة والثابتة عن النبي صلى الله عليه وسـلم وجـاء في السـيرة النبوية لابن هشام أثناء بناءالمسجد بالمدينة ما يلي:

عمّار والفئة الباغية : قال : فدخل عمار بن ياسـر، وقد أثقلـوه بـاللَّبِن ، فقال يا رسـول الله قتلـوني ؟ يحملـون عليّ ما لا يحملـون . قـالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلّم ينفُض وَفْرَتِه بيده : وكان رجلا جَعْدًا، وهو يقول:

ـ "ويح ابن سُمَية ليسوا بالذين يقتلونك. إنما تقتلك الفئةُ الباغية "

وقد جاء في البخاري عن أبى سـعيد الخـدري – رضي الله عنه – قـال:

كنا نحمل لبنة؛ وعمّار لبنتين لبنتين، فرآه النبي صـلى الله عليه وسـلم، فينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار».قال عمّار: أعوذ بالله من الفتن.
وقال ابن عبد البر:
ـ تواترت الآثار عن النبي صـلى الله عليه وسـلم أنه قـال:«تقتل عمـارًا الفئة الباغية»،
وكان خزيمة بن ثابت حضر صفين وكان كافا سـلاحه، فلما رأى مقتل عمار سل سـيفه وقاتل أهل الشـام، وذلك لأنه سـمع هـذا الحـديث عن عمار.
وقد كان لمقتل عمّار، رضي الله عنه – أثر في معركة صفين، فقد كان علمًا لأصحاب رسول الله يتبعونه حيث سار، واسـتمر في القتـال حـتى قُتـل, وكـان لمقتل عمّـار أثر في معسـكر معاوية أيضا، فهـذا أبو عبد الرحمن السلمي دخل في معسـكر أهل الشـام، فـرأى معاوية وعمـرو بن العـاص وابنه عبد الله بن عمـرو، وأبا الأعـور السـلمي، عند شـريعة المـاء يسـقون. وكـانت هي شـريعة المـاء الوحيـدة الـتي يسـتقي منها الفريقان، وكان حديثهم عن مقتل عَمّـار بن ياسـر، إذ قـال عبد الله بن عمرو لوالده:
ـ لقد قتلنا هـذا الرجل وقد قـال فيه رسـول الله صـلى الله عليه وسلم «تقتله الفئة الباغية»
.فقال عمرو لمعاوية:
ـ لقد قتلنا الرجل وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسـلم ما قال.
فقال معاوية:
ـ اسكت فوالله ما تـزال تـدحض في بولـك، أنحن قتلنـاه؟ إنما قتله من جاء به
فانتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار في الهشيم، وجـاء في رواية صحيحة أن عمرو ابن حزم دخل على عمرو بن العاص فقال: قتل عمار وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسـلم: «تقتله الفئة الباغيـة». فقـام عمـرو بن العـاص فزعًا يرجع حـتى دخل على معاوية فقال له معاوية: ما شأنك؟ فقال: قُتل عمار. قال معاوية: فمـاذا؟ قـال عمـرو: سـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقـول لـه: «تقتلك الفئة الباغية».فقال له معاوية: دحضت في بولك، أو نحن قتلنـاه؟! إنما قتله علي وأصـحابه، وجـاءوا به حـتى ألقـوه بين رماحنـا، أو قـال: بين سيوفنا .
وفي رواية صـحيحة أيضًـا، جـاء رجلان عند معاوية يختصـمان في رأس عمّـار، يقـول كل واحد منهمـا: أنا قتلتـه؛ فقـال عبد الله بن عمـرو بن العاص: ليطب به أحدكم نفسًا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله يقول: «تقتله الفئة الباغية».
قال معاوية: فما بالك معنـا؟ قـال: إن أبى شـكاني إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أطع أباك ما دام حيًا ولا تعصـه. فأنا معكم ولست أقاتل .
من الروايات السابقة نلاحظ أن الصحابي الفقيه عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – حــريص على قــول الحق والنصــح، فقد رأى أن معاوية وجنــده، هم الفرقة الباغية لقتلهم عمــارًا، فقد تكــرر منه هــذا

الاستنكار في مناسبات مختلفة؛ ولا شك أن مقتل عمّار – رضي الله عنه – قد أثر في أهل الشام بسبب هذا الحديث، إلا أن معاوية – رضي الله عنه – أوّل الحديث تأويلاً غير مستساغ ولا يصح في أن الذين قتلوا عمارًا هم الذين جاءوا به إلى القتال. وقد أثر مقتل عمار كذلك على عمرو بن العاص، بل كان استشهاد عمار دافعًا لعمرو بن العاص للسعي لإنهاء الحرب، وقد قال رضي الله عنه: ـ"وددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة"

وهذا من إخباره بالغيب وإعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وهو من أصح الأحاديث.

وقال القرطبى:

ـ وقال الإمام أبو المعالي في كتاب الإرشاد، فصل.. على رضي الله عنه، كان إمامًا حقًا في توليته، ومقاتلوه بغاة، وحسن الظن بهم يقتضي أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطأوه، وقال أيضًا: وقد أجاب على رضي الله عنه عن قول معاوية بأن قال: فرسول الله صلى الله عليه وسلم إذن قتل حمزة حين أخرجه.

وقال ابن كثير:

ـ فقول معاوية: إنما قتله من قدمه إلى سيوفنا، تأويل بعيد جدًا، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يقتلون في سبيل الله، حيث قدمهم إلى سيوف الأعداء.

وقال ابن تيمية:

ـ وهذا القول لا أعلم له قائلاً من أصحاب الأئمة الأربعة ونحوهم من أهل السنة، ولكن هو قول كثير من المروانية ومن وافقه.

وعن عمار يقول الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام:

وقال حارثة بن مضرب: قرئ علينا كتاب عمر: إني بعثت إليكم -يعني إلى الكوفة- عمار بن ياسر أميراً، وابن مسعود معلماً ووزيراً، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، من أهل بدر، فاسمعوا لهما، واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بهما على نفسي.

وعن ابن عمر قال: رأيت عماراً يوم اليمامة على صخرة، وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين، أمن الجنة تفرون، أنا عمار بن ياسر، هلموا إلي، وأنا أنظر إلى أذنه وقد قطعت، فهي تذبذب، وهو يقاتل أشد القتال.

وعن عبد الله بن أبي الهذيل قال: رأيت عمار بن ياسر اشترى قتا بدرهم، فاستزاد حبلاً، فأبى، فجاذبه حتى قاسمه نصفين، وحمله على ظهره وهو أمير الكوفة.

وقد روي أنهم قالوا لعمر: إن عمار غير عالم بالسياسة، فعزله.

قال الشعبي: قال عمر لعمار: أساءك عزلنا إياك؟ قال: لئن قلت ذاك، لقد ساءني حين استعملتني، وساءني حين عزلتني.

وقال نوفل بن أبي عقرب: كان عمار قليل الكلام، طويل السكوت، وكان عامة أن يقول: عائذ بالرحمن من فتنة، عائذ بالرحمن من فتنة، قال: فعرضت له فتنة عظيمة.

وعن ابن عمر قال: ما أعلم أحداً خرج في الفتنة يريد الله إلا عمار ابن ياسر، وما أدري ما صنع.
وقال أيوب، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو قـال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم:
ـ "قاتل عمار وسالبه في النار".

أخرج أبو نعيم في الحلية، وأخرج ابن سـعد عن عبد الـرحمن بن أبْـزَى رضي الله عنه عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه قـال وهو يسـير إلى صـفين على شط الفـرات: اللَّهمَّ إنَّه لو أعلم أنه أرضى لك عن أن أرمي بنفسي من هــذا الجبل فــأتردّى فأســقط فعلت، ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن أوقد ناراً عظيمة فأقع فيها فعلت. اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عني أن ألقي نفسي في الماء فأغرق نفسي فعلت، فـإني لا أقاتل إلا أريد وجهك، وأنا أرجو أن لا تخيبني وأنا أريد وجهك.

عدد القتلى

تضـاربت أقـوال العلمـاء في عـدد القتلى، فـذكر ابن أبى خيثمة أن القتلى في صـفين بلغ عـددهم سـبعين ألفًـا، من أهل العـراق خمسة وعشرون ألفًا، ومن أهل الشـام خمسة وأربعـون ألف مقاتـل، كما ذكر إبن القيم أن عـدد القتلى في صـفين بلغ سـبعين ألفًا أو أكـثر، ولا شك أن هذه الأرقام غير دقيقة، بل أرقام خيالية، فالقتال الحقيقي والصـدام الجمـاعي اسـتمر ثلاثة أيـام مع وقف القتـال بالليل إلا مسـاء الجمعة فيكون مجموع القتال حوالي ثلاثين ساعة ومهما كان القتال عنيفًا، فلن يفــوق شــدة القادســية الــتي كـان عــدد الشـهداء فيها ثمانية آلاف وخمسمائة، وبالتالي يصـعب عقلاً أن نقبل تلك الروايـات الـتي ذكـرت الأرقام الكبيرة.

تفقد أمير المؤمنين على القتلى وترحمه عليهم

وقد وقف عليٌّ على قتلاه وقتلى معاوية فقــــال:غفر الله لكم، غفر الله لكم، للفـريقين جميعًـا, وعن يزيد بن الأصم قـال: لما وقع الصـلح بين على ومعاوية، خرج على فمشى في قتلاه فقال: هـؤلاء في الجنـة، ثم خــرج إلى قتلى معاوية فقــال: هـؤلاء في الجنــة، ويصـير الأمر إلىّ وإلى معاوية.

موقف لمعاوية مع ملك الروم

قال ابن كثير:
ـ "وطمع في معاوية ملك الـروم بعد أن كـان أخشـاه وأذلـه، وقهر جنــدهم ودحــرهم، فلما رأى ملك الــروم اشـتغال معاوية بحـرب على تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيـه، فكتب معاوية إليـه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لاصـــــطلحن أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك مع جميع بلادك ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت"
فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة وهـذا يـدل على عظمة نفس معاوية وحميته للدين.

قصة باطلة في حق عمرو بن العاص بصفين

قال نصر بن مزاحم الكوفي: وحمل أهل العراق وتلقَّاهم أهل الشام فاجتلدوا وحمل عمرو بن العاص.. فاعترضه على إلى أن يقول: ثم طعنه فصرعه واتقاه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف على وجهه عنه وارتُثَّ. فقال القوم: أفلت الرجل يا أمير المؤمنين. قال: وهل تدرون من هو؟ قالوا: لا. قال: فإنه عمرو بن العاص تلقاني بعورته فصرفت وجهي. وذكر القصة – أيضًا – ابن الكلبي كما ذكر ذلك السهيلى في الروض الأنف. وقول على: إنه اتقاني بعورته فأذكرني الرحِمَ إلى أن قال:... ويروى مثل ذلك عن عمرو بن العاص مع على – رضي الله عنه – يوم صفين، وفي ذلك يقول الحارث بن النضر السهمي كما رواه ابن الكلبي وغيره:

والرد على هذا الافتراء والإفك المبين كالآتي: فراوي الرواية الأولى نصر بن مزاحم الكوفي صاحب وقعة صفين شيعي جلد لا يستغرب عنه كذبه وافتراؤه على الصحابة، قال عنه الذهبي في الميزان:

نصر بن مزاحم الكوفي رافضي جلد، تركوه، قال عنه العقيلى: شيعي في حديثه اضطراب وخطأ كثير.

وقال أبو خيثمة: كان كذابًا.

وقال عنه ابن حجر:

كان رافضيًا غاليًا..ليس بثقة ولا مأمون.

وأما الكلبي؛ هشام بن محمد بن السائب الكلبي؛ فاتفقوا على غلوه في التشيع، قال الإمام أحمد:

ـ "من يحدث عنه؟ ما ظننت أن أحدًا يحدث عنه."

وقال الدار قطني: متروك.

وعن طريق هذين الرافضين سارت هذه القصة في الآفاق وتلقفها من جاء بعدهم من مؤرخي الشيعة، وبعض أهل السنة ممن راجت عليهم أكاذيب الرافضة, وتعد هذه القصة أنموذجًا لأكاذيب الشيعة الروافض وافتراءاتهم على صحابة رسول الله، فقد اختلق أعداء الصحابة من مؤرخي الرافضة مثالب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاغوها على هيئة حكايات وأشعار لكي يسهل انتشارها بين المسلمين، هادفين إلى الغض من جناب الصحابة الأبرار – رضي الله عنهم – في غفلة من أهل السنة .

نهى أمير المؤمنين على عن شتم معاوية ولعن أهل الشام

روى أن عليًا- رضي الله عنه – لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام أرسل إليهما أن كفّا عما يبلغني عنكما، فأتيا فقالا:

ـ يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟.

قال:

ـ بلى وربّ الكعبة المسدّنة.

قالا:

ـ فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟

قال:

ـ كرهت لكم أن تكونوا لعّانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف

الحقَّ من جهله ويرعوى عن الغيّ من لجج به.
وأما ما قيل من أن عليًا كـــان يلعن في قنوته معاوية وأصــــحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن عليًا وابن عبــاس والحسن والحســين، فهو غــير صحيح، لأنّ الصحابة- رضوان الله عليهم- كانوا أكثر حرصًـا من غـيرهم على التقيد بأوامر الشارع الـذي نهى عن سـباب المسـلم ولعنـه. فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قولـه: (من لعن مؤمنًا فهو كقتله) وقوله صلى الله عليه وسلم: «ليس المؤمن بطعّـان ولا بلعّـان» وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يــوم القيامة»).كما أن الرواية الـتي جاء فيها لعن أمـير المؤمـنين في قنوته لمعاوية وأصـحابه ولعن معاوية لأمـير المؤمـنين وابن عبـاس والحسن والحسين لا تثبت من ناحية السـند حيث فيها أبو مخنف لـوط بن يحـيى الرافضي المحترق الذي لا يوثق في رواياته.
اعتذار عبد الله بن عمرو إلى الحسن بن علي
وأخرج البزّار عن رجاء بن ربيعة قال: كنت جالساً بالمدينة في مســجد الرسـول صـلى الله عليه وسـلم في حلقة فيها أبو سـعيد وعبد الله بن عمرو، فمر الحسن بن علي فسلَّم، فـرد عليه القـوم وسـكت عبد الله بن عمرو، ثم اتَّبَعه فقال: وعليك السلام ورحمة الله، ثم قال: هذا أحبُّ أهل الأرض إلى أهل السماء، والله ما كلمته منذ ليالي صِفِّين؛ فقال أبو سعيد:
ـ ألا تنطلق إليه فتعتذر إليه؟
قال: نعم.
فقام فدخل أبو سعيد فاستأذن فأذن لــه، ثم اسـتأذن لعبد الله بن عمر فدخل، فقال أبو سعيد لعبد الله بن عمرو: حدَّثنا بالـذي حـدَّثتنا به حيث مرّ الحسن.
فقال: نعم، أنا أحدثكم إنه أحب أهل الأرض إلى أهل السماء.
فقال له الحسن:
ـ إذ علمت أني أحب أهل الأرض إلى أهل السـماء فلم قاتلتنا أو كثَّرت يوم صِفِّين؟
قـال: أما إني والله ما كثَّرت سَـواداً ولا ضـربت معهم بسـيف، ولكـني حضرت مع أبي أو كلمة نحوها. قال:
ـ أما علمت أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله؟
قال: بلى، ولكني كنت أسرد الصـوم على عهد رسـول الله صـلى الله عليه وسلم فشكاني أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسـلم فقـال: يا رسول الله إن عبد الله بن عمرو يصوم النهار ويقوم الليل قال:
ـ " «صم وأفطر، وصلِّ ونم، فإني أنا أصلِّي وأنام وأصوم وأفطر». قال لي: «يا عبد الله. أطع أباك»، فخـرج يـوم صِـفِّين وخـرجت معـه. قـال الهيثمي رواه الـبزّار ورجاله رجـال الصـحيح غـير هاشم بن البريد وهو ثقة. انتهى.

نشأة الخوارج والتعريف بهم

حين تم الاتفـاق بين الفـريقين على التحكيم بعد انتهـاء موقعة صـفين؛ وهو أن يُحكِّم كل واحد منهما رجلاً من جهته ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين، فوكّل معاوية عمـرو بن العـاص ووكل عليّ أبا موسى الأشـعري، رضي الله عنهم جميعًـا، وكُتبت بين الفـريقين وثيقة في ذلـك،

وكان مقر اجتماع الحكمين في دومة الجندل في شهر رمضان سنة 37هـ
عرَّف أهل العلم الخوارج بتعريفات منها ما بيَّنه أبو الحسن الأشعري:
ـ أن اسم الخوارج يقع علىتلك الطائفة التي خرجت على رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه, وبيَّن أن خروجهم على عليّ هو العلة في تسميتهم بهذا الاسم, حيث قال رحمه الله تعالى: والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على عليّ لما حكم.
ولهم ألقاب أخرى عرفوا بها غير لقب الخوارج, ومن تلك الألقاب الحرورية, والشراة, والمارقة, والمحكمة وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة, فإنهم ينكرونه أن يكونوا مارقين من الدين كما يمرق السهم من الرمية.
ومن أهل العلم من يرجع بداية نشأة الخوارج إلى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ويجعل أول الخوارج ذا الخويصرة الذي اعترض على الرسول كما جاء في الحديث الشريف الذي يرويه أبوسعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسمًا, إذ أتاه ذو الخويصرة هو رجل من تميم, فقال: يا رسول الله, اعدل, فقال: «ويلك, ومن يعدل إذا لم أعدل, قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل», فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه, فقال: «دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم, وصيامه مع صيامهم, يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم, يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء, ثم ينظر إلى رصافه, فما يوجد فيه شيء, ثم ينظر إلى نفسه, وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء, وقد سبق الفرث والدم, أيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة, أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس»

انحياز الخوارج إلى حروراء ومناظرة ابن عباس لهم

انفصل الخوارج في جماعة كبيرة من جيش علي رضي الله عنه أثناء عودته من صفين إلى الكوفة, قدر عددها في رواية ببضعة عشر ألفًا .
وكان أمير المؤمنين عليّ حريصًا على إرجاعهم إلى جماعة المسلمين, فأرسل ابن عباس إليهم لمناظرتهم قال لهم: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه, قالوا:
ـ ثلاث, قلت: ما هن؟ قالوا:
أما إحداهن: فإنه حكم الرجال في أمر الله, وقال الله: "إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ" ما شأن الرجال والحكم؟, قلت: هذه واحدة, وأما الثانية:
فإنه قاتل ولم يَسب ولم يغنم, فإن كانوا كفارًا لقد حل سبيهم, ولئن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتلهم, قلت: هذه اثنتان
فما الثالثة؟, قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين, فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.
قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟, قالوا: حسبنا هذا, قلت لهم: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يرد قولكم أترجعون؟, قالوا: نعم, قلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله, فإني أقرأ عليكم من كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم, فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه, أرأيتم قول الله تبارك وتعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ

تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ" [المائدة:95], وكـان من حكم الرجـال, إنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات الـبين, وحقن دمـائهم أفضل أو في أرنب؟ قـالوا: بلى, بل هـذا أفضـل, قلت: وفي المـرأة وزوجها "وَإِنْ خِفْتُمْ شِـقَاقَ بَيْنِهِمَا فَـابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِـهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَـا" [النساء:35], فنشدتكم بالله حكم الرجـال في صـلاح ذات بينهم وحقن دمـائهم أفضل من حكمهم في بضع امـرأة, أخـرجت من هـذه؟ قـالوا: نعم, قلت: وأما قـولكم: قاتل ولم يَسْـبِ ولم يغنم, أفتسـبون أمكم عائشة, تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟, فـإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم, وإن قلتم ليست بأمنا فقد كفـرتم "النَّبِيُّ أَوْلَى بِـالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِـهِمْ وَأَزْوَاجُـهُ أُمَّهَـاتُهُمْ" [الأحزاب:6], فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج, أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

فقـال: وأما محا نفسه من أمـير المؤمـنين, فأنا آتيكم بما تضـرون, إن نبي الله صلى الله عليه وسلم يـوم الحديبية صـالح المشـركين, فقـال لعلي: «اكتب يا علي ما صالح عليه محمد رسول الله», قـالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلنـاك, فقـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: «امح يا علي, اللهم إنك تعلم أني رسول الله, امح يا علي واكتب: هـذا ما صـالح عليه محمد بن عبد اللـه», والله لرسـول الله خـير من علي, وقد محا نفسه, ولم يكن محـوه نفسه ذلك محـاه من النبـوة, أخـرجت من هذه؟ قالوا: نعم, فرجع منهم ألفـان وخـرج سـائرهم, فقـاتلوا على ضلالتهم.

وقال لهم علي: لكم عندنا ثلاثًا:

لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد.ولا نمنعكم نصيبكم من هـذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا.ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا.

واجتمع رأيهم على الخـــروج من بين أظهر المســـلمين واســـتقروا بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة.

ولما تفـرق الحكمـان على غـير رضـا, كتب أمـير المؤمـنين علي إلى الخـوارج أن الحكمين تفرقا على غـير رضا، فـارجعوا إلى ما كنتم عليه وسيروا بنا إلى قتال أهل الشام، فأبوا ذلك.

معركة النهروان (38هـ)

كانت الشروط التي أخذها أمـير المؤمـنين علي على الخـوارج أن لا يسـفكوا دمًا، ولا يروعـوا آمنًا، ولا يقطعـوا سـبيلاً ، وإذا ارتكبـوا هـذه المخالفـات فقد نبذ إليهم الحـرب, ونظـرًا لأن الخـوارج يكفِّرون من خالفهم ويستبيحون دمه وماله, فقد بـدؤوا بسـفك الـدماء المحرمة في الإسلام.

وقد تعـددت الروايـات في ارتكـابهم المحظـورات, ومما صح من هـذه الروايات ما حدث به شاهد عيان كان من الخوارج ثم تركهم حيث قال: صحبت أصحاب النهـر, ثم كـرهت أمـرهم, فكتمته خشـية أن يقتلـوني, فبينما أنا مع طائفة منهم, إذ أتينا على قرية وبيننا وبين القرية نهـــر, إذ خـرج رجل من القرية مـذعورًا يجر رداءه, فقـالوا لـه: كأننا روعنـاك؟, قال: أجل, قالوا: لا روع لك, فقلت: والله يعرفونه ولم أعرفـه, فقـالوا: أنت ابن خباب صاحب رسول الله صـلى الله عليه وسـلم؟. قـال: نعم,

قالوا: عندك حديث تحدثناه عن أبيك عن النبي صلى الله عليه وسلم؟, قال:
سمعته يقول: إنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فقال: «القاعد فيها خير من القائم, والقائم فيها خير من الماشي, والماشي فيها خير من الساعي, فإن أدركتك فكن عبد الله المقتول».
فأخذوه وسُرِّيَّة له معهم, فمر بعضهم على ثمرة ساقطة من نخلة, فأخذها فألقاها في فيه, فقال بعضهم: ثمرة معاهد فبم استحللتها؟ فألقاها من فيه ثم مروا على خنزير فنفحه بعضهم بسيفه فقال بعضهم: خنزير معاهد فبم استحللته؟, فقال عبد الله بن خباب: ألا أدلكم علىما هو أعظم عليكم حرمة من هذا؟ قالوا: نعم, قال: أنا.
ولكنهم قدموه إلى النهر فضربوا عنقه، يقول الراوي: فرأيت دمه يسيل على الماء, كأنه شراك نعل اندفر بالماء حتى توارى عنهم, ثم دعوا بالسرية وهي حبلى، فبقروا عما في بطنها،يقول الراوي: لم أصحب قومًا هم أبغض إليّ صحبة منهم, حتى وجدت خلوة فانفلت.
أثار هذا العمل الرعب بين الناس وأظهر مدى إرهابهم ببقر بطن هذه المرأة وذبحهم عبد الله كما تُذبح الشاة, ولم يكتفوا بهذا بل صاروا يهددون الناس قتلاً، حتى إن بعضهم استنكر عليهم هذا العمل قائلين: ويلكم ما على هذا فارقنا عليًا.
بالرغم من فظاعة ما ارتكبه الخوارج من منكرات بشعة, لم يبادر أمير المؤمنين علي إلى قتالهم،بل أرسل إليهم أن يسلموا القتلة لإقامة الحد عليهم،فأجابوه بعناد واستكبار: كلنا قتلة!
فسار إليهم بجيشه الذي قد أعده لقتال أهل الشام في شهر محرم من عام 38هـ, وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان, والخوارج على الضفة الشرقية منه.
وقال رضي الله عنه في يوم النهروان: أمرت بقتال المارقين.. وهؤلاء المارقون.
وأمر علي رضي الله عنه جيشه أن لا يبدؤوا بالقتال، حتى يجتاز الخوارج النهر غربًا،وأرسل علي رضي الله عنه رسله يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا, وأرسل إليهم البراء بن عازب رضي الله عنه يدعوهم ثلاثة أيام فأبوا، ولم تزل رسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسله، واجتازوا النهر, وعندما بلغ الخوارج هذا الحد وقطعوا الأمل في كل محاولات الصلح وحفظ الدماء، ورفضوا عنادًا واستكبارًا العودة إلى الحق وأصروا على القتال، قام أمير المؤمنين بترتيب الجيش وتهيئته للقتال.
وأمر علي أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم:
ـ من جاء إلى هذه الراية فهو آمن, ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن ، إنه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا. فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا أربعة آلاف، فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي،
وزحف الخوارج إلى علي يقولون: لا حكم إلا لله, الرواح الرواح إلى الجنة ، فنهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول, وقُتل أمراؤهم.

فقتلى أصــحاب علي فيما رواه مســلم في صــحيحه, وعن زيد بن وهب: رجلان فقــط. وفي رواية بســند حسن قــال: وقتل من أصــحاب علي اثنا عشر أو ثلاثة عشر.وأما قتلى الخـوارج, فتـذكر الروايـات أنهم أصيبوا جميعًا, ويذكر المسعودي أن عددًا يسيرًا لا يتجاوز العشرة, فروا بعد الهزيمة الساحقة.

ذو الثدية أو المخـــدج وأثر مقتله على جيش علي رضي الله عنه

ظهرت روايـات مختلفة في تحديد شخصـية ذي الثديـة, وهـذه الرواية منها ما هو ضـعيف الإسـناد ومنها ما هو قـوي, وقد جـاء في الأحـاديث النبوية أوصـــاف ذو الثدية، فمن ذلك أنه أســـود البشـــرة،وفي رواية حبشي, وأنه مخدج اليد،أي ناقص اليد, ويـده صـغيرة مجتمعة،فهي من المنكب إلى العضد فقط, أي بـدون ذراع, وفي نهاية عضـده مثل حلمة الثدي وعليها شعيرات بيض, وعضده ليست ثابتـة, كأنها بلا عظم إذ إنها تدردر أي تتحرك تذهب وتجئ،أما مخدج اليد, أو مـودون اليد أو مثـدون اليد، فكلها بمعنى واحد وهو ناقص اليد,كان علي رضي الله عنه يتحدث عن الخـوارج منذ ابتـداء بـدعتهم، وكثـيرًا ما كـان يتعـرض إلى ذكر ذي الثدية،وأنه علامة هؤلاء، ويسرد أوصــافه, وبعد نهاية المعركة الحاسـمة أمر علي رضي الله عنه أصحابه بـالبحث عن جثة المخـدج، لأن وجودها من الأدلة على أن عليًا رضي الله عنه على حق وصواب، وبعد مدة من البحث مــرت على عليّ وأصــحابه وجد أمــير المؤمــنين علي جماعة مكومة بعضها على بعض عند شفير النهر قال: أخرجوهم، فإذا المخـدج تحتهم جميعًا مما يلي الأرض، فكــبر عليّ ثم قــال: صــدق الله، وبلغ رسوله وسجد سجود الشكر, وكبر الناس حين رأوه واستبشروا.

أويس القرني رضي الله عنه

جاء في كتاب (تاريخ الإسلام) للذهبي:

قال هشـام الدّسـتوائيّ، عن قتـادة، عن زرارة بن أوفى، عن أسـير بن جابر قال: كان عمر إذا أتت عليه أمداد اليمن سـألهم: أفيكم أويس بن عـامر؟ حـتى أتى على أويس فقـال: أنت أويس بن عـامر؟ قـال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: كان بك بـرص فـبرأت منه غلاّ موضع درهم؟ قال: نعم، قال: ألك والدة؟ قال: نعم، فقال: سمعت رسول اله صلى الله عليه وسلم يقول:

ـ " يـأتي عليكم أويس بن عـامر مع أمـداد أهل اليمن من مـراد ثمّ من قرن، كـان به بـرص فـبرأ منه إلاّ موضع درهم، له والـدة هو بها بـرّ، لو أقسم على الله لأبرّه، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل "

فاستغفر لي، فاستغفر له، ثمّ قـال له عمـر: أين تريـد؟ قـال: الكوفـة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها فيستوصوا بك خيراً؟ فقال: لأن أكون في غـــبراء النّـــاس أحب إليّ، فلمّا كـــان في العـــام المقبل حجّ رجل من أشرافهم، فسـأله عمر عن أويس، كيف تركتـه؟ قـال: رثّ الـبيت قليل المتاع، قال عمر: سـمعت رسـول الله صـلى اله عليه وسـلم يقـول: "

يـأتي عليكم أويس مع أمـداد اليمن، كـان به بـرص فـبرأ منه إلاّ موضع درهم، له والدة هو بها برّ، لو أقسم على الله لأبرّه، فـإن اسـتطعت أن يستغفر لك فافعل " فلمّا قـدم الرجل أتى أويسـاً فقـال: اسـتغفر لي، قال: أنت أحدث عهداً بسفر صالح فاسـتغفر لي، وقـال: لقيت عمر بن الخطّاب؟ قال: نعم، قال: فاستغفر له، قال ففطن له النّـاس، فـانطلق على وجهه.

قال أسير بن جابر: فكسوته برداً، فكـان إذا رآه إنسـان قـال: من أين لأويس هذا. رواه مسلم بطوله.

وقال شريك، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لمّا كان يـوم صـفّين، نـادى منـاد من أصـحاب معاويـة أصـحاب عليّ: " أفيكم أويس القرنيّ "؟ قـالوا: نعم، فضـرب دابّته حـتى دخل معهم، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول: ــ"خـير التّـابعين أويس القرنيّ "

هـام : وجـود عمـار رضي الله عنه في جيش علي وقتله على يد جنـود معاوية ، بالإضـافة إلى وجــود المخـدج في قتلى الخــوارج بــالنهروان ، بالاضـافة إلى وجـود الصـحابي الجليل أويس القـرني في جيش الإمـام علي يدل بما لايدع مجالا للشك بـأن الحق كـان يمضي في ركـاب علي رضي الله عنه.

ويعلق الدكتور الصلابي على موضوع التحكيم بقوله :

التحكيم

تعد قضية التحكيم من أخطر الموضوعات في تـاريخ الخلافة الراشـدة، وقد تاه فيها كثير من الكُتّاب، وتخبط فيها آخرون وسـطروها في كتبهم ومؤلفـاتهم، وقد اعتمـدوا على الروايـات الضـعيفة والموضـوعة الـتي شوهت الصحابة الكـرام وخصوصًـا أبا موسى الأشـعري الـذي وصـفوه بأنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعًا ، ووصفوا عمـرو بن العـاص، رضي الله عنه، بأنه كان صاحب مكر وخداع.

وقد تلقاها النـاس منهم بـالقبول دون تمحيص لها وكأنها صـحيحة لا مرية فيهـا؛ وقد يكـون لصـياغتها القصصـية المثـيرة وما زعم فيها من خداع ومكر أثر في اهتمام الناس بها وعناية المؤرخين بتـدوينها. وليعلم أن كلامنا هـــذا ينصب على التفصـــيلات لا على أصل التحكيم حيث إن أصله حق لا شك فيه.

إن حيـاة أبى موسـى، رضي الله عنـه، منذ إسـلامه قضـاها في نشر الإسـلام وتعليم النـاس العلم، وخاصة القـرآن الـذي اشـتهر بقراءتـه، والجهاد في سبيل الله والحرص عليـه، والفصل في الخصـومات، ونشر العـدل وضـبط الولايـات عن طريق القضـاء والإدارة، ولا شك أن هـذه المهـامّ صـعبة وتحتـاج إلى مهـارات وصـفات فريـدة من العلم والفهم والفطنة والحذق والورع والزهد، وقد أخذ منها أبو موسى بنصيب وافر، فاعتمد عليه رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ثم الخلفـاء الأربعة من بعـده رضـوان الله عليهم, فهل يتصـور أن يثق رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ثم خلفـاؤه بعـده برجل يمكن أن تجـوز عليه مثل الخدعة

التي ترويها قصة التحكيم؟!
إن اختيــار أبى موسى –رضي الله عنه – حكمًا عن أهل العــراق من قبل عليّ- رضي الله عنه – وأصـــحابه ينســـجم تمامًا مع الأحـــداث، فالمرحلة التالية هي مرحلة الصلح وجمع كلمة المسـلمين، وأبو موسى الأشـعري كـان من دعـاة الصـلح والسـلام، كما كـان في الـوقت نفسه محبوبًا، مؤتمنًا من قبائل العراق، وقد ذكرت المصادر المتقدمة أن عليًا هو الذي اختار أبا موسى الأشعري، يقول خليفة في تاريخه:
ـ وفيها – سنة 37هـ- اجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعري من قبل عليّ، وعمرو بن العاص من قبل معاوية.
ويقول ابن سعد:
ـ فكــره النـاس الحـرب وتـداعوا على الصـلح، وحكّمـوا الحكمين، فحكَّم عليٌّ أبا موسى، وحكّم معاويةُ عمرو بن العاص.
ولهـذا يمكن القـول إن الـدور المنسـوب للقـراء في صـفين من مسـئولية وقف القتـال والتحكيم، وفـرض أبى موسى حكمًا ليست إلا فرية تاريخية اخترعها الإخبـاريون الشـيعة الـذين ما انقطعـوا عن تزوير وتشويه تاريخ الإسلام بالروايات الباطلة, وكـان يـزعجهم أن يظهر علي رضي الله عنه بمظهر المتعـاطف مع معاوية وأهل الشـام, وأن يـرغب في الصلح مع أعدائهم التقليديين ومن جهة أخـرى يحملـون المسـئولية لأعدائهم الخوارج ويتخلصـون منهـا, ويجعلـون دعـوى الخـوارج تنـاقض نفسـها, فهم الـذين أجـبروا عليًا على قبـول التحكيم, وهم الـذين ثـاروا عليه بسبب قبول التحكيم.
كما أن شخصـية عمـروبن العـاص رضي الله عنه الحقيقية أنه رجل مبادئ، غادر المدينة حين عجز عن نصرة عثمـان وبكى عليه بكـاءً مُـرًا حين قتل، فقد كان يدخل في الشورى في عهد عثمـان من غـير ولايـة، ومضى إلى معاويــة, رضي الله عنهمــا, يتعاونـان معًا على حـرب قتلة عثمان والثأر للخليفة الشهيد لقد كان مقتل عثمان كافيًا لأن يحـرك كل غضبه على أولئك المجرمين السفاكين, وكان لابد من اختيار مكان غـير المدينة للثـأر من هـؤلاء الـذين تجـرأوا على حـرم رسـول الله وقتلـوا الخليفة على أعين النـاس, وأي غرابة أن يغضب عمـرو لعثمـان؟. وإن كان هناك من يشك في هذا الموضوع فمداره على الروايــات المكذوبة التي تصور عمرًا همه السلطة والحكم.
هـذه هي الصـورة الصـادقة عن عمـرو رضي الله عنه والمتتالية مع شخصيته وخط حياته وقربه من عثمان، أما الصـورة الـتي تمسـخه إلى رجل مصـــالح وصـــاحب مطـــامع وراغب دنيا فهي الرواية المتروكة الضعيفة, رواية الواقدي عن موسى بن يعقـوب، وقد تـأثرت بالروايـات الضعيفة والسقيمة مجموعة من الكتاب والمؤرخين, فأهووا بعمرو إلى الحضيض, كالذي كتبه محمود شيت خطاب وعبد الخالق سيد أبو رابية, وعباس محمـود العقـاد الـذي يتعـالى عن النظر في الإسـناد ويسـتخف بقارئـــه, ويظهر له صـــورة معاوية وعمـــرو رضي الله عنهما بأنهما انتهازيـان صـاحبا مصـالح ولو أجمع الناقـدون التـاريخيون على بطلان الروايات التي استند إليها في تحليله فهذا لا يعني للعقاد شيئًا, فقد قال بعد أن ذكر روايات ضعيفة واهية لا تقوم بها حجة:
ـ " وليقل الناقدون التاريخيون ما بدا لهم أن يقولـوا في صـدق هـذا الحوار وصحة هذه الكلمات وما ثبت نقله ولم يثبت منه سنده ولا نصه، فالـذي لا ريب فيه ولو أجمعت التـواريخ قاطبة على نقضه أن الاتفـاق

بين الــرجلين, كــان اتفــاق مســاومة ومعاونة على الملك والولاية وأن المساومة بينهما كانت على النصيب الذي آل إلى كل منهما ولــولاه لما كان بينهما اتفاق."

قــال الــذهبي في تاريخه ، قــال أبو صــالح الســمان: قــال علي لأبي موسى: أحكم ولو على حز عنقي.

نص وثيقة التحكيم

كتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين

" بسم الله الرحمن الرحيم

1- هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب, ومعاوية بن أبي ســفيان وشيعتهما, فيما تراضيا فيه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

2- قضية علي على أهل العــراق شــاهدهم وغــائبهم, وقضــية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم.

3- إنا تراضــينا أن نقف عند حُكم القــرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته نحــيي ما أحيا ونميت ما أمــات. على ذلك تقاضــينا وبه تراضينا.

4- وإن عليًّا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظرًا وحاكمًــا, ورضي معاوية بعمرو بن العاص ناظرًا وحاكمًا.

5- على أن عليًا ومعاوية أخــذا على عبد الله بن قيس وعمــرو بن العــاص عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رســوله, أن يتخــذا القــرآن إمامًا ولا يعــــدوا به إلى غــــيره في الحكم بما وجــــداه فيه مســطورًاوما لم يجــدا في الكتــاب رداه إلى ســنة رســول الله الجامعة،لا يعتمدان لها خلافاولا يبغيان فيها بشبهة.

6- وأخذ عبد الله بن قيس وعمــرو بن العــاص على علي ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما في كتــاب الله وســنة نبيه وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره.

7- وهما آمنــان في حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأشــعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما, ما لم يَعْدُوَا الحــق, رضى به راض أو سخط ساخط, وإن الإمة أنصــارهما على ما قضــيا به من الحق مما في كتاب الله.

8- فإن توفى أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة فلشــيعته وأنصــاره أن يختــاروا مكانه رجلاً من أهل المعدلة والصــلاح على ما كــان عليه صاحبه من العهد والميثاق.

9- وإن مــات أحد الأمــيرين قبل انقضــاء الأجل المحــدود في هــذه القضية فلشيعته أن يولوا مكانه رجلاً يرضون عدله.

10- وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح.

11- وقد وجبت القضــية على ما ســميناه في هــذا الكتــاب من موقع الشرط على الأمــيرين والحكمين والفــريقين، والله أقــرب شــهيد وكفى به شــهيدًا،فــإن خالفا وتعــديا, فالأمة بريئة من حكمهما ولا عهد لهما ولا ذمة.

12- والناس آمنون على أنفســهم وأهــاليهم وأولادهم وأمــوالهم إلى انقضــاء الأجل والســلاح موضــوعة والســبل آمنة والغــائب من الفريقين مثل الشاهد في الأمر.

13- وللحكمين أن ينزلا منزلاً متوسطًا عدلاً بين أهل العراق والشام.
14- ولا يحضرهما فيه إلا من أحبَّا عن تراض منهما.
15- والأجل إلى انقضاء شهر رمضان، فإن رأي الحكمان تعجيل الحكومة عجلاها،وإن رأيا تأخيرها إلى آخر الأجل أخَّراها.
16- فإن هما لم يحكما بما في كتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الأجل، فالفريقان على أمرهما الأول في الحرب.
17- وعلى الأمة عهد الله وميثاقه في هذا الأمر، وهم جميعًا يد واحدة على ما أراد في هذا الأمر إلحادًا أو ظلمًا أو خلافًا"

وشهد على ما في هذا الكتاب الحسن والحسين, ابنا علي، وعبد الله بن عباس،وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب, والأشعث بن قيس الكندي، والأشتر بن الحارث وآخرون.

قصة التحكيم المشهورة وبطلانها

لقد كثر الكلام حول قصة التحكيم, وتداولها المؤرخون والكتاب على أنها حقيقة ثابتة لا مرية فيها, فهم بين مطيل في سياقها ومختصر وشارح ومستنبط للدروس وبان للأحكام على مضامينها, وقلما تجد أحدًا وقف عندها فاحصًا محققًا، وقد أحسن ابن العربي في ردها إجمالاً وإن كان غير مفصل، وفي هذا دلالة على قوة حاسته النقدية للنصوص، إذ أن جميع متون قصة التحكيم لا يمكن أن تقوم أمام معيار النقد العلمي، بل هي باطلة من عدة وجوه:

1 ـ أن جميع طرقها ضعيفة من هذه الروايات...... رفع أهل الشام المصاحف وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه, وكان ذلك مكيدة من عمرو بن العاص, فاصطلحوا وكتبوا بينهم كتابًا على أن يوافوا رأس الحول أذرح, وحكموا حكمين ينظران في أمور الناس فيرضون بحكمهما, فحكم علي أبا موسى الأشعري, وحكم معاوية عمرو بن العاص، وتفرق الناس, فرجع علي إلى الكوفة بالاختلاف والدغل, واختلف عليه أصحابه فخرج عليه الخوارج من أصحابه ممن كانوا معه, وأنكروا تحكيمه وقالوا: لا حكم إلا لله, ورجع معاوية إلى الشام بالألفة واجتماع الكلمة عليه.

ووافى الحكمان بعد الحول بأذرح في شعبان سنة ثمان وثلاثين, واجتمع الناس إليهما وكان بينهما كلام اجتمعا عليه في السر خالفه عمرو بن العاص في العلانية, فقدم أبا موسى فتكلم وخلع عليًا ومعاوية, ثم تكلم عمرو بن العاص فخلع عليًا وأقر معاوية, فتفرق الحكمان ومن كان اجتمع إليهما, وبايع أهل الشام معاوية في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وأما طرق أبي مخنف فهي معلولة به, وهو أبو مخنف لوط بن يحيى, ضعيف ليس بثقة, وإخباري تالف غالى في الرفض.

2 ـ وردت رواية تنقض تلك الروايات تمامًا, وذلك فيما أخرجه البخاري في تاريخه مختصرًا بسند رجاله ثقات, وأخرجه ابن عساكر معلولاً, عن الحصين بن المنذر أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له:

ـ إنه بلغني عن عمرو بعض ما أكره فأته فاسأله عن الأمر الذي اجتمع عمرو وأبو موسى فيه كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس

وقــالوا, ولا والله ما كــان ما قــالوا, ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى قلت له: ما ترى في هـذا الأمـر؟ قـال: أرى أنه من النفر الـذين تـوفي رسول الله وهو عنهم راض قـال: فقلت: أين تجعلـني من هـذا الأمر أنا ومعاويــة؟ قــال: إن يســتعن بكما ففيكما معونــة, وإن يســتغن عنكما فطال ما استغنى أمر الله عنكما ، وقد روى أبو موسى عن تورع عمرو ومحاسبته لنفسه, وتـذكره سـيرة أبي بكر وعمـر, وخوفه من الأحـداث بعدهما.

3ـ إن معاوية كـان يقر بفضل علي عليه وأنه أحق بالخلافة منـه, فلم ينازعه الخلافة ولا طلبها لنفسه في حياة علي

فقد أخــرج يحـيى بن سـليمان الجعفي بسـند جيـد, عن أبي مسـلم الخولاني أنه قـال لمعاويـة: أنت تنـازع عليًا في الخلافـة, أو أنت مثلـه؟ قال: لا وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بـالأمر, ولكن ألسـتم تعلمـون أن عثمــان قُتل مظلومًا وأنا ابن عمه ووليه أطـالب بدمــه؟ فـأتوا عليًا فقولـوا لـه: يـدفع لنا قتلة عثمـان وأسـلم لـه, فـأتوا عليًا فكلمـوه فلم يدفعهم إليه

فهـذا هو أصل الـنزاع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، فـالتحكيم من أجل حل هذه القضية المتنازع عليها لا لاختيار خليفة أو عزله .

وجاء في كتاب (دفع البهتـان عن معاوية بن أبي سـفيان)تـأليف أبو عبد الله الذهبي

يقول إمام الحرمين الجويني في لمع الأدلة:

ـ " إن معاوية و إن قاتل علياً فإنه لا ينكر إمامته و لا يدعيها لنفسه ، و إنما كان يطلب قتلة عثمان ظناً منه أنه مصيب ، و كان مخطئاً "

أما شيخ الإسلام فيقول :

ـ بـأن معاوية لم يـدّع الخلافة و لم يبــايع له بها حـتى قتل علي ، فلم يقاتل على أنه خليفة ، و لا أنه يستحقها ، و كان يقر بذلك لمن يسأله . مجموع الفتاوى (35/72) .

و يورد ابن كثير في البداية و النهاية (7/360)

عن ابن ديزيل - هو إبراهيم بن الحسين بن علي الهمـداني المعـروف بابن ديزيل الإمام الحافظ (ت 281 هــ) انظر : تـاريخ دمشق (6/387) و ســير أعلام النبلاء (13/184-192) و لســان المــيزان لابن حجر (1/48) - ، بإسناد إلى أبي الدرداء و أبي أمامة رضي الله عنهما ، أنهما دخلا على معاوية فقالا له : يا معاوية ! علام تقاتل هـذا الرجل ؟ فوالله إنه أقدم منك و من أبيك إسلاماً ، و أقـرب منك إلى رسـول الله صـلى الله عليه وسلم و أحق بهذا الأمر منك . فقال : أقاتله على دم عثمان ، و أنه آوى قتلة عثمان، فاذهبا إليه فقولا : فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من أبايعه من أهل الشام

و يقول ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة (ص 325) :

و من اعتقــاد أهل الســنة و الجماعة أن ما جــرى بين معاوية و علي رضي الله عنهما من الحــــــــرب ، لم يكن لمنازعة معاوية لعلي في

الخلافة للإجمـــاع على أحقيتها لعلي .. فلم تهج الفتنة بســببها ، و إنما هاجت بسبب أن معاوية و من معه طلبوا من علي تسـليم قتلة عثمـان إليهم لكون معاوية ابن عمه ، فامتنع علي .

إن معاوية رضي الله عنه كان من كتاب الوحي ، و من أفاضل الصحابة ، و أصـــدقهم لهجة ، و أكـــثرهم حلمـــاً فكيف يعتقد أن يقاتل الخليفة الشــرعي و يريق دمــاء المســلمين من أجل ملك زائل ، و هو القائل : (والله لا أخير بين أمرين ، بين الله و بين غـيره إلا اخـترت الله على ما سواه) سير أعلام النبلاء للذهبي (3/151) .

ويقول ابن حزم في هذا الصدد:

ـ بـأن عليًا قاتل معاوية لامتناعه عن تنفيذ أوامــره في جميع أرض الشـــام وهو الإمـــام الـــواجب طاعته ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة لكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القــود من قتلة عثمان على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من أولاد عثمان وأولاد الحكم بن أبي العـاص لسـنه وقوته على الطلب بــذلك، وأصــاب في هــذا وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط وفهم الخلاف على هـذه الصـورة –وهي صـورته الحقيقيـة- بيَّن إلى أي مدى تخطئ الروايت السابقة عن التحكيم في تصوير قرار الحكمين.

إن الحكمين كانا مفوضـين للحكم في الخلاف بين علي ومعاويــة, ولم يكن الخلاف بينهما حــول الخلافة ومن أحق بها منهمــا, وإنما كـان حول توقيع القصاص على قتلة عثمـان, وليس هـذا من أمر الخلافة في شيء.

4- إن الشــروط الـتي يجب توافرها في الخليفة هي العدالة والعلم, والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصـالح وأن يكـون قرشـيًا وقد توافرت هذه الشروط في علي رضي الله عنه, فهل بيعته منعقـدة أم لا؟ فــإن كــانت منعقــدة –ولا شك في ذلــك- وقد بايعه المهــاجرون والأنصار؛ أهل الحل والعقد, وخصـومه يقـرون له بـذلك, فقـول معاوية السـابق يـدل عليه بـأن «الإمـام إذا لم يخل عن صـفات الأئمـة, فـرام العاقدون له عقد الإمامة أن يخلعوه، لم يجـدوا إلى ذلك سـبيلاً باتفـاق الأئمة, فإن عقد الإمام لازم,لا اختيـار في حله من غـير سـبب يقتضـيه, ولو تخــير الرعايا في خلع إمـام الخلق على حكم الإيثـار والاختيـار لما اســتتب للإمــام طاعة ولما اســتمرت له قــدرة واســتطاعة ولما صح لمنصب الإمام معنى

وإذن فليس الأمر بهذه الصورة التي تحكيها الروايات؛ كل من لم يــرض بإمامه خلعـــه, فعقد الإمامة لا يحله إلا من عقـــده, وهم أهل الحل والعقد وبشرط إخلال الإمام بشـروط الإمامـة, وهل علي رضي الله عنه فعل ذلك واتفق أهل الحل والعقد على عزله عن الخلافة وهو الخليفة الراشد حـــتى يقــال إن الحكمين اتفقا على ذلــك, فما ظهر منه قط إلى أن مــات رضي الله عنه شيء يوجب نقض بيعته, وما ظهر منه قط إلا العدل, والجد, والبر والتقوى والخير.

5- إن الزمان الذي قـام فيه التحكيم زمـان فتنـة, وحالة المسـلمين مضطربة مع وجود خليفة لهم, فكيف تنتظم حالتهم مع عـزل الخليفـة, لاشك أن الأحوال ستزداد سوءًا, والصحابة الكرام أحذق وأعقل من أن يقدموا على هذا؟ ولهذا يتضح بطلان هذا الرأي عقلاً ونقلاً.

6- إن عمر بن الخطــــــــاب رضي الله عنه حصر الخلافة في أهل الشورى: وهم الستة وقد رضي المهاجرون والأنصار بـذلك, فكـان ذلك إذنًا في أن الخلافة لا تعـدو هـؤلاء إلى غـيرهم ما بقى منهم واحد ولم يبق منهم في زمان التحكيم إلا سـعد بن أبي وقـاص, وقد اعـتزل الأمر ورغب عن الولاية, والإمارة, وعلي بن أبي طـالب القـائم بـأمر الخلافة وهو أفضل الستة بعد عثمان فكيف يتخطى بالأمر إلى غيره..؟

7- أوضـحت الروايـات أن أهل الشـام بـايعوا معاوية بعد التحكيم: والسؤال: ما المسوغ الذي جعل أهل الشام يبـايعون معاويـة؟ إن كـان من أجل التحكيم, فالحكمـــان لم يتفقا ولم يكن ثمة مــبرر آخر حـــتى ينسب عنهم ذلك, مع أن ابن عساكر نقل بسند رجاله ثقـات عن سـعيد بن عبد العزيز التنوخي, أعلم الناس بأمر الشام أنه قال:

ـ كان علي بالعراق يدعى أمير المؤمنين وكان معاوية بالشام يدعى الأمير, فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمـير المؤمـنين فهـذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي.

قال الطبري في آخر حوادث سنة أربعين:

ـ وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء .

ـ وعلق على هـذا ابن كثـير بقولـه: يعـني لما مـات علي قـام أهل الشـــام فبـايعوا معاوية على إمــرة المؤمـــنين لأنه لم يبق له عنـــدهم منازع..... . وإضـافة إلى ذلك فـإن النصـوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول, فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قـال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»

والنصوص في هذا المعـنى كثـيرة. ومن المحـال أن يطبق الصـحابة على مخالفة ذلك.

8ـ ليس من شك في أن أمر الخلاف الذي رأى الحكمان رده إلى الأمة وإلى أهل الشـــورى ليس إلا أمر الخلاف بين علي ومعاوية حـــول قتلة عثمـان, ولم يكن معاوية مـدعيًا للخلافـة, ولا منكـرًا حق علي فيها كما تقرر سابقًا, وإنما كان ممتنعًا عن بيعته, وعن تنفيذ أوامـره في الشـام حيث كـــان متغلبًا عليها بحكم الواقع لا بحكم القـــانون, مســتفيدًا من طاعة الناس له بعد أن بقي واليًا فيها زهاء عشرين سنة, وقد قـال ابن دحية الكلـــبي في كتابه «أعلام النصر المـــبين في المفاضـــلة بين أهل صـفين»: قـال أبو بكر محمد الطيب الأشـعري –البـاقلاني- في منـاقب الأئمة: فما اتفق الحكمـان قط على خلعه –علي بن أبي طـالب- وعلى أنهما لو اتفقا على خلعه لم ينخلع حتى يكـون الكتـاب والسـنة المجتمع عليهما يوجبان خلعه, أو أحد منهما على ما شرطا في الموافقة بينهمـا, أو إلى أن يبينا ما يوجب خلعه من الكتـاب والسـنة, ونص كتـاب علي – عليه السـلام- اشـترط على الحكمين أن يحكما بما في كتـاب الله عز وجل من فاتحته إلى خاتمته لا يجاوزان ذلك ولا يحيدان عنـه, ولا يميلان إلى هـــوى ولا إدهـــان, وأخذ عليهما أغلظ العهـــود والمواثيـــق, وإن هما جاوزا بالحكم كتاب الله فلا حكم لهما.. والكتاب والسنة يثبتان إمامته.

التحذير من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة

1- الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة: من الكتب التي شـــوهت تاريخ صدر الإسلام كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبـــة, ولقد

ساق الدكتور عبد الله عسيلان في كتابه «الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي» مجموعة من الأدلة تـبرهن على أن الكتـاب المـذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذبًا وزورًا ومن هذه الأدلة:

2- نهج البلاغة: ومن الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصـحابة بالباطل كتاب نهج البلاغة؛ فهذا الكتاب مطعون في سـنده ومتنـه, فقد جمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف قـرن بلا سـند, وقد نسـبت الشـيعة تـأليف نهج البلاغة إلى الشـريف الرضي وهو غـير مقبـول عند المحدثين لو أسند خصوصًـا فيما يوافق بدعتـه, فكيف إذا لم يسـند كما فعل في النهج؟ وأما المتهم –عند المحـــدثين- فهو أخـــوه علي, فقد تحدث العلماء فيه فقالوا:

3- كتـاب الأغـاني للأصـفهاني: يعتـبر كتـاب الأغـاني لأبي الفـرج الأصفهاني كتاب أدب وسمر وغناء, وليس كتاب علم وتاريخ وفقـه, وله طنين ورنين في آذان أهل الأدب والتاريخ, فليس معنى ذلك أن يسـكت عما ورد فيه من الشعوبية والدس, والكذب الفاضح والطعن والمعايب.

4- تاريخ اليعقوبي, ت 290هـ: هو أحمد بن أبي يعقـوب إسـحاق بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي من أهل بغداد, مؤرخ شـيعي إمـامي كان يعمل في كتابة الـدواوين في الدولة العباسـية حـتى لقب بالكـاتب العباسي, وقد عـرض اليعقـوبي تـاريخ الدولة الإسـلامية من وجهة نظر الشـــيعة, الإماميـــة, فهو لا يعـــترف بالخلافة إلى لعلي بن أبي طـــالب وأبنائه حسب تسلسل الأئمة عند الشـــيعة, ويســـمي عليًا بالوصـــي, وعندما أرَّخ لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يضف عليهم لقب الخلافة وإنما قال تولى الأمر فلان, ثم لم يترك واحدًا منهم دون أن يطعن فيه, وكـذلك كبـار الصـحابة, فقد ذكر عن عائشـة, رضي الله عنهـا, أخبـارًا سـيئة, وكـذلك عن خالد بن الوليد وعمـرو بن العـاص ومعاوية بن أبي سفيان.

5 ـ المسعودي (ت: 345هـ) كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر: هو أبو الحسن علي بن الحسـين بن علي المسـعودي, والمسـعودي رجل شيعي, فقد قـال فيه ابن حجـر: كتبه طافحة بأنه كـان شـيعيًا معتزليًـا, وقد ذكر أن الوصـية جارية من عهد آدم تنقل من قـرن إلى قـرن حـتى رسولنا صلى الله عليه وسلم ثم أشار إلى اختلاف النـاس بعد ذلك في النص والاختيـار, فقد رأى الشـيعة الإمامية الـذين يقولـون بـالنص وقد أولى الأحـداث المتعلقة بعلي بن أبي طـــالب رضي الله عنه في كتابه مروج الذهب اهتمامًا كبـيرًا أكـثر من اهتمامه بحيـاة رسـول الله صـلى الله عليه وسلم في الكتاب المذكور, وركز اهتمامه بالبيت العلوي وتتبع أخبارهم بشـكل واضح في كتابه مـروج الـذهب, وعمل بـدون حيـاء ولا خجل على تشويه تاريخ صدر الإسلام.

الاستشراق والتاريخ الإسلامي

إن من أعظم الفـرق أثـرًا في تحريف التـاريخ الإسـلامي الشـيعة الرافضة بمختلف طوائفها وفرقها, فهم من أقدم الفـرق ظهـورًا, ولهم تنظيم سياسي وتصـور عقائـدي, ومنهج فكـري –منحـرف- وهم أكـثر الطوائف كـــذبًا على خصـــومهم, كما أنهم من أشد النـــاس خصـــومة للصحابة ، فسب الصحابة وتكفيرهم من أساسـيات معتقـدهم وأركانـه, خاصة الشيخين أبا بكر وعمر ويسـمونهما الجبت والطـاغوت, وقد كـان

للشيعة أكبر عدد من الرواة والإخباريين الذين تولوا نشر أكاذيبهم ومفترياتهم وتدوينها في كتب ورسائل عن أحداث التاريخ الإسلامي, خاصة الأحداث الداخلية, كما كان للشعوبية والعصبية أثر في وضع الأخبار التاريخية والحكايات والقصص الرامية إلى تشويه التاريخ الإسلامي, وإلى إعلاء طائفة على طائفة, أو أهل بلد على آخر, أو جنس على جنس, وإبعاد الميزان الشرعي في التفاضل وهو ميزان التقوى "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ" [الحجرات:13].

علماء تصدوا لكشف الزيف والأكاذيب

وقد كان من فضل الله وتوفيقه أن قيض مجموعة من العلماء النقاد الذين قاموا بجهد في نقد الرواة والمرويات فبينوا الزائف من الصحيح, ودافعوا عن عقيدة الأمة وتاريخها, وجهد علماء السنة في بيان الأحاديث المكذوبة بالنص عليها وبيان الرواة الضعاف والمتهمين وأصحاب الأهواء, وفي رسم المنهج في نقد الروايات وقبولها, جهد كبير وموفق, من أبرز من تصدى لإيضاح المغالط التاريخية ورد زيف الروايات المكذوبة:

1 ـ القاضي ابن العربي في كتاب «العواصم من القواصم»,

2 ـ والإمام ابن تيمية في كثير من كتبه ورسائله, خاصة كتابه القيم «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية»,

3 ـ الحافظ الناقد الذهبي في كثير من مؤلفاته التاريخية مثل كتاب «سير أعلام النبلاء, وتاريخ الإسلام, وميزان الاعتدال في نقد الرجال»,

4 ـ وكذلك الحافظ ابن كثير المفسر المؤرخ في كتابه «البداية والنهاية»

5 ـ وأيضًا الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه, «فتح الباري في شرح صحيح البخاري, ولسان الميزان, وتهذيب التهذيب والإصابة في معرفة الصحابة».

الوسائل التي استخدمت لغرض تحريف الوقائع التاريخية

أما الوسائل التي استخدمت لغرض تحريف الوقائع التاريخية وتشويه سير رجال الصدر الأول من الصحابة والتابعين فهي كثيرة ونذكر منها:

- الاختلاق والكذب.
- الإتيان بخبر أو حادثة صحيحة فيزيدون فيها وينقصون منها حتى تتشوه وتخرج عن أصلها.
- وضع الخبر في غير سياقه حتى ينحرف عن معناه ومقصده, والتأويل والتفسير الباطل للأحداث.
- إبراز المثالب والأخطاء وإخفاء الحقائق المستقيمة.
- صناعة الأشعار وانتحالها لتأييد حوادث تاريخية مدعاة لأن الشعر العربي ينظر له كوثيقة تاريخية ومستند يساعد في توثيق الخبر وتأييده.

وضع الكتب والرسائل المكذوبة ونحلها لعلماء وشخصيات مشهورة, كما وضعت الرافضة كتاب «الإمامة والسياسة» الذي نسبته إلى أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري لشهرته عند أهل السنة وثقتهم به كما مر معنا.

وقد تلقف هذه الأكاذيب والتحريفات في القرن الماضي علماء الغرب وكتابه من المستشرقين والمنصرين - إبان غزوهم واستعمارهم للبلدان الإسلامية- فوجدوا فيها ضالتهم, وأخذوا يعملون على إبرازها والتركيز عليها مع ما زادوه من عندهم ـ بدافع من عصبيتهم وكرههم للمسلمين- من الكذب مثل اختراع حوادث لا أصل لها, أو التفسير المغرض للحوادث التاريخية بقصد التشوية, أو التفسير الخاطئ تبعًا للتصور والاعتقاد الذي يدينون به, ثم شايع هؤلاء طائفة غير قليلة العدد من تلاميذ المستشرقين في البلاد العربية والإسلامية, وأخذوا طرائقهم ومناهجهم في البحث, وأفكارهم وتصوراتهم في الفهم والتحليل وتفسير التاريخ, وحملوا الراية بعد رحيلهم عن بلاد المسلمين, فكان ضررهم أشد وأنكى من ضرر أساتذتهم المستشرقين, ومن ضرر أسلافهم السابقين من فرق البدع والضلال, وذلك أنهم ادعوا – كأساتذتهم- اتباع الروح العلمية المتجردة والمنهج العلمي في البحث, والحقيقة أن غالبهم لم يتجرد إلا من عقيدته, أما التجرد بمعنى الإخلاص للحق وسلوك المنهج العلمي السليم في إثبات الوقائع التاريخية, كالمقارنة بين الروايات, ومعرفة قيمة المصادر التي يرجعون إليها, ومدى أمانة الناقلين, وضبطهم لما نقلوا, وقياس الأخبار واعتبارهم بأحوال العمران البشري وطبائعه() فلا أثر له عند القوم, فلم يتقنوا من المنهج العلمي إلا الأمور الشكلية مثل الحواشي وترتيب المراجع وما شابهها, وربما كان هذا هو مفهوم المنهج العلمي عندهم يقول محب الدين الخطيب: إن الذين تثقفوا بثقافة أجنبية عنا قد غلب عليهم الوهم بأنهم غرباء عن هذا الماضي, وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء نيابة من المتهمين, بل لقد أوغل بعضهم في الحرص على الظهور أمام الأغيار بمظهر المتجرد عن كل آصرة بماضي العروبة والإسلام جريًا وراء المستشرقين في ارتيابهم حيث تحس الطمأنينة وميلهم مع الهوى عندما يدعوهم الحق إلى التثبت وفي إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون في أيديهم الدلائل عليه.

ومن أهم الوسائل التي اتبعها المستشرقون وتلاميذهم في تشويه وتحريف حقائق التاريخ الإسلامي

التدخل بالتفسير الخاطئ للأحداث التاريخية على وفق مقتضيات أحوال عصرهم الذي يعيشون هم فيه وحسبما يجول بخواطرهم, دون أن يحققوا أولاً الواقعة التاريخية حتى تثبت ودون أن يراعوا ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة وأحوال الناس وتوجهاتهم في ذلك الوقت, والعقيدة التي تحكمهم ويدينون بها, فإنه قبل تفسير الحادثة لابد من ثبوت وقوعها وليس وجودها في كتاب من الكتب كافيًا لثبوتها لأن مرحلة الثبوت مرحلة سابقة على البحث في تفسير الواقعة التاريخية, كما ينبغي أن يكون التفسير متمشيًا مع منطوق الخبر التاريخي, وموضوع البحث, ومع الطابع العام للمجتمع, أو العصر والبيئة التي حدثت فيها الواقعة, كما يشترط ألا يكون هذا التفسير متعارضًا مع واقعة أو جملة وقائع أخرى ثابتة, كما أنه لا ينبغي أن ينظر في التفسير إلى عامل واحد – كما هو ديدن كثير من المدارس التاريخية المعاصرة- وإنما ينظر فيه إلى جملة العوامل المؤثرة في الحديث وخاصة العوامل العقيدية والفكرية.. ثم إن التفسير التاريخي للحوادث بعد هذا كله لا يعدو كونه اجتهادًا بشريًا يحتمل الصواب والخطأ, ولقد

أبرز البعض تاريخ الفرق الضالة وعمد إلى تضخيم أدوارها وتصويرها بصورة المصلح المظلوم, وبأن المؤرخين المسلمين قد تحاملوا عليها, فالقرامطة والإسماعيلية, والرافضة الإمامية والفاطمية والزنج وإخوان الصفا, والخوارج كلهم في نظرهم واعتبارهم دعاة إصلاح وعدالة وحرية ومساواة, وثورتهم كانت ثورات لإصلاح الظلم والجور, فهذا الشغب والإرجاف على التاريخ الإسلامي ومزاحمة سير رجاله ودعاته بسير قادة الفرق الضالة أمر لا يستغرب من قوم لا يدينون بالإسلام, فهم من واقع عقيدتهم يكيدون له بكل جهد مستطاع, ليلاً ونهارًا, وسرًا وجهارًا ولا يتوقع من مطموسي الإيمان وملل الكفر إلا مناصرة إخوانهم في الضلال, ولكن الأمر الذي قد يحدث استغرابًا عند البعض أن يحمل راية التشويه والتحريف بعد سقوط دولة الاستشراق كتاب يحملون أسماء إسلامية ومن أبناء المسلمين, ويقومون بنشر مثل هذه السموم على بني جلدتهم ليصرفوا بها الأغرار عن الصراط المستقيم, ولقد عمد هؤلاء إلى التشبث بالروايات المشبوهة والضعيفة, والساقطة يلتقطونها من كتب الأدب وقصص السمر والحكايات الشعبية والكتب المنحولة والضعيفة, فهذه الكتب هي مستنداتهم في الغالب مع ما يجدونه من الروايات المكذوبة في الطبري والمسعودي, مع أنهم يعلمون أنها لا تعتبر مراجع علمية يعتمد عليها, لقد وقع الاعتداء على التاريخ الإسلامي –خاصة تاريخ الصدر الأول- بالتشويه عن طريق اختيار مواقف مختارة والتركيز عليها, كالمعارك والحروب مع تصويرها على غير حقيقتها حتى تزول عنها صفة الجهاد في سبيل الله, أو التركيز على الأحداث والفتن الداخلية بقصد إظهار خلافات الصحابة, رضي الله عنهم, وعرضها وكأنها نموذج للصراعات والمكائد السياسية في وقتنا الحاضر, وبالتجهيل وهو إهمال كل ما هو مدعاة للاقتداء والأسوة الحسنة, وبالتشكيك, وهو توجيه السهام إلى التاريخ ورجاله وإلى المؤرخين المسلمين أنفسهم والتشكيك في معلوماتهم وصدقهم, وبالتجزئة وهي محاولة تجزئة التاريخ الإسلامي إلى أوصال وأشتات وكأنها لا رابط بينها كالتوزيع الإقليمي والعرقي ونحوه, فكل هذه الوسائل والحملات تسعى إلى تدمير تاريخنا الإسلامي ومحو معالمه النيرة وإبعاده عن مجال القدوة الحسنة والتربية الصحيحة.

الأيام الأخيرة من حياة الإمام علي

لكل بداية نهايتها، وهاهوالإمام علي كرم الله وجهه يخطو خطواته الأخيرة من حياته المليئة بالدم والدموع ، يمضي صاحب الانتصارات الباهرة في صدر الإسلام وبداياته مفعماً باليأس من قوم دأبوا على مخالفته ، يمضي وقد ناء كاهله بحب شيعته ، وكره من خرجوا عليه ، وكلتا الفرقتين خرجتا من معسكره فلا رحمه من أحبه ، وما ترك له من كرهه فرصة لالتقاط الأنفاس .

وكأن قدر هذا الفارس أن يظل هكذا مصدوما إلى النهاية ، صدم بموت الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وكان يجد معه وبقربه الأمان كل الأمان ، وبعدها صدم بموت زوجته الحبيبة فاطمة الزهراء بنت الحبيب محمد صلوات الله عليه وسلم ، وظلت الأعين تغمزه ين الفينة والأخرى والألسن تلمزه لعباً على أوتار السلطة والخلافة ، ينسجون

الحكايات ويخترعون ويتقولـون على لسـانه ما لم يقل وما لم يخطر له ببال ، فنار العصبية لم تخمد تماما في قلوب البعض.
وحـتى بعد أن جاءته الخلافة ، جاءته مغموسة بالـدماء وهو لها كـاره ، لكنه قبلها بروح الفارس الذي يموت دون واجبه ، وبروح المسلم الحق الذي يبدي مصلحة الأمة على نفسه
قبل الإمام الخلافة ظنا منه أنه يمكنه الحفـاظ على وحـدة الأمة . كـان مخلصاً في قصــده ، نـبيلا في سـلوكه ، وفعل ماأمكنه الله أن يفعل ، وفي آخر المطاف وجد القائد نفسه في موقف لايحسد عليه ، فجنـوده يعصـونه تباعا ، ويفـرون إلى خصـمه ، والهـدف الـذي قبل الخلافة من أجله لم يتحقق ، فلم يجد راحته إلا في تمني الموت .
يقـــول الـــدكتور الصـــلابي عن هـــذه المرحلة الحرجة في حيـــاة الإمام(بتصرف) :
روى عن الشعبي في هذا الخصوص قوله:
لما قتل علي أهل النهـــروان، خالفه قـــوم كثـــير، وانقضت عليه أطرافه، وانتقض أهل الأهواز، وطمع أهل الخـراج في كسـره وأخرجـوا سهل بن حنيف عامل علي بن أبي طالب من فارس.
وفي الجانب الآخر كان معاوية -رضي الله عنـه- يعمل بشـتى الوسـائل سرا وعلانية على إضعاف جانب أمير المؤمـنين علي -رضي الله عنـه-، واســتغل ما أصـــاب جيشه من تفكك وخلاف، فأرسل جيشا إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص -رضي الله عنه- سيطر عليها وضمها إليه
وقد استطاع معاوية -رضي الله عنه- أن يؤثر على بعض الأعيان والـولاة بسبب ما يمنيهم ويعدهم به، ولما يرونه من علو أمر معاوية، وتفرق أمر علي -رضي الله عنه- إذ يقول في إحدى خطبه:
ـ " إلا أن بســرا قد أطلع من قبل معاويــة، ولا أرى هــؤلاء القـــوم إلا ســـيظهرون عليكم باجتمـــاعهم على بـــاطلهم وتفـــرقكم عن حقكم، وبطــاعتهم أمــيرهم ومعصـيتكم أمـيركم، وبـأدائهم الأمانة وبخيـانتكم، استعملت فلانا فغل وغـدر وحمل المـال إلى معاويـة، واستعملت فلانا آخر فخان وغدر وحمل المال إلى معاويـة، حـتى لو ائتمنت أحـدهم على قدح خشيت علي علاقته، اللهم إني أبغضـتهم وأبغضـوني فـأرحهم مـني وأرحني منهم"
ومع ذلك فلم يستسـلم أمـير المؤمـنين على -رضي الله عنـه- لهـذه المصائب، وهذا التقاعس والتخاذل فبذل جهده في انتهاض همة جيشه بكل ما أوتي من علم وحجة وفصـاحة وبيـان، وجـاء في إحـدى خطبه وهويلوم جنده ويبين لهم ما اصابه من جراء تقاعسهم ما يلي:
ـ " فيا عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتمـاع هـؤلاء القـوم على باطلهم وتفـرقكم عن حقكم، فقبحا لكم وترحـاحيث صـرتم غرضا يــرمى، يغــار عليكم ولا تغــيرون، وتُغــزون ولا تَغــزون, ويعصى الله وترضون فـإذا أمـرتكم بالسـير إليهم في أيـام الحر قلتم: هـذه حمـارة القيظ أمهلنا يسـبخ عنا الحـر، وإذا أمـرتكم بالسـير إليهم في الشـتاء قلتم: هذه صبارة القر، أمهلنا يسبخ عنا الـبرد، كل هـذا فـرارا من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون، فإذا أنتم والله من السـيف أفر يا أشـباه الرجـال ولا رجـال ، حلـوم الأطفـال وعقـول ربـات الحجـال، لـوددت أني لم أركم ولم أعـرفكم، معرفة والله جـرت نـدما، وأعقبت سـدما، قـاتلكم اللـه، لقد ملأتم قلـبي قيحـا، وشـحنتم صـدري غيظـا،

وجرعتمـــوني نغب التهـــام أنفاسا ، وأفســـدتم علي رأيي بالعصـــيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شـجاع، ولكن لا علم له بـالحرب.. لله أبـوهم، وهل أحد منهم أشد لها مراسا مــني، وأقـدم فيها مقامـا؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشـرين، وها أنـذا قد ذرفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع"

وبالرغم من كل هـذه المحـاولات والجهـود المضـنية لم يسـتطع -رضي الله عنـه- أن يحقق ما يريـد، إذ لم يسـتطع أن يغـزوا الشـام بسـبب التفكك والتصدع الذي حدث في داخل جيشـه، وتفـرق كلمتهم وظهـور الأهواء .

قال الطبري في تاريخه:

ــ" وفي سـنة -40هــ- جـرت بين علي ومعاوية المهادنة بعد مكاتبـات جرت بينهما يطـول بـذكرها الكتـاب على وضع الحـرب بينهمـا، ويكـون لعلي العراق ولمعاوية الشام، فلا يدخل أحدهما على صـاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو"

ويبدو أن هذه الهدنة لم تستمر، فمعاوية أرسل بسر بن أبي أرطأة إلى الحجـاز في العـام الـذي استشـهد فيه علي -رضي الله عنـه-ولما لم يتمكن علي -رضي الله عنه- من تجهيز الجيش بما يصبوا ويريـد، ورأى خـذلانهم كـره الحيـاة وتمـنى المـوت، وكـان يتوجه إلى الله بالـدعاء ويطلب منه عز وجل أن يعجل منيتـــــه، فمما روى عنه أنه خطب يوما فقال:

ـ " اللهم إني قد سئمتهم وسئموني، ومللتهم وملـوني، فـأرحني منهم وأرحهم مني، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بـدم، ووضع يـده على لحيته وقد ألح علي -رضي الله عنـــه- في الـــدعاء في أيامه الأخـــيرة، فعن جندب قال: ازدحموا على علي -رضي الله عنه- حتى وطئوا على رجله فقـال: إني قد مللتهم وملـوني، وأبغضـتهم وأبغضـوني، فـأرحني منهم وأرحهم مـنيوفي رواية أخـرى عن أبي صـالح قـال: شـهدت عليا وضع المصحف على رأسه حتى تقعقع الورق فقال: اللهم إني سألتهم ما فيه فمعنوني، اللهم إني قد مللتهم وملوني،وأبغضتهم وأبغضوني، وحملوني على غير أخلاقي، فأبدلهم بي شرا مني، وأبدلني بهم خـيرا منهم، ومث قلوبهم ميثة الملح في الماء ، وفي رواية فلم يلبث إلا ثلاثا أو نحو ذلك، حتى قتل رحمه الله.

تفيد بعض أحاديث النـبي صـلى الله عليه وسـلم بـأن عليا سـيكون من الشهداء.

جـاء في صـحيح مسـلم عن أبي هريـرة رضي الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله:

ـ «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»

وهناك أحاديث أخص من هذا الحديث، تخبر أن عليا سيستشهد بـأرض العراق وتبين كيفية اغتياله أيضا يقول أبو الأسـود الـدؤلي سـمعت عليا يقول: أتاني عبد الله بن سلام وقد أدخلت رجلي في الغـرز، فقـال لي: أين تريـد؟ فقلت: العـراق، فقـال: أما إنك إن جئتها ليصـيبك بها ذبـاب السيف، فقال علي: وايم الله لقد سـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسلم يقوله، قال أبو الأسود: فعجبت منه، وقلت: رجل محارب يحـدث بمثل هذا عن نفسه.

وحدث بهذا الحديث في ينبع قبل توليه الخلافة، من عاده في مرضـه،

وهو أبو فضالة الأنصاري البـدري، -رضي الله عنـه-: إني لست ميتا في مرضي هذا، أو من وجعي هذا، إنه عهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أني لا أموت حتى تخضب هذه -يعني لحيته- من هذه - يعني هامته .

وعن عبد الله بن داود قال سمعت الأعمش، عن مسلمة بن سهيل عن سالم بن أبي جعدة عن عبد الله بن سبع قال: سـمعت عليا -رضي الله عنه- على المنبر يقول:

- ما ننتظر إلا شــقيا، عهد إلي رســول الله صــلى الله عليه وســلم لتخضبن هذه من دم هذا، قالوا: أخبرنا بقاتلك حـتى نبـير عترتـه، قـال: أنشد الله رجلا قتل بي غير قاتلي.

وقد جمع البيهقي هـذه الأحـاديث ونحوها في كتـاب (دلائل النبـوة) ، وجمعها الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية

صفة مقتله رضي الله عنه

أتفق ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن عمـرو المعـروف بـابن ملجم الحميري ثم الكنـدي حليف بـني حنيفة من كنـدة والـبرك بن عبد الله التميمي ، وعمــرو بن بكر التميمي أيضا اجتمعــوا فتــذاكروا قتل على إخوانهم من أهل النهروان فترحموا عليهم وقالوا ماذا نصنع بالبقاء بعدهم كانوا لا يخافون في الله لومة لإئم فلو شـرينا أنفسـنا فأتينا ائمة الضلال فقتلنـاهم فأرحنا منهم البلاد وأخـذنا منهم ثـأر إخواننا فقـال ابن ملجم أما أنا فـأكفيكم على ابن أبي طـالب وقـال الـبرك وأنا أكفيكم معاوية وقـال عمـرو بن بكر وأنا أكفيكم عمـرو بن العـاص فتعاهـدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجل منهم عن صـاحبه حـتى يقتله أو يمـوت دونه فأخذوا أسيافهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان أن يبيت كل واحد منهم صــاحبه في بلــده الــذي هو فيه فأما ابن ملجم فســار إلى الكوفة فدخلها وكتم أمره حتى عن أصحابه من الخـوارج الـذين هم بها فبينما هو جـالس في قــوم من بــني الربــاب يتــذاكرون قتلاهم يــوم النهروان إذ أقبلت أمـرأة منهم يقـال قطـام بنت الشـجنة قد قتل على يوم النهروان أباها وأخاها وكانت فائقة الجمـال مشـهورة به وكـانت قد أنقطعت في المســجد الجــامع تتعبد فيه فلما رآها ابن ملجم ســلبت عقله ونسى حاجته الـتي جـاء لها وخطبها إلى نفسـها فاشـترطت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادما وقينة وأن يقتل لها علي بن أبي طــالب قــال فهو لك ووالله ما جـاء بي إلى هـذه البلـدة إلا قتل علي فتزوجها ودخل بها ثم شــرعت تحرضه على ذلك ونــدبت له رجلا من قومها يقــال له وردان ليكون معه ردءا واستمال عبد الرحمن ابن ملجم رجلا آخر يقـال له شبيب بن نجدة الأشجعي الحروري فأجابه .

وواعـدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسـبع عشـرة ليلة خلت وقـال هـذه الليلة التي واعدت أصـحابي فيها أن يثـأروا بمعاوية وعمـرو بن العـاص فجاء هؤلاء الثلاثة وهم ابن ملجم ووردان وشـبيب وهم مشـتملون على سيوفهم فجلسوا مقابل السـدة الـتي يخـرج منها على فلما خـرج جعل ينهض النـاس من النـوم إلى الصـلاة ويقـول الصـلاة الصـلاة فثـار إليه شبيب بالسيف فضربه فوقع في الطاق فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه فسـال دمه على لحيته رضي الله عنه ولما ضـربه ابن ملجم قـال لاحكم إلا لله ليس لك يا علي ولا لأصـــــــــحابك وجعل يتلو قوله

تعـالى(ومن النـاس من يشـري نفسه ابتغـاء مرضـات الله والله رؤف بالعباد)
ونادى علي عليكم به وهـرب وردان فأدركه رجل من حضـرموت فقتله وذهب شـبيب فنجا بنفسه وفـات النـاس ومسك ابن ملجم وحمل على إلى منزله وحمل إليه عبد الـــرحمن بن ملجم فـــأوقف بين يديه وهو مكتوف وقال علي رضي الله عنه إن مت فاقتلوه وإن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به.
فقال جندب بن عبد الله :
ـ يا أمير المؤمنين إن مت نبايع الحسن..؟
فقال :
ـ لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر.
ولما احتضر على جعل يكثر من قول لا إله إلا الله لا يتلفظ بغيرها وقد قيل إن آخر مــاتكلم به(فمن يعمل مثقـال ذرة خـيرا يـره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)
وقد أوصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله والصـلاة والزكـاة وكظم الغيظ وصلة الـرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الـدين والتثبت في الأمر والتعاهد للقـــرآن وحسن الجـــوار والأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفـواحش ووصـاهما بأخيهما محمد بن الحنفية ووصـاه بما وصـاهما به وأن يعظمهما ولا يقطع أمـرا دونهما وكتب ذلك كله في كتـاب وصـيته رضي الله عنه وأرضـاه، و قبض في شـهر رمضـان سـنة أربعين ،وقد غسـله ابنـاه الحسن والحسـين وعبد الله بن جعفر وصـلى عليه الحسن رضي الله عنه .
وأما الـبرك بن عبد الله فإنه في تلك الليلة الـتي ضُـرب فيها علي قعد لمعاوية، فلما خرج ليصـلي الغـداة شد عليه بسـيفه، فوقع السـيف في إليته، فأمر به معاوية فقتل وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلـة، فلم يخـرج، وكـان اشـتكى بطنـه، فـأمر خارجة بن حذافـة، وكان صاحب شـرطته، وكـان من بـني عـامر بن لـؤي، فخـرج ليصـلي، فشد عليه فقتله وهو يـرى أنه عمـرو فضـربه فقتلـه، فأخـذه النـاس فـانطلقوا به على عمـرو يسـلمون عليه بـالإمرة، فقـال: من هــذا؟ قالوا:عمرو قال:فمن قتلت؟ قالوا خارجة بن حذافـة، قـال: أما والله يا فاسق وما ظننته غيرك، فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجــة، فقدمه عمرو فقتله .
استقبال معاوية خبر مقتل علي
ولما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقـالت له امرأته أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلموكان معاوية يكتب فيما يـنزل به يسأل له علي بن أبي طـالب - رضي الله عنه- عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طـالب، فقـال له أخـوه عتبـة: لا يسـمع هـذا منك أهل الشـام، فقال له: دعني عنك ..!

جاء في كتاب" أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها" لشيخ الإسلام ابن تيمية جمع وتقديم وتحقيق محمد مال الله:

" الخوارج الذين مرقوا من عسكر عليّ رضي الله عنه هم شر من شرار عسكر معاوية رضي الله عنه. ولهذا أمر النبي صلّى الله عليه وسلّم بقتالهم، وأجمع الصحابة والعلماء على قتالهم.

والرافضة أكذب منهم وأظلم وأجهل، وأقرب إلى الكفر والنفاق، لكنهم أعجز منهم وأذل، وكلا الطائفتين من عسكر عليّ، وبهذا وأمثاله ضعف عليّ وعجز عن مقاومة من كان بإزائه"

أخرج ابن الأعرابي عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً بالمسجد وقد أطاف به أصحابه؛ إذ أقبل علي رضي الله عنه فسلم ثم وقف، فنظر مكاناً يجلس فيه، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وجوه أصحابه أيُّهم يوسع له، وكان أبو بكر رضي الله عنه عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً، فتزحزح أبو بكر عن مجلس وقال: ها هنا أبا الحسن. فجلس بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أبي بكر، فرأين السرور في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على أبي بكر فقال:

ـ " «يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل»."

أخرج أبو نعيم في الحلية عن أم موسى قالت: بلغ علياً رضي الله عنه أن ابن سبأ يفضله على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فهمَّ علي بقتله، فقيل له: أتقتل رجلاً إنما أجلَّك وفضلك؟ فقال: لا جَرَم لا يساكنني في بلدة أنا فيها.

وأخرج العِشَاري عن الحسن بن كَثِير عن أبيه قال: أتى علياً رضي الله عنه رجل فقال: أنت خير الناس، فاقل: هل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا، قال: ما رأيت أبا بكر؟ قال: لا، قال: أما إنك لو قلت إنك رأيت النبي صلى الله عليه وسلم لقتلتك، ولو قلت رأيت أبا بكر وعمر لحددتك.

****

الفتنة في عهد الحسن بن على رضى الله عنهما

ولد للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة.

بايعه الناس يوم مات على رضي الله عنه.

تنـــازل عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنهما في ربيع الأول من ســـنة واحد و أربعين من الهجرة ، و سمي ذلك العام بعام الجماعة .
وكــانت وفــاة الحسن بن علي رضي الله عنه ســنة في51هـــ ، مــات مسموما .

البداية والنهاية

ذكر ابن كثير في (البداية والنهاية ـ بتصرف) ما يلي :
الحسن بن علي هوأبو محمد القرشي الهاشمى ســبط رســول الله ص ابن ابنته فاطمة الزهــراء وريحانته وأشــبه خلق الله به فى وجهه . ولد للنصف من رمضـان ســنة ثلاث من الهجـرة ، فحنكه رسـول الله بريقه وســماه حســنا وقد كــان رســول الله صــلى الله عليه وســلم يحبه حبا شديدا .
جاء في الاصابة لابن حجر العسقلاني :
وروى الترمذي من حديث أسامة بن زيد قال طـرقت النـبي صـلى الله عليه وسلم في بعض الحاجة فقال :
ـ"هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما"
وعند أحمد من طريق زهـــــير بن الأقمر بينما الحسن بن علي يخطب بعدما قتل علي إذ قام رجل من الأزد آدم طوال فقال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعه في حبوته يقول:
ـ" من أحبني فليحبه فليبلغ الشاهد الغائب"
جاء في كتاب أسد الغابة لابن الأثير :
قــال الــدولابي: وحــدثنا الحسن بن علي بن عفــان، أخبرنا معاوية بن هشـام، أخبرنا علي بن صـالح، عن سـماك بن حــرب، عن قــابوس بن المخارق قال: قالت أم الفضـل: يا رسـول اللـه، رأيت كـأن عضـواً من أعضائك في بيتي، قال: "خـيراً رأيت، تلد فاطمة غلامـاً فترضـعيه بلبن قثم"، فولــدت الحسن فأرضــعته بلبن قثم، قــال علي بن أبي طــالب رضي الله عنه: لما ولد الحسن جاء رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فقال: "أروني ابني، ما سميتموه"? قلت: سـميته حربـاً، قـال: "بلى هو حسن"، فلما ولد الحسـين سـميناه حربـاً، فجـاء النـبي صـلى الله عليه وسلم فقال: "أروني ابني، ما سميتموه"? قلت: سميته حرباً، قال: "بل هو حسين". فلما ولد الثالث جـاء النـبي صـلى الله عليه وسـلم فقـال: "أروني ابني، ما سميتموه"? قلت: سميته حرباً، قال: "بل هو محسن"، ثم قال: "سميتهم بأسماء ولد هارون: شبر وشبير ومشبر".
عن أبي إســحاق، عن يزيد بن أبي مــريم عن أبي الحــوراء قــال: قــال الحسن بن علي: علمــني رســول الله صــلى الله عليه وســلم كلمــات أقولهن في الوتر: "اللهم، أهدني فيمن هـديت، وعـافني فيمن عـافيت، وتولـني فيمن تـوليت، وبـارك لي فيما أعطيت، وقـني شر ما قضـيت،

فإنك تقضي ولا يقضى عليـــك، وإنه لا يـــذل من واليت، تبـــاركت ربنا وتعاليت".

عن أبي الحوراء قـال: قلت للحسن بن علي: ما تـذكر من رسـول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أذكر من رسول الله أني أخذت تمــرة من تمر الصــــــدقة، فتركتها في فمي، فنزعها بلعابهـــــا، وجعلها في تمر الصدقة، فقيل: يا رسول الله، ما كان عليك من هذه التمرة؟ قـال: "إنا آل محمد لا تحل لنا الصــدقة"، وكـــان يقـــول: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة".

وقيل أنهم سألوا الإمام لما ضربه ابن ملجم أن استخلف فقال:

ـ " ولكن أدعكم كما تـركـكم رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يعـنى بغير استخلاف فان يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم"

فلما تــوفى وصــلى عليه ابنه الحسن لأنه أكــبر بنيه رضى الله عنهم ودفن كما ذكرنا بدار الإمارة على الصحيح من أقوال الناس ، فلما فرغ من شأنه كان أول من تقــدم إلى الحسن بن على رضى الله عنه قيس بن سعد بن عبادة فقال له:

ـ ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه .

فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده وكان ذلك يوم مات على .

والثابت بأن خلافته كانت خلافة راشدة حقة لأن مدته في الحكم كـانت تتمة لمدة الخلافة الراشدة التي أخبر النـبي صـلى الله عليه وسـلم أن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً ، فقد روى الترمذي بإسناده إلى مولى رسـول الله صلى الله عليه وسـلم قـال : رسـول الله صـلى الله عليه وسلم :

ـ" الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك "

وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال : إنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي. وذلك كمـال ثلاثين سـنة من مـوت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فإنه تــوفي في ربيع الأول ســنة إحــدى عشــرة من الهجرة .

استعداد الحسن لقتال معاوية

وكان قيس بن سعد على إمرة أذربيجان تحت يده أربعون الف مقاتل قد بــايعوا عليا على المــوت فلما مــات على ألح قيس بن ســعد على الحسن فى النفير لقتـال أهل الشـام فعـزل قيسا عن إمـرة أذربيجـان وولى عبيد الله بن عباس عليها ولم يكن فى نية الحسن أن يقاتل أحدا ولكن غلبـوه على رأيه فـاجتمعوا اجتماعا عظيما لم يسـمع بمثله فـأمر الحسن بن على قيس بن سعد بن عبـادة على المقدمة فى اثـنى عشر ألفا بين يديه وسـار هو بـالجيوش فى أثــره قاصــدا بلاد الشـام ليقاتل معاوية وأهل الشام فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدم المقدمة بين يديه .

التراجع عن القتال

فبينما هو فى المدائن معسكرا بظاهرها إذ صرخ فى الناس صارخ ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل فثار الناس فانتهبوا أمتعة بعضهم بعضا حتى انتهبوا سرادق الحسن حتى نازعوه بساطا كان جالسا عليه وطعنه بعضهم ، فكرههم الحسن كراهية شديدة ولما رأى الحسن بن على تفرق جيشه عليه مقتهم ، وكتب عند ذلك إلى معاوية بن أبى سفيان.

الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما

قال البخارى :

عن أبى موسى قال سمعت الحسن البصري يقول :

ـ استقبل والله الحسن بن على معاوية بن أبى سفيان بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص إنى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها. .!

فقال معاوية:

ـ " إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لى بأمور الناس من لى بضعفتهم من لى بنسائهم ..؟"

فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر قال اذهبا إلى هذا الرجل فأعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه فأتياه فدخلا عليه فكلما وقالا له وطلبا إليه فقال لهما الحسن بن على:

ـ إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وإن هذه الأمة قد عاثت فى دمائها .

قالا فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسالمك .

قال :فمن لى بهذا ..؟

قالا :نحن لك به.

فما سألهما شيئا إلا قالا نحن لك به فصالحه على أن يكون للحسن الأمر بعد معاوية. (وهناك قول آخر هو أن يترك الأمر شورى بين المسلمين بعد موت معاوية رضي الله عنه)

قال أبو بكرة:

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن على إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول:

ـ " إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ."

وقال ابو الحسن على بن المدينى كان تسليم الحسن الأمر لمعاوية فى الخامس من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين .

وقد ذكرصاحب (ردالبهتان عن معاوية بن أبي سفيان) الشيخ أبو عبد الله الذهبي في كتابه ما يلي :

ذكر ابن سـعد في الطبقـات في القسم المفقـود الـذي حققه الـدكتور محمد السلمي (1 / 316 ـ 317) رواية من طريق ميمون بن مهران قال : إن الحسن بن علي بن أبي طالب بايع أهل العراق بعد علي على بيعتين ، بايعهم على الإمارة ، وبـايعهم على أن يـدخلوا فيما دخل فيه ، ويرضوا بما رضي به . قال المحقق إسناده حسن .

وفي ورواية أخــرى أخرجها ابن ســعد أيضــاً وهي من طريق خالد بن مُضرّب قال :

سمعت الحسن بن علي يقول : والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم ، قالوا : ما هو ؟ قال:

ـ " تسالمون من سالمت ، وتحاربون من حاربت " طبقـات ابن سـعد (1 / 286 ، 287). وقال المحقق : إسناده صحيح .

هـذا ويسـتفاد من هـاتين الروايـتين ابتـداءِ الحسن رضي الله عنه في التمهيد للصلح فور استخلافه ، وذلك تحقيقاً منه لنبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

أخرج البخاري في صحيحه (5 / 361) من طريق أبي بكرة رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول : (إن ابــني هــذا ســيد ، ولعل الله أن يصــلح به بين فئــتين عظيمــتين من المسلمين) .

وقد علق ابن حجر الهيتمي على هذا الحديث بقوله :

وبعد نزول الحسن لمعاوية اجتمع الناس عليه ، وسمي ذلك العام عــام الجماعة ، ثم لم ينازعه أحد من أنه الخليفة الحق يومئذ . انظر : تطهير الجنان (ص 19 ، 21 – 22 ، 49) .

وأخرج الطبراني رواية عن الشعبي قال :

شــهدت الحسن بن علي رضي الله عنه بالنخيلة حين صــالح معاوية رضي الله عنه ، فقال معاوية :

ـ إذا كان ذا فقم فتكلم وأخبر الناس أنك قد سلمت هذا الأمر لي .

فقام الحسن فخطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه - قال الشـعبي : وأنا أسمع – ثم قال:

ـ أما بعد فــإن أكيس الكيس – أي الأعقل – التقي ، وإن أحمق الحمق الفجور ، وإن هذا الأمر الـذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما كـان حقـاً لي تركته لمعاوية إرداة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم ، أو يكون حقاً كـان لامرئ أحق به مـني ففعلت ذلك { وإن أدري لعله فتنة لكم ومتـاع إلى حين }[الأنبياء/111] . المعجم الكبـير (3 / 26) بإسـناد حسن . وقد أخــرج هــذه الرواية كل من ابن ســعد في الطبقــات (1 / 329) و الحاكم في المستدرك (3 / 175) و أبو نعيم في الحلية (2 / 37) والبيهقي في الدلائل (6 / 444) وابن عبد البر في الاستيعاب (1 / 388 – 389) .

وبعد أن تم الصلح بينه و بين الحسن جاء معاوية إلى الكوفة فاستقبله الحسن و الحسين على رؤوس الناس ، فدخل معاوية المسجد و بايعه الحسن رضي الله عنه و أخذ الناس يبايعون معاوية فتمت له البيعة في خمس و عشرين من ربيع الأول من سنة واحد و أربعين من الهجرة ، و سمي ذلك العام بعام الجماعة .

وفاته رضي الله عنه ، وحقيقة من دس له السم

كانت وفاة الحسن بن علي رضي الله عنه سنة (51هـ) مسموماً ، وصلى عليه سعيد بن العاص رضي الله عنه والي المدينة من قبل معاوية .

ولم يرد في خبر وفاة الحسن بن علي رضي الله عنه بالسم خبر صحيح أو رواية ذات أسانيد صحيحة .. وفي ما يلي أقوال أهل العلم في هذه المسألة :-

1- قال ابن العربي رحمه الله في العواصم (ص 220 ـ 221) : فإن قيل : دس – أي معاوية - على الحسن من سمه ، قلنا هذا محال من وجهين :-

أحدهما : أنه ما كان ليتقي من الحسن بأساً وقد سلّم الأمر .

الثاني : أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله ، فكيف تحملونه بغير بينة على أحد من خلقه ، في زمن متباعد ، لم نثق فيه بنقل ناقل ، بين أيدي قوم ذوي أهواء ، وفي حال فتنة وعصبية ، ينسب كل واحد إلى صاحبه مالا ينبغي ، فلا يقبل منها إلا الصافي ، ولا يسمع فيها إلا من العدل الصميم .

2- قال ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة (4 / 469) : وأما قوله : إن معاوية سم الحسن ، فهذا مما ذكره بعض الناس ، ولم يثبت ذلك ببينة شرعية ، أو إقرار معتبر ، ولا نقل يجزم به ، وهذا مما لا يمكن العلم به ، فالقول به قول بلا علم .

3 - قال الذهبي رحمه الله في تاريخ الإسلام (عهد معاوية) (ص 40) : قلت : هذا شيء لا يصح فمن الذي اطلع عليه .

4- قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (8 /ـ 43) : وروى بعضهم أن يزيد بن معاوية بعث إلى جعدة بنت الأشعث أن سُمّي الحسن وأنا أتزوجك بعده ، ففعلت ، فلما مات الحسن بعثت إليه فقال : إنا والله لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا ؟ وعندي أن هذا ليس بصحيح ، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى .

5- قال ابن خلدون في تاريخه (2 /ـ 649) : وما نقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث ، فهو من أحاديث الشيعة ، وحاشا لمعاوية من ذلك .

6 ـ وقد علق الدكتور جميل المصري على هذه القضية في كتابه : أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري (ص

482) بقوله : .. ثم حدث افتعال قضية سم الحسن من قبل معاوية أو يزيد .. ويبدو أن افتعال هذه القضية لم يكن شائعاً آنذاك ؛ لأننا لا نلمس لها أثراً في قضية قيام الحسين ، أو حتى عتاباً من الحسين لمعاوية

قلت : وقد حاول البعض من الإخباريين والرواة أن يوجدوا علاقة بين البيعة ليزيد وبين وفاة الحسن بالسم .

ثم إن الذي نُقِلَ لنا عن حادثة سم الحسن بن علي رضي الله عنه روايات متضاربة ضعيفة ، بعضها يقول أن الذي دس السم له هي زوجته ، وبعضها يقول أن أباها الأشعث بن قيس هو الذي أمرها بذلك ، وبعضها يتهم معاوية رضي الله عنه بأن أوعز إلى بعض خدمه فسمه ، وبعضها يتهم ابنه يزيد ، وهذا التضارب في حادثة كهذه ، يضعف هذه النقول ؛ لأنه يعزوها النقل الثابت بذلك ، والرافضة خيبهم الله ، لم يعجبهم من هؤلاء إلا الصحابي الجليل معاوية رضي الله عنه يلصقون به التهمة ، مع أنه أبعد هؤلاء عنها .

وقلت أيضاً : إن هذه الحادثة – قصة دس السم من قبل معاوية للحسن – تستسيغها العقول في حالة واحدة فقط ؛ وهي كون الحسن بن علي رضي الله عنه رفض الصلح مع معاوية وأصر على القتال ، ولكن الذي حدث أن الحسن رضي الله عنه صالح معاوية وسلم له بالخلافة طواعية وبايعه عليها ، فعلى أي شيء يقدم معاوية رضي الله عنه على سم الحسن .

ولعل الناقد لمتن هذه الرواية يتجلى له عدة أمور :-

1 ـ هل معاوية رضي الله عنه أو ولده يزيد بهذه السذاجة ليأمرا امرأة الحسن بهذا الأمر الخطير ، الذي فيه وضع حد لحياة الحسن بن علي غيلة ، و ما هو موقف معاوية أو ولده أمام المسلمين لو أن جعدة كشفت أمرهما ؟!

2 ـ هل جعدة بنت الأشعث بن قيس بحاجة إلى شرف أو مال حتى تسارع لتنفيذ هذه الرغبة من يزيد ، وبالتالي تكون زوجة له ، أليست جعدة ابنة أمير قبيلة كندة كافة وهو الأشعث بن قيس ، ثم أليس زوجها وهو الحسن بن علي أفضل الناس شرفاً ورفعة بلا منازعة ، إن أمه فاطمة وجده الرسول صلى الله عليه وسلم وكفى به فخراً ، وأبوه علي بن أبي طالب أحد العشرة المبشرين بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين ، إذاً ما هو الشيء الذي تسعى إليه جعدة وستحصل عليه حتى تنفذ هذا العمل الخطير ؟!

3 ـ لقد وردت الروايات التي تفيد أن الحسن قال : لقد سقيت السم مرتين ، وفي رواية ثلاث مرات ، وفي رواية سقيت السم مراراً ، هل بإمكان الحسن أن يفلت من السم مراراً إذا كان مدبر العملية هو معاوية أو يزيد ؟! نعم إن عناية الله وقدرته فوق كل شيء ، ولكن كان

باســـتطاعة معاوية أن يركز السم في المـــرة الأولى ولا داعي لهـــذا التسامح مع الحسن المرة تلو المرة !!

4 ـ و إذا كـــان معاوية رضي الله عنه يريد أن يصـــفي الســـاحة من المعارضين حتى يتمكن من مبايعة يزيد بـدون معارضة ، فإنه سيضـطر إلى تصفية الكثير من أبناء الصحابة ، ولن تقتصر التصـفية على الحسن فقط .

5 ـ وإن بقاء الحسن من صالح معاوية في بيعة يزيد ، فإن الحسن كان كارهاً للنزاع وفرقة المسلمين ، فربما ضـمن معاوية رضـاه ، وبالتـالي يكون له الأثر الأكبر في موافقة بقية أبناء الصحابة .

6 ـ ثم إن هناك الكثير من أعـداء الحسن بن علي رضي الله عنه ، قبل أن يكـــون معاوية هو المتهم الأول ، فهنـــاك الســـبئية الـــذين وجه لهم الحسن صفعة قوية عندما تنازل عن الخلافة لمعاوية وجعل حداً لصراع المسـلمين ، وهنـاك الخـوارج الـذين قـاتلهم أبـوه علي بن أبي طـالب رضي الله عنه في النهراون وهم الذين طعنوه في فخذه ، فربما أرادوا الانتقام من قتلاهم في النهروان وغيرها.

وفاة الحسن في البداية والنهاية

وجاء في البداية والنهاية لابن كثير الأتي :

رأى الحسن بن على فى منامه أنه مكتـــــوب بين عينيه : " قل هو الله أحد " ، ففرح بذلك فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال:

ـ " إن كان رأى هذه الرؤيا فقل ما بقى من أجله ".

قال فلم يلبث الحسن بن على بعد ذلك إلا أياما حتى مات.

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا عبد الرحمن بن صالح العتكى ومحمد بن عثمان العجلى قالا ثنا أبو أسامة عن ابن عون عن عمير بن إسحاق قال دخلت أنا ورجل آخر من قريش على الحسن ابن على فقام فدخل المخرج ثم خرج فقال:

ـ لقد لفظت طائفة من كبـدى أقلبها بهـذا العـود ولقد سـقيت السم مرارا وما سقيت مرة هى أشد من هذه .

ثم عدنا إليه من الغد وقد أخذ فى السوق فجـاء حسـين حـتى قعد عند رأسه فقال:

ـ أى أخى من صاحبك ..؟

قال:

ـ تريد قتله ..؟

قال: نعم

قال:

ـ لئن كان صاحبى الذى أظن لله أشد نقمة وفى رواية فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا وإن لم يكنه ما أحب أن تقتل بى بريئا ورواه محمد بن سعد عن ابن علية عن أبى عون .

ووقف أبـوهريرة قائما على مسـجد رسـول الله يـوم مـات الحسن بن على وهو ينادى بأعلا صوته :
ـ يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله فابكوا.
جاء في كتاب صفوة الصفوة :
عن رقبة بن مصـقلة قـال: لما نـزل بالحسن بن علي المـوت قـال: أخرجـوا فراشي إلى صـحن الـدار. فـأخرج، فقـال: اللهم إني أحتسب نفسي عندك، فـأني لم أصب بمثلهـا؛ غـير رسـول الله صـلى الله عليه وسلم.
****

قصة خروج الحسين بن على رضي الله عنهما

ولد الإمام الحسـين رضي الله عنه لبضع ليـال خلـون من شـعبان سـنة أربع من الهجرة على أصح تقدير وقيل غيره.
جاء في الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر:
ولد الحسين بعد الحسن بسنة وعشرة أشهر .
وكان قتل الحسين يوم الجمعة لعشر خلت من المحـرم يـوم عاشـوراء سنة إحدى و ستين.
جاء في كتاب أسد الغابة لابن الأثير :
هوالحسـين بن علي بن أبي طـالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد منـاف، القرشي الهاشـمي، أبو عبد الله ريحانة النـبي صـلى الله عليه وسلم، وشبهه من الصدر إلى ما أسفل منه، ولما ولد أذن النـبي صـلى الله عليه وسـلم في أذنـه، وهو سـيد شـباب أهل الجنـة، وخـامس أهل الكساء، أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، سيدة نساء العالمين، إلا مريم عليهما السلام.
عن الـدولابي، أخبرنا أبو شـيبة إبـراهيم بن عبد الله بن محمد بن أبي شـيبة، أخبرنا أبو غسـان مالك بن إسـماعيل، أخبرنا عمـرو بن حـريث، عن عمران بن سليمان، قال: "الحسن والحسين من أسـماء أهل الجنة لم يكونا في الجاهلية".
جاء في كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني:
وفي الصـحيح عن بن عمر حين سـأله رجل عن دم البعـوض سـمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
ـ "هما ريحانتاي من الدنيا "يعني الحسن والحسين .
جاء في كتاب (سيرةآل بيت النبي)لحمزة النشرتي وآخرين:
مر الحسين يوما بمساكين يأكلون فدعوه علىعـادة العـرب فـنزل وأكل معهم ثم قال لهم :قدأجبتكم فأجيبوني ، ثم دعاهم إلى الغداء في بيته.

وكــان رضي الله عنه كلما أصــيب عزيز عليه من أولئك الأعــزاء (في كربلاء) حمله إلىجانب إخوانه ، وفيهم رمق ينازعهم وينازعونه وينســون في حشرجة الصــدر مــاهم فيــه، فيطلبــون المــاء ويحز طلبهم في قلبه كلما أعيــاه الجــواب ويرجع إلى ذخــيرة بأسه فيســتمد من هــذه الآلام الكاوية عزما يناهض به الموت ، ويعــرض به عن الحيــاة ويقــول في أثر كل صريع :

ـ لاخيرفي العيش من بعدك.

جاء في كتاب صفوة الصفوة :

عن عبد الله بن عبيد بن عمــير قــال: حج الحســين بن علي رضي الله عنه خمسا وعشرين حجة ماشيا ونجائبه تقاد معه.

ومن المهم قبل الحــديث عن خــروج الحســين رضي الله عنه أن نلم بعض الشئ بسيرة يزيد بن معاوية.

مختصر لسيرة يزيد بن معاوية قبل توليه الخلافة

جاء في كتاب (دفع البهتـان عن معاوية بن أبي سـفيان) لأبي عبد الله الذهبي:

عمل معاوية رضي الله عنه جهــده من البداية في ســبيل إعــداد ولــده يزيد ، و تنشئته التنشئة الصـحيحة ، ليشب عليها عنــدما يكــبر ، فسـمح لمطلقته ميسون بنت بحدل الكلبية ، و كانت من الأعراب ، و كانت من نسب حســــيب ، و منها رزق بابنه يزيد - انظر ترجمتها في : تــــاريخ دمشق لابن عساكر - تراجم النساء - (ص397 ـ 401) – من أن تتولى تربيته في فــترة طفولته ، وكــان رحمه الله وحيد أبيه ، فــأحب معاوية رضي الله عنه أن يشب يزيد على حياة الشدة و الفصاحة فألحقه بأهل أمه ليتربى على فنون الفروسية ، و يتحلى بشمائل النخــوة و الشــهامة والكرم و المروءة ، إذ كان البدو أشد تعلقاً بهذه التقاليد .

كما أجــــبر معاوية ولــــده يزيد على الإقامة في البادية ، و ذلك لكي يكتسب قــدراً من الفصــاحة في اللغة ، كما هو حــال العــرب في ذلك الوقت .

و عندما رجع يزيد من البادية ، نشأ و تربى تحت إشراف والده ، و نحن نعلم أن معاوية رضي الله عنه كان من رواة الحديث - تهذيب التهــذيب لابن حجر (10/207) ـ ، فروى يزيد بعد ذلك عن والده هذه الأحاديث و بعض أخبار أهل العلم . مثل حــديث : من يــرد الله به خــيراً يفقه في الــدين ، و حــديث آخر في الوضــوء ، و روى عنه ابنه خالد و عبد الملك بن مــــروان ، و قد عــــده أبوزرعة الدمشــــقي في الطبقة الــــتي تلي الصـــحابة ، و هي الطبقة العليا . البداية و النهاية لابن كثــير (8/226-227) .

و قد اختــار معاوية دَغْفَل بن حنظلة السدوسي الشــيباني (ت65هـــ) انظر ترجمته في : تهذيب التهذيب لابن حجر (3/210) ، مؤدباً لولــده

يزيد ، و كـان دغفل علامة بأنسـاب العـرب ، و خاصة نسب قـريش ، و كذلك عارفاً بآداب اللغة العربية .
وأفتتت اللجنةالدائمة للبحـوث العلمية والإفتـاء (فتـوى رقم1466)ـ " وأما يزيد بن معاوية فالناس فيه طرفان ووسط، وأعدل الأقوال فيهاأنه كـان ملكا من ملـوك المسـلمين له حسـنات وسـيئات،ولم يولد إلا في خلافة عثمـــان رضي الله عنه ، ولم يكن كـــافرا، ولكن جـــرى بســـببه ماجرى من مصرع الحسين، وفعل ما فعل بأهل الحرة،ولم يكن صـاحبا ولا من أولياء الله الصـالحين،قـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله : وهــذا قــول عامة أهل العقل والعلم والســنة والجماعة ، وأما بالنســبة للعنه فالنـــاس فيه ثلاث فـــرق ، فرقة لعنتـــه، وفرقة أحبته ، وفرقة لا تســـبه ولا تحبه ،وهـــذا هو المنصــــوص عن الإمـــام أحمد ، وعليه المقتصـدون من أصـحابه وغـيرهم من جميع المسـلمين ، وهـذا القـول الوسط مبني على أنه لم يثبت فسقه الـذي يقتضي لعنه ، أو بنـاء على أن الفاسق المعين لا يلعن بخصوصــــه، إما تحريما أو تنزيها ،فقد ثبت في صحيح بخـاري عن عمر في قصة عبد الله بن حمارالـذي تكـرر منه شرب الخمر، وجلده رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم لما لعنه بعض الصحابة ، قـال النـبي صـلى الله عليه وسـلم : " لعن المـؤمن كقتله " متفق عليه.
جـاءفي كتـاب (رد البهتـان عن معاوية بن أبي سـفيان) لأبي عبد الله الذهبي ما يلي :
ـ و اعتـبر معاوية أن معارضة هـؤلاء(الحسـين، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير،وابن عباس ، وعبد الرحمن بن أبي بكـر) ليست لها أثر ، و أن البيعة قد تمت ، حيث أجمعت الأمة على هـــــذه البيعة . راجع : الفصل في الملل و النحل لابن حـــزم (4/149-151) و قد ذكر كيفية انعقاد البيعة و شروطها فعرضها عرضاً دقيقاً .
ـ وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما قد بايعا فيما بعد طوعــاً ليزيد .
وجاء في البداية والنهاية لابن كثير معلقا على خروج أهل الحرة :
ـ لما خلع النـاس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم تشـهد ثم قـال أما بعد فانا بايعنا هـذا الرجل على بيع الله ورسـوله وإنى سـمعت رسول الله يقول إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة يقال هـذه غـدرة فلان وإن من أعظم الغـدر إلا أن يكــون الاشــراك بالله أن يبــايع رجل رجلا على بيع الله ورسـوله ثم ينكث بيعته فلا يخلعن أحد منكم يزيد ولا يسرفن أحد منكم فى هذا الأمر فيكون الفيصل بينى وبينه.
ـ وقال أبو جعفر الباقر لم يخرج أحد من آل أبى طالب ولا من بنى عبد المطلب أيام الحرة
وفي كتابه (استشهاد الحسين) يقول الدكتور الصلابي(بتصرف):

كما نـرى فقد كـان موقف الحسـين من بيعة يزيد بن معاوية هو موقف المعارض وشاركه في المعارضة عبد الله بن الزبير والسـبب في ذلـك: حرصهما على مبدأ الشورى وأن يتولى الأمة أصلحها.
بويع له بالخلافة بعد أبيه فى رجب سنة ستين فكـان يـوم بويع ابن أربع وثلاثين سنة فأقر نـواب أبيه على ولم يكن ليزيد همة حين ولى إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية البيعة ليزيد فكتب إلى نائب المدينة الوليد بن عتبة :
ـ "بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة أما بعد فان معاوية كان عبدا من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوله ومكن له فعاش بقدر ومات بأجل فرحمه الله فقد عاش محمودا ومات برا تقيا والسلام"
وكتب إليه فى صحيفة :
ـ "أما بعد فخذ حسـينا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبـير بالبيعة أخذا شديدا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام "

قصة المبايعة ليزيد من كتاب البداية والنهاية

جاء في كتاب البداية والنهاية لابن كثير عن مبايعة معاوية ليزيد ما يلي: سنة ست وخمسـين وفيها دعا معاوية النـاس إلى البيعة ليزيد ولـده أن يكون ولى عهده من بعده .
ركب معاوية إلى مكة معتمـرا فلما اجتـاز بالمدينة مرجعه من مكة اسـتدعى كل واحد من هـؤلاء الخمسة(عبد الله بن عمـر، وابن عبـاس ،والحسـين رضي الله عنه ،وعبد الله بن الزبـير وعبد الـرحمن بن أبي بكر) فأوعده وتهدده بانفراده فكان من أشـدهم عليه ردا واجلـدهم فى الكلام عبد الرحمن بن أبى بكر الصـديق وكـان ألينهم كلاما عبد الله بن عمر بن الخطـاب ثم خطب معاوية وهـؤلاء حضـور تحت منـبره وبـايع النـاس ليزيد وهم قعـود ولم يوافقـوا ولم يظهـروا خلافا لما تهـددهم وتوعدهم فاتسقت البيعة ليزيد فى سائر البلاد .
وقد كـان معاوية لما صـالح الحسن عهد للحسن بـالأمر من بعـده فلما مـات الحسن قـوى أمر يزيد عند معاوية ورأى أنه لـذلك أهلا وذاك من شـــدة محبة الوالد لولـــده ولما كـــان يتوسم فيه من النجابة الدنيوية وسيما أولاد الملوك ومعرفتهم بـالحروب وتـرتيب الملك والقيـام بأبهته وكان ظن أن لا يقوم أحد من أبناء الصحابة فى هذا المعنى .
ولهذا قال لعبد الله ابن عمر فيما خاطبه به :
ـ "إنى خفت أن أذر الرعية من بعدى كالغنم المطيرة ليس لها راع."
فقال له ابن عمر:
ـ " إذا بايعه الناس كلهم بايعته ولو كان عبدا مجدع الأطراف "
وقد عاتب سعيد بن عثمان بن عفـان معاوية فى ولايته يزيد وطلب منه أن يوليه مكانه ، وقال له سعيد فيما قال :

ـ "إن أبى لم يـزل معتنيا بك حـتى بلغت ذروة المجد والشـرف وقد قدمت ولدك على وأنا خير منه أبا وأما ونفسا "
فقال معاوية له:
ـ " أما ما ذكـرت من إحسـان أبيك إلى فانه أمر لا ينكر وأما كـون أبيك خـير من أبيه فحق وأمك قرشـية وأمه كلبية فهى خـير منها وأما كونك خيرا منه فوالله لو ملئت إلى الغوطة رجـالا مثلك لكـان يزيد أحب إلى منكم كلكم"
وأثرعن معاوية أنه قال يوما فى خطبته :
ـ "اللهم إن كنت تعلم أنى وليته لأنه فيما أراه أهل لـذلك فـأتمم له ما وليته وإن كنت وليته لأنى أحبه فلا تتمم له ما وليت"
وحين حضـرت معاوية الوفـاة كـان يزيد فى الصـيد فاسـتدعى معاوية الضحاك بن قيس النهرى وكـان على شـرطه دمشق ومسـلم بن عقبة فأوصى إليهما :
ـ " أن يبلغا يزيد السلام ويقولان له يتوصى بأهل الحجاز وإن سأله أهل العراق فى كل يـوم أن يعـزل عنهم عـاملا ويـولى عليهم عـاملا فليفعل فعزل واحد وأحب إليك من أن يسل عليك مائة سيف وأن يتوصى بأهل الشـام وأن يجعلهم أنصـاره وأن يعـرف لهم حقهم ولست أخـاف عليه من قـريش سـوى ثلاثة الحسـين وابن عمر وابن الزبـير ولم يـذكر عبد الـرحمن بن أبى بكر وهـذا أصح فأما ابن عمر فقد وقدته العبـادة وأما الحسين فرجل ضعيف وأرجو أن يكفيه الله تعالى بمن قتل أباه وخـذل أخاه وإن له رحما ماسة وحقا عظيما وقرابة من محمد صـلى الله عليه وسـلم ولا أظن أهل العـراق تاركيه حـتى يخرجـوه فـان قـدرت عليه فاصفح عنه فأنى لو صاحبته عفوت عنه وأما ابن الزبـير فانه خب ضب فان شخص لك فانبذ إليه إلا أن يلتمس منك صلحا فان فعل فاقبل منه واصفح عن دماء قومك ما استطعت".
ويقـال إن معاوية حين قـدم المدينة في أول حجة حجها بعد اجتمـاع النـاس عليه لقيه الحسن والحسـين ورجـال من قـريش فتوجه إلى دار عثمـان بن عفـان فلما دنا إلى بـاب الـدار صـاحت عائشة بنت عثمـان وندبت أباها فقال معاوية لمن معه انصرفوا إلى منازلكم فان لى حاجة فى هـذه الـدار فانصـرفوا ودخل فسـكن عائشة بنت عثمـان وأمرها بالكف وقال لها فيما قال:
ـ "يا بنت أخى إن النـاس أعطونا سـلطاننا فأظهرنا لهم حلما تحته غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد فبعناهم هذا بهذا وباعونا هذا بهذا ، وأن تكونى ابنة عثمان أمير المؤمنين أحب إلى أن تكونى أمة من إمـاء المسلمين ونعم الخلف أنا لك بعد أبيك"
وقـال محمد بن سـيرين جعل معاوية لما احتضر يضع خـدا على الأرض ثم يقلب وجهه ويضع الخد الآخر ويبكى ويقول

ـ "اللهم إنك قلت فى كتابك إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اللهم فاجعلنى فيمن تشاء أن تغفر له "
ولا خلاف أنه توفى بدمشق فى رجب سنة ستين وصلى عليه ابنه يزيد وقد أوصى إليه أن يكفن فى ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كساه إياه وكان مدخرا عنده لهذا اليوم وأن يجعل ما عنده من شعره وقلامة أظفاره فى فمه وأنفه وعينيه وأذنيه .
وعن موضوع بيعة معاوية ليزيد كتب الأستاذ الجليل أبوعبد الله الذهبي ما يلي في طتابه (دفع البهتان عن معاوية بن أبي سفيان (بتصرف) :
بدأ معاوية رضي الله عنه يفكر فيمن يكون الخليفة من بعده ، ففكر معاوية في هذا الأمر و رأى أنه إن لم يستخلف و مات ترجع الفتنة مرة أخرى .
فقام معاوية رضي الله عنه باستشارة أهل الشام في الأمر ، فاقترحوا أن يكون الخليفة من بعده من بني أمية ، فرشح ابنه يزيد ، فجاءت الموافقة من مصر و باقي البلاد و أرسل إلى المدينة يستشيرها و إذ به يجد المعارضة من الحسين و ابن الزبير ، و ابن عمر و عبد الرحمن بن أبي بكر ، و ابن عباس . انظر : تاريخ الإسلام للذهبي – عهد الخلفاء الراشدين – (ص147-152) و سير أعلام النبلاء (3/186) و الطبري (5/303) و تاريخ خليفة (ص213) . إلا أن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما قد بايعا فيما بعد طوعاً ليزيد .
و كان سبب تولية معاوية ابنه يزيد لولاية العهد من بعده ، أسباب كثيرة :
1 ـ فهناك سبب سياسي ؛ وهو الحفاظ على وحدة الأمة ، خاصة بعد الفتن التي تلاحقت يتلوا بعضها بعضاً ، و كان من الصعوبة أن يلتقي المسلمون على خليفة واحد ، خاصة و القيادات المتكافئة في الإمكانيات قد تضرب بعضها بعضاً فتقع الفتن و الملاحم بين المسلمين مرة ثانية ، ولا يعلم مدى ذلك إلا الله تعالى .
2 ـ وهناك سبب اجتماعي ؛ وهو قوة العصبية القبلية خاصة في بلاد الشام الذين كانوا أشد طاعة لمعاوية ومحبة لبني أمية ، وليس أدل على ذلك من مبايعتهم ليزيد بولاية العهد من بعد أبيه دون أن يتخلف منهم أحد .
3 ـ وهناك أسباب شخصية في يزيد نفسه ، وليس معاوية بذلك الرجل الذي يجهل صفات الرجال ومكانتهم ، وهو ابن سلالة الإمارة والزعامة في مكة ، ثم هو الذي قضى أربعين سنة من عمره وهو يسوس الناس ويعرف مزايا القادة والأمراء والعقلاء ، ويعرف لكل واحد منهم فضيلته ، وقد توفرت في يزيد بعض الصفات الحسنة من الكرم والمروءة والشجاعة والإقدام والقدرة على القيادة ، وكل هذه المزايا جعلت معاوية ينظر ليزيد نظرة إعجاب وإكبار وتقدير .

ويورد الأستاذ الجليل أبو عبد الله الذهبي في هذا الشأن قول الأستاذ محب الدين الخطيب عن هذه المبايعة الذي يقول:

ولكن لنتصور أن معاوية رضي الله عنه سلك إحدى الأمور الثلاث الآتية :

1ـ ترك الناس بدون خليفة من بعده ، مثلما فعل حفيده معاوية بن يزيد .

2ـ نادى في كل مصر من الأمصار بأن يرشحوا لهم نائباً ثم يختاروا من هؤلاء المرشحين خليفة .

3ـ جعل يزيد هو المرشح ، وبايعه الناس كما فعل .

ولنأخذ الأمر الأول :

كيف ستكون حالة المسلمين لو أن معاوية تناسى هذا الموضوع ، وتركه ولم يرشح أحداً لخلافة المسلمين حتى توفي.

أعتقد أن الوضع سيكون أسوأ من ذلك الوضع الذي أعقب تصريح معاوية بن يزيد بتنازله عن الخلافة ، وترك الناس في هرج ومرج ، حتى استقرت الخلافة أخيراً لعبد الملك بن مروان بعد حروب طاحنة استمرت قرابة عشر سنوات .

ثم لنتصور الأمر الثاني :

نادى مناد في كل مصر بأن يرشحوا نائباً عنهم ، حتى تكون مسابقة أخيرة ليتم فرز الأصوات فيها ، ثم الخروج من هذه الأصوات بفوز مرشح من المرشحين ليكون خليفة للمسلمين بعد وفاة معاوية .

سيختار أهل الشام ، رجل من بني أمية بلا شك ، بل وربما أنه يزيد ، وربما غيره .

وسيختار أهل العراق في الغالب الحسين بن علي رضي الله عنهما .

وسيختار أهل الحجاز : إما ابن عمر أو عبد الرحمن بن أبي بكر ، أو ابن الزبير رضي الله عن الجميع .

وسيختار أهل مصر : عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

والسؤال الآن : هل سيرضى كل مصر بولاية واحد من هؤلاء ، ويسلموا له ، أم ستكون المعارضة واردة ؟!

الجواب : أعتقد أن المعارضة ستظهر .

ولنسأل سؤالاً آخر : في حالة أنه تم اختيار كل مرشح من قبل الأمصار ، هل يستطيع معاوية أن يلزم كل مصر بما اختاره أهل المصر الآخر ؟!

الجواب : ستجد الدولة نفسها في النهاية أمام تنظيمات انفصالية ، وسيعمد أدعياء الشر الذي قهرتهم الدولة بسلطتها إلى استغلال هذه الفوضى السياسية ، ومن ثم الإفادة منها في إحداث شرخ جديد في كيان الدولة الإسلامية .

ونحن حينما نورد هذه الاعتراضات ، وربما حصل ما أشرنا إليه ، وربما حدث العكس من ذلك ، ولكنا أوردنا ذلك حتى نتصور مدى عدم صحة

الآراء الـتي أحيانـاً يطلقها ويتحمس لها البعض دون الرجـوع إلى الواقع التاريخي المحتم آنذاك .
لقد تعرض المجتمع المسـلم إلى هـزة عنيفة بعد استشـهاد عثمـان بن عفان رضي الله عنه ، وترك كيانات وتيارات سياسية وعقائدية خطـيرة ، اسـتوجبت من معاوية أن يـدرك خطـورة الأمر والفرقة الـتي سـوف تحصل للمسلمين إذا لم يسارع بتعيين ولي عهد له .
ويبقى الأمر الثـــــالث : وهو ما فعله معاوية رضي الله عنه بتولية يزيد ولياً للعهد من بعده
و قد اعـــترف بمزايا خطـــوة معاوية هـــذه ، كل من ابن العـــربي في العواصم من القواصم (ص228-229)ـ ، وابن خلـدون الـذي كـان أقواهما حجة ، إذا يقول : والذي دعا معاوية لإيثـار ابنه يزيد بالعهد دون سواه ، إنما هو مراعاة المصلحة في اجتمـاع النـاس ، واتفـاق أهـوائهم باتفاق أهل الحل و العقد عليه - و حينئذ من بني أمية - ثم يضيف قـائلاً : و إن كان لا يظن بمعاوية غير هذا ، فعدالته و صحبته مانعة من سوى ذلك ، و حضور أكابر الصحابة لذلك ، وسـكوتهم عنه ، دليل على انتفـاء الريب منه ، فليسوا ممن تأخذهم في الحق هوادة ، وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق ، فإنهم - كلهم - أجلّ من ذلك ، و عدالتهم مانعة منه . المقدمة لابن خلدون (ص210-211) .
و يقـــول في موضع آخر : عهد معاوية إلى يزيد ، خوفـــاً من افـــتراق الكلمة بما كانت بنو أمية لم يرضوا تسليم الأمر إلى من سـواهم ، فلو قد عهد إلى غـــيره اختلفـــوا عليه ، مع أن ظنهم كـــان به صـــالحاً ، ولا يرتـــاب أحد في ذلك ، ولا يظن بمعاوية غـــيره ، فلم يكن ليعهد إليه ، و هو يعتقد ما كـــــــــان عليه من الفسق ، حاشا لله لمعاوية من ذلك . المقدمة (ص206)
أما شخصية يزيد فقد تضاربت في شأنها الآراء :
قال الشيخ سعود الزمانان في كتابه (هل يجوز لعن يزيد بن معاوية):
ألف ابن الجوزي كتاباً سمّاه " الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد "
وقد اتهم الذهبي - رحمه الله- يزيد بن معاوية فقـال : " كـان ناصـبياً، فظاً ، غليظاً ، جلفاً ، يتناول المسكر ويفعل المنكر".
وكذلك الحال بالنسبة لابن كثير – رحمه الله – حينما قال : " وقد كان يزيد فيه خصال محمـودة من الكـرم ، والحلم ، والفصـاحة ، والشـعر ، والشجاعة ، وحسن الرأي في الملك ، وكان ذا جمـال وحسن معاشـرة ، وكـان فيه أيضـاً إقبـال على الشـهوات ، وتـرك الصـلوات في بعض أوقاتها ، وإماتتها في غالب الأوقات "
وقـــال شـــيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله: " ولم يكن يزيد مظهـــرا للفواحش "

وعنـــدما ذهب عبد الله بن مطيع إلى محمد بن الحنفية فـــأرادوه على خلع يزيد فـــأبى ، فقـــال ابن مطيع : "إن يزيد يشـــرب الخمر ويـــترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب "

فقال لهم :

ـ ما رأيت منه ما تـذكرون ، وقد حضـرته وأقمت عنـده فرأيته مواظبـاً على الصلاة ، متحرياً للخير ، يسأل عن الفقه ملازماً للسنة .

قالوا :

ـ فإن ذلك كان منه تصنعاً.

فقال :

ـ وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر لي الخشوع ؟ أفـأطلعكم على ما تـــذكرون من شـــرب الخمر ؟ فلئن كـــان أطلعكم على ذلك إنكم لشـــركاؤه، وإن لك يكن أطلعكم فما يحـــلّ لكم أن تشـــهدوا بما لم تعلموا.

أولى خطبة ليزيد

قـال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم سـمعت الشـافعى يقـول بعث معاوية وهو مـــريض إلى يزيد بن معاوية يعلمه ويســـتحثه على المجى وحين دخل البلد أمرفنودى فى الناس إن الصلاة جامعة ودخل الخضراء فاغتسل ولبس ثيابا حســنة ثم خـرج فخطب النـاس أول خطبة خطبها وهو أمير المؤمنين فقال:

ـ " بعد حمد الله والثناء عليه أيها النـاس إن معاوية كـان عبـدا من عبيد الله أنعم الله عليه ثم قبضه إليه وهو خير ممن بعده ودون من قبله ولا أزكيه على الله عز وجل فانه أعلم به إن عفى عنه فبرحمته وإن عاقبه فبذنبه وقد وليت الأمر من بعده ولست آسى على طلب ولا أعتـذر من تفريط وإذا أراد الله شيئا كان ،وإن معاوية كان يغزيكم فى البحر وإنى لست حـاملا أحـدا من المسـلمين فى البحر وإن معاوية كـان يشـتيكم بأرض الروم ولست مشتيا أحـدا بـأرض الـروم وإن معاوية كـان يخـرج لكم العطاء أثلاثا وأنا أجمعه لكم كله"

قال فافترق الناس عنه وهم لا يفضلون عليه أحدا.

موقف الحسين من بيعة يزيد

استدعى الأميرالوليد بن عتبة والي المدينة الحسين رضي الله عنه كما أمره يزيد.

ذهب الحســين إلى الأمـير، فاســتأذن فـأذن له فـدخل فسـلم وجلس ومـــروان عنـــده فناوله الوليد بن عتبة الكتـــاب، ونعى إليه معاوية فاسترجع وقال: رحم الله معاوية وعظم لك الأجر .

فدعاه الأمير إلى البيعة فقال له الحسين:

ـ " إن مثلى لا يبـايع سـرا وما أراك تجـتزى مـنى بهـذا ولكن إذا اجتمع الناس دعوتنا معهم فكان أمرا واحدا."
فقال له الوليد وكان يحب العافية : فانصرف على اسم الله حتى تأتينا في جماعة الناس.
فانصرف الحسـين إلى داره فقـال مـروان للوليد : والله لا تـراه بعـدها أبدا .
فقال الوليد : والله يا مروان ما أحب أن لى الـدنيا وما فيها وأنى قتلت الحسين ، سبحان الله أقتل حسـينا أن قـال لا أبـايع والله إنى لأظن أن من يقتل الحسين يكون خفيف الميزان يوم القيامة .
وبعث الوليد إلى عبد الله بن الزبير فـامتنع عليه وما طله يوما وليلة ثم إن ابن الزبير ركب فى مواليه واستصحب معه أخـاه جعفـرا وسـار إلى مكة .

خروج الحسين إلى مكة

وأما الحسين بن على فـان الوليد تشـاغل عنه بـابن الزبـير وجعل كلما بعث إليه يقـول حـتى تنظر وننظر ثم جمع أهله وبنيه وركب ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب من هـذه السـنة بعد خـروج ابن الزبـير بليلة ولم يتخلف عنه أحد من أهله سوى محمد بن الحنفية.

أسباب خروج الحسين

جـاءت تلك الأسـباب في كتـاب (استشـهاد الحسـين رضي الله عنه) للدكتورعلي محمد الصلابي كما يلي (بتصرف):
1 ـ إرادة الله عز وجل وأن ما قـدره سـيكون وإن أجمع النـاس كلهم على رده فسينفذه الله، لا راد لحكمه ولا لقضاءه سبحانه وتعالى. وفي هذا نورد تلك الأحاديث الشريفة:
روى الحاكم عن أم الفضل بنت الحارث أن رسول الله صـلى الله عليه وسلم قال :
ـ "أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا "- يعني الحسين - فقلت : هذا ؟ فقال: " نعم "، و أتاني بتربة من تربته حمـراء . السلسلة الصحيحة (2/464) و هو في صحيح الجامع ، رقم (61) .
و روى أحمد عن عائشة أو أم سـلمة أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم قال :
ـ "لقد دخل عليّ البيت مَلَكٌ لم يدخل علي قبلها ، فقـال لي : إن ابنك هذا حسين مقتول ، و إن شئت أريتك من تربة الأرض الـتي يقتل بها ". السلسلة الصحيحة (2/465) .
و روى أحمد عن ابن عبـاس قـال : رأيت النـبي صـلى الله عليه وسـلم فيما يرى النائم ذات يوم بنصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم ، فقلت : بأبي أنت و أمي ما هذا ؟ قال : هذا دم الحسـين و أصـحابه ، و لم أزل ألتقطه منذ اليـــوم . فأحصي ذلك الـــوقت ، فوجد قتل ذلك

الوقت . مشكاة المصابيح للتبريزي بتحقيق الشيخ الألباني (6172) . و مسند أحمد (1/283) و الذي يقول فأحصينا .. هو راوي الخبر عن ابن عباس ، هو أبو عمر عمار بن أبي عمار مولى بني هشام ، صدوق من كبار التابعين (ت 120 هـ) ، التقريب (ص 408) .

وكتبت عمرة بنت عبد الرحمن إلى الحسين تعظم عليه ما يريد أن يصنع وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة وتخبره أنه إن لم يفعل إنما يساق إلى مصرعه وتقول :

ـ " أشهد لسمعت عائشة تقول إنها سمعت رسول الله ص يقول يقتل الحسين بأرض بابل"

فلما قرأ كتابها قال:

ـ" فلا بد لى إذا من مصرعى"

2 ـ قلب الحكم من الشورى إلى الملك الوراثي ويعد ذلك مخالفة واضحة لمنهج الإسلام في الحكم.

3ـ عدم التزام معاوية بشروط الحسن في الصلح والتي من ضمنها ما ذكره ابن حجر الهيثمي:.. بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين ، ومع ذلك فإن الحسين لم يهتم بالخروج على معاوية، نظراً لمبايعته له بالخلافة، فظل على عهده والتزامه .

موقف الحسين من الحكم الأموي:

وهو ينقسم إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى:

مرحلة عدم البيعة ليزيد وذهابه إلى مكة، وهذه المرحلة أسس فيها الحسين موقفه السياسي من حكم يزيد، بناء على نظرته الشرعية لحكم بني أمية، فهو يرى عدم جواز البيعة ليزيد، وذلك لسببين:

فعلى الصعيد الشخصي فإن يزيد لا يصلح خليفة للمسلمين نظراً لانعدام توفر شرط العدالة فيه، كما أن الحسين أفضل وأحق منه بمنصب الخلافة، فهو أكثر منه علماً، وصلاحاً وكفاءة وأكثر قبولاً لدى الناس من يزيد.

أما الصعيد السياسي فلانعدام شرط الشورى، والاستئثار بالسلطة للحكم الأموي، والذي يخالف المنهج الإسلامي في الحكم.

المرحلة الثانية:

وهي مرحلة العمل على مقاومة الحكم الأموي وطرح نفسه بديلاً للسلطة الأموية في دمشق.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الحسين قد مكث في مكة بضعة أشهر قبل خروجه إلى العراق فقد قدم إلى مكة في الثالث من شعبان سنة 60هـ للهجرة، وخرج إلى العراق في الثامن من ذي الحجة من نفس السنة وفي هذه الفترة كان رضي الله عنه يراسل أهل العراق، وتقدم إليه الوفود، حتى رأى أنه لابد من مقاومة الظلم وإزالة المنكر وأن هذا

أمر واجب عليه، ومما يدل على حرص الحسين رضي الله عنه على أن تكون فتـواه وتحركاته السياسـية في مقاومته للحكم الأمـوي متماشـية مع تعـاليم الإسـلام وقواعـده، امتناعه عن البقـاء في مكة عنـدما عـزم على مقاومة يزيد حتى لا تستحل حرمتها وتكون مسرحاً للقتال وسفك الدماء، فيقول لابن عباس: لأن أقتل بمكان كـذا وكـذا أحب إلي من أن أقتل بمكة وتستحل بي.

جاء في كتاب (دم الحسين) لإبـراهيم عيسى قـول الحسـين وهويـودع مكة:

ـ " والله لأن أقتل خارجـاً منه بشـبرأحب إلي من أن أقتل داخلا منها بشـبر.وأيم الله لو كنت في حجر هامة من الهـوام لاسـتخرجوني حـتى يقضوا فيّ حاجتهم "

كان يعلم سـلفا أنه حتما مقتـول ، وأن سـياف الظلم والجـور والخلافة المغتصـبة ــ لا منه ، ولكن من النـاس والمسـلمين ــ لن تتركه لحاله . كان يدرك ببصـيرة ــ نراها الآن نحن بقـدراتنا المحـدودة بعد مئـات من السنين كانت جد شاقة وصعبة ومذهلة لمعاصـريه ــ أن يزيد لن يرضى منه بغير البيعة ، وأن أمير المدينة لن يدعه يفلت دون قولها ،وأن أمـير مكة لن يحفظ للإسلام دينا ولا للنبي كرامة دون أن يتمكن من الحسين يستنطقه البيعة .

وجاء في كنز العمال:

ـ" تعجلوا الخروج إلى مكة فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له من مـرض أو حاجة." (الديلمي عن ابن عباس).

هـذا الحـديث يحث على الحج والعمـرة ويـرغب في الـدخول إلى مكة لشـرفها وشـرف ماتحتويه وتضـمه بين جوانبها ، فهل كـان من السـهل على الحسين رضي الله عنه أن يغادرها لغرض دنيوي بحت ..؟!

أهل الكوفة يستقدمون الحسين رضي الله عنه

جاء في البداية والنهاية لابن كثير(بتصرف) ما يلي:

ـ وقد كـثر ورود الكتب علي الحسـين رضي الله عنه من بلاد العـراق يدعونه إليهم وذلك حين بلغهم مـــــوت معاوية وولاية يزيد ومصـــــير الحسـين إلى مكة فـرارا من بيعة يزيد ،فكـان أول من قـدم عليه عبد الله بن سبع الهمذانى وعبد الله بن وال ،ثم بعثـوا بعـدهما نفـرا ومعهم نحو من مائة وخمسين كتابا إلى الحسين ثم بعثوا آخرين ومعهما كتـاب فيه الاستعجال فى السير إليهم ، وجاء في أحد هذه الكتب ما يلي:

ـ "اما بعد فقد أخضـرت الجنـان وأينعت الثمـار ولطمت الجمـام فـاذا شئت فأقدم على جند لك مجندة والسلام عليك "

بعث مسلم بن عقيل

فـــاجتمعت الرسل كلها بكتبها عند الحســـين وجعلـــوا يســـتحثونه ويستقدمونه عليهم ليبايعوه عوضا عن يزيد بن معاوية ، فعند ذلك بعث ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب إلى العــراق ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق فـان كـان الأمركما جـاء في الكتب بعث إليه لـيركب فى أهله وذويه ويـأتى الكوفة ، وكتب معه كتابا إلى أهل العـراق بـذلك .فلما سـار مسـلم من مكة اجتـاز بالمدينة فأخذ منها دليلين فسـارا به على برارى مهجورة المسالك فهلك أحد الدليلين من شـدة العطش ثم مـات الـدليل الآخربعد ذلـك. فكتب إلى الحسـين يستشـيره فى أمـره فكتب إليه أن يمضي في طريقه ليــدخل العــراق ويجتمع بأهل الكوفة ليستعلم أمرهم ويستخبر خبرهم .

فلما دخل الكوفة ، تسامع أهل الكوفة بقدومه فجاؤا إليه فبـايعوه على إمرة الحسين وحلفوا له لينصرنه بأنفسهم وأموالهم فـاجتمع على بيعته من أهلها ثمانية عشر ألفا ، فكتب مسلم إلى الحسين ليقدم عليها فقد تمهدت له البيعة والأمور فتجهز الحسين من مكة قاصدا الكوفة.

وبلغ أمير الكوفة النعمـان بن بشـير خبرمسـلم فجعل يضـرب عن ذلك صـــفحا ولا يعبأ به ولكنه خطب النـــاس ونهـــاهم عن الاختلاف والفتنة وأمرهم بالائتلاف والسنة وقال :

_ "إنى لا أقاتل من لا يقاتلنى ولا أثب على من لا يثب على ولا آخـذكم بالظنة ولكن والله الـذى لا إله إلا هو لئن فـارقتم إمـامكم ونكثتم بيعته لأقاتلنكم ما دام فى يدى من سيفى قائمته"

فلما علم يزيد بذلك عزل النعمان عن الكوفة وضمها إلى عبيد الله ابن زياد مع البصرة وذلك باشارة سرجون مولى يزيد بن معاوية .

ثم كتب يزيد إلى ابن زيـاد إذا قـدمت الكوفة فـاطلب مسـلم بن عقيل فان قدرت عليه فاقتله أو أنفه ، وسار زيـاد من البصـرة إلىالكوفة فلما دخلها متلثما بعمامة سوداء فجعل لا يمر بملأ من الناس إلا قـال سـلام عليكم فيقولـون وعليكم السـلام مرحبا بـابن رسـول الله ، يظنـون أنه الحسـين وقد كـانوا ينتظـرون قدومه ،وتكـاثر النـاس عليه ودخلها فى سـبعة عشر راكبا فلما علمـوا أنه الأمـير عبيد الله بن زيـاد ذلك علتهم كآبة وحزن شديد فتحقق عبيد الله الخبر ونزل قصر الأمارة .

فلما استقر امره أرسل مـولى له ومعه ثلاثة آلاف درهم بحجة أنه جـاء لبيعة الحسين ،فلم يـزل يتلطف ويسـتدل على الـدار الـتى يبـايعون بها مسلم بن عقيل حـتى دخلها وهى دار هـانىء بن عـروة فبـايع وأدخلـوه على مسلم بن عقيل فلزمهم أياما حتى اطلع على جلية أمرهم.

وقد علم شـريك بن الأعـور ــ وكـان من الأمـراء الأكابرــ أن عبيد الله يريد عيادته، فقال لهـانىء بن شـريح يقـول له : أبعث مسـلم بن عقيل حتى يكون فى دارى ليقتل عبيد الله إذا جاء يعودنى ، فبعثه إليه. فقـال له شريك :

ـ "كن أنت فى الخبـاء فـاذا جلس عبيد الله فـأنى أطلب المـاء وهى إشارتى إليك فاخرج فاقتله "
فلما جاء عبيد الله جلس على فراش شريك . ثم قال شـريك اسـقونى فتجبن مسلم عن قتله وخـرجت جارية بكـوز من مـاء فوجـدت مسـلما فى الخبـاء فاسـتحيت ورجعت بالمـاء ثلاثا ثم تحـدثت بعبـارة فهم منها مولى عبيد الله الغدر فغمز لسيده ونهض سريعا .
وقال شريك لمسـلم ما منعك أن تخـرج فتقتله قـال حـديث بلغـنى عن رسول الله ص أنه قال:
ـ "الايمان قيد الفتك " ، وكرهت أن أقتله فى بيتك .
فقـــال: أم لو قتلته لجلست فى القصر ، وليكفينك أمر البصـــرة ، ولو قتلته لقتلت ظالما فاجرا
ولما دخل عبيد الله إلى قصر الامــارة أمر مناديا فنــادى إن الصــلاة جامعة فـاجتمع النـاس فخـرج إليهم فحمد الله وأثـنى عليه ثم قـال أما بعد:
ـ "فإن أميرالمؤمنين قد ولانى أمركم وثغركم وفيأكم وأمـرنى بأنصـاف مظلـــومكم وإعطـــاء محـــرومكم والاحســـان إلى ســـامعكم ومطيعكم والشـــدة على مـــريبكم وعاصـــيكم وإنما أنا ممتثل فيكم أمـــره ومنفذ عهده"
فلما سلم هانىء على عبيد الله قال : يا هانىء أين مسلم بن عقيل ؟
قال: "لا أدرى ، ووالله لو كان تحت قدمى ما رفعتها عنه"

المواجهة بين مسلم وبن زياد

فضـــربه بحربة على وجهه فشـــجه على حاجبه وكسر أنفه ،ثم أمر به فحبسه فى جانب الدار. فلما سمع مسلم بن عقيل الخبر فركب ونادى بشعاره يا منصور أمت فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة فـرتبهم ميمنة وميســرة وســار هو فى القلب إلى عبيد الله ، فأشــرف أمــراء القبائل الذين عند عبيد الله فى القصر فأشـاروا إلى قـومهم الـذين مع مسلم بالانصراف وتهددوهم وتوعدوهم.
وأخرج عبيد الله بعض الامـراء وأمـرهم أن يركبـوا فى الكوفة يخـذلون النـاس عن مسـلم بن عقيل ففعلـوا وانصـرف النـاس عن مسـلم بن عقيل حتى لم يبق إلا فى خمسمائة نفس ثم تقـالوا شـيئا فشـيئا فبقى وحــــده ليس معه من يدله على الطريق ولا من يؤانسه بنفسه ولا من يأويه إلى منزله فذهب على وجهه لا يدرى أين يذهب ،فــأتى دارا طلب من صاحبتها جرعة ماء ، ولما علمت بأنه مسلم أخفته في دار أخرى.

القبض على مسلم وقتله

لكن ابن صاحبة هذه الدار وشى به ووصل الخبر إلىابن زياد الذي بعث صاحب شرطته فى سبعين أو ثمانين فارسا، فلم يشـعر مسـلم إلا وقد

أحيط بالدار التى هو فيها فـدخلوا عليه فقـام إليهم بالسـيف فـأخرجهم من الدار ثلاث مرات ، فأعطـاه أحـدهم الأمـان فأمكنه من يـده وجـاؤا ببغلة فـأركبوه عليها وسـلبوا عنه سـيفه فلم يبق يملك من نفسه شـيئا فبكى عند ذلك وعرف أنه مقتول ،وقال إنا لله وإنا إليه راجعـون،فقـال بعض من حوله: "إن من يطلب مثل الــذى تطلب لا يبكى إذا نـــزل به هذا "

فقال :

ـ أما والله لست أبكى على نفسى ولكن أبكى على الحســـين وآل الحسين إنه قد خرج إليكم اليوم أو أمس من مكة "

ثم التفت إلى محمد بن الأشعث فقال:

ـ "إن اسـتطعت أن تبعث إلى الحسـين على لسـانى تـأمره بـالرجوع فافعل"

فبعث محمد بن الأشـعث إلى الحسـين يـأمره بـالرجوع فلم يصـدق الرسول فى ذلك .

ثم ادخل على ابن زياد ،فقال:

ـ "أيه يا ابن عقيل أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتتهم وتفرق كلمتهم وتحمل بعضهم على قتل بعض..؟"

قال :

ـ "كلا لست لذلك أتيت ولكن أهل المصر زعمـوا أن أبـاك قتل خيـارهم وسـفك دمـاءهم وعمل فيهم أعمـال كسـرى وقيصر فأتينـاهم لنـأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب"

ثم قال له ابن زياد :

ـ " إنى قاتلك "

قال مسلم :

ـ" فدعنى أوصى إلى بعض قومى، قال: أوص "

فنظر فى جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبى وقاص فقـال يا عمر إن بيـنى وبينك قرابة ولى إليك حاجة وهى سر فقم معى إلى ناحية القصر حتى أقولها لك ، فقام فتنحى قريبا من ابن زياد.

فقال له مسلم :

ـ " إن على دينا فى الكوفة سـبعمائة درهم فاقضـها عـنى واسـتوهب جثتى من ابن زياد فوارها وابعث إلى الحسين فـانى كنت كتبت إليه أن الناس معه ولا أراه إلا مقبلا"

فقام عمر فعرض على ابن زياد ما قال له فأجاز ذلك له كله، وقال أما الحسين فان لم يردنا لا نرده ،وإن أرادنا لم نكف عنه ،ثم أمر ابن زيـاد بمســلم بن عقيل فأصــعد إلى أعلا القصر وهو يكـبر ويهلل ويســبح ويسـتغفر ويصـلى على ملائكة الله ويقـول اللهم احكم بيننا وبين قـوم غرونا وخــذلونا ثم ضــرب عنقه وألقى رأسه إلى أســفل القصر وأتبع رأسه بجسده ، ثم إن ابن زياد قتل أناسا آخـرين ثم بعث برأسه ورأس

هانىء بن عروة إلى يزيد بن معاوية إلى الشام وكتب له كتابا صـورفيه ما وقع من أمر.
قيل قتل مسلم يوم الأربعاء يوم عرفة سنة ستين وكان ذلك بعد مخرج الحسين من مكة قاصدا أرض العراق بيوم واحد ، يوم التروية .
لما أستشعر الناس خروج الحسين أشـفقوا عليه من ذلك وحـذروه منه وأشـار عليه ذوو الـرأى منهم والمحبة له بعـدم الخـروج إلى العـراق وأمروه بالمقام بمكة وذكره ما جرى لأبيه وأخيه

موقف الصحابة من خروج الحسين

جـاء في كتـاب (استشـهاد الحسـين) للـدكتورعلي محمد الصـلابي (بتصرف)
وكتب مروان بن الحكم إلى ابن زياد: أما بعد فإن الحسـين بن علي قد توجه إليـك، وهو الحسـين بن فاطمـة، وفاطمة بنت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، وتالله ما أحد يسـلمه الله أحب إلينا من الحسـين، وإياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شيء ولا ينساه العامـة، ولا يـدع ذكره، والسلام عليك .
وكتب إليه أيضا عمـرو بن سـعيد بن العـاص (والي مكة) ينهـاه عن التعرض للحسين ويأمره بأن يكون حذراً في تعامله مع الحسين: قـائلاً لـه: أما بعد فقد توجه إليك الحسـين وفي مثلها تعتق أو تعـود عبـداً تسترق كما يسترق العبيد.
قال ابن عباس:
ـ " استشـارنى الحسـين بن على فى الخـروج فقلت لـولا أن يـزرى بى وبك الناس لشبثت يدى فى رأسك فلم أتركك تذهب"
وروى أن الحسين لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه ابن عباس فقال:
ـ " يا ابن عم إنه قد أرجف النـاس أنك سـائر إلى العـراق فـبين لى ما أنت صانع فقال إنى قد أجمعت المسـير فى أحد يـومى هـذين إن شـاء الله تعالى فقال له ابن عباس أخـبرنى إن كـان قد دعـوك بعد ما قتلـوا أميرهم ونفوا عدوهم وضبطوا بلادهم فسر إليهم وإن كان أمـيرهم حى وهو مقيم عليهم قـاهر لهم وعماله تجـبى بلادهم فـانهم إنما دعـوك للفتنة والقتال ولا آمن عليك أن يستفزوا عليك النـاس ويقلبـوا قلـوبهم عليك فيكون الذى دعوك أشد الناس عليك"
فقال الحسين :
ـ "إنى أستخير الله وأنظر ما يكون"
فخرج ابن عباس عنه ودخل ابن الزبير فقال له :
ـ "ما أدرى ما تركنا لهؤلاء القوم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هـذا الامر دونهم أخبرنى ما تريد أن تصنع"
فقال الحسين:

ـ " والله لقد حـدثت نفسى باتيـان الكوفة ولقد كتب إلى شـيعتى بها وأشرافها بالقدوم عليهم وأستخير الله "
فقال ابن الزبير :
ـ "أما لو كان لى بها مثل شيعتك ما عدلت عنها "
فلما كان من العشى أو من الغد جاء ابن عباس إلى الحسين فقال له:
ـ "يا ابن عم إنى أتصـبر ولا أصـبر إنى أتخـوف عليك فى هـذا الوجه الهلاك إن أهل العراق قـوم غـدر فلا تغـترن بهم أقم أمم فى هـذا البلد حتى ينفى أهل العراق عدوهم ثم أقدم عليهم وإلا فسر إلى اليمن فان به حصـونا وشـعابا ولأبيك به شـيعة وكن عن النـاس فى معـزل واكتب إليهم وبث دعاتك فيهم فانى أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب"
فقال الحسين :
ـ   "يا ابن عم والله إنى لأعلم أنك ناصح شـــفيق ولكـــنى قد أزمعت المسير"
فقال له :
ـ "فان كنت ولا بد سـائرا فلا تسر بـأولادك ونسـائك فوالله إنى لخـائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه"
وقـال ابن عمر أنه كـان بمكة فبلغه أن الحسـين بن على قد توجه إلى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ليال فقال:
ـ " أين تريد "
قال :
ـ "العراق"
فقال :
ـ " لا تأتهم"
فأبى ، فقال ابن عمر:
ـ " إنى محدثك حديثا إن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا وإنك بضـعة من رسـول الله والله ما يليها أحد منكم أبدا وما صرفها الله عنكم إلا للذى هو خـير لكم"
فأبى أن يرجع ، فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال :
ـ"أستودعك الله من قتيل"
جاءه أبو سعيد الخدرى إلى الحسين فقال:
ـ " يا أبا عبد الله إنى لكم ناصح وإنى عليكم مشـفق وقد بلغـنى أنه قد كاتبك قوم من شـيعتكم بالكوفة يـدعونك إلى الخـروج إليهم فلا تخـرج إليهم فـانى سـمعت أبـاك يقـول بالكوفة والله لقد مللتهم وأبغضـتهم وملونى وأبغضونى وما يكون منهم وفاء قط ومن فاز بهم فـاز بالسـهم الأخيب والله ما لهم نيات ولا عزم على أمر ولا صبر على السيف "
وقال جابر بن عبد الله كلمت حسينا فقلت:

" اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض فوالله ما حمـدتم ما صـنعتم فعصانى "
وقال سعيد بن المسيب:
ـ " لو أن حسينا لم يخرج لكان خيرا له"
وكتب إليه عبد الله بن جعفر كتابا يحذره اهل العـراق ويناشـده الله إن شخص إليهم فكتب إليه الحسين:
ـ " إنى رأيت رؤيا ورأيت رسـول الله ص أمـرنى بـأمر وأنا مـاض له ولست بمخبر بها أحدا حتى ألاقى عملى"

بعث الحسين قيس بن مسهر إلى أهل الكوفة

وبعث الحسين قيس بن مسهر إلى أهل الكوفة وكتب معه إليهم:
ـ " بسم الله الـرحمن الـرحيم من الحسـين بن على إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فانى أحمد إليكم الله الـذى لا إله إلا هو أما بعد فان كتاب مسلم بن عقيل جاءنى يخـبرنى فيه بحسن رأيكم واجتمـاع ملئكم على نصـرنا والطلب بحقنا فنسـأل الله أن يحسن لنا الصـنيع وأن يـثيبكم على ذلك أعظم الأجر وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمـان مضـين من ذى الحجة يـوم التروية فـاذا قـدم عليكم رسولى فاكتموا أمركم وجدوا فانى قادم عليكم فى أيامى هذه إن شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".
وكـان كتـاب مسـلم قد وصل إليه قبل أن يقتل بسـبع وعشـرين ليلة ومضمونه:
ـ " أما بعد فان الرائد لا يكـذب أهله وإن جميع أهل الكوفة معك فأقبل حين تقرأ كتابى هذا والسلام عليكم)"
وأقبل قيس بن مسهر بكتاب الحسين إلى الكوفة حـتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمـير فبعث به إلى عبيد الله بن زيـاد فقـال له ابن زياد :
ـ "اصعد إلى أعلا القصر فسب الكذاب ابن الكذاب على بن أبى طالب وابنه الحسين"
فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
ـ "أيها الناس إن هـذا الحسـين بن على خـير خلق الله وهو ابن فاطمة بنت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وأنا رسـوله إليكم وقد فارقته بالحاجز من بطن ذى الرمة فأجيبوه واسمعوا له وأطيعوا"
ثم لعن عبيد الله بن زياد وأبـاه واسـتغفر لعلى والحسـين فـأمر به ابن زيـاد فـألقى من رأس القصر فتقطع ويقـال بل تكسـرت عظامه وبقى فيه بقية رمق فقام إليه أحدهم فذبحه.
ثم أقبل الحسين يسير نحو الكوفة ولا يعلم بشىء مما وقع من الأخبـار .

خروج الحسين رغم ما حدث

عن عبد الله بن سليم والمنذر بن المشمعل الأسديين قالا :

ـ "لماقضينا حجنا لم يكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين فأدركناه وقد مر برجل من بنى أسد فهم الحسين أن يكلمه ويساله ثم ترك فجئنا ذلك الرجل فسألناه عن أخبار الناس فقال والله لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانىء بن عروة"

فلحقنا الحسين فأخبرناه فجعل يقول إنا لله وإنا إليه راجعون مرارا .

فقلنا له :

ـ "الله الله فى نفسك "

فقال :

ـ "لا خير فى العيش بعدهما"

قلنا :

ـ "خار الله لك "

وقال له بعض أصحابه :

ـ "والله ما انت مثل مسلم بن عقيل ولو قد قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع"

وقال غيرهما، لما سمع أصحاب الحسين بمقتل مسلم بن عقيل وثب عند ذلك بنو عقيل بن أبى طالب وقالوا :

ـ "لا والله لا ترجع حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا "

فسار الحسين حتى بلغه ايضا مقتل الذى بعثه بكتابه إلى أهل الكوفة بعد أن خرج من مكة فقال:

ـ " خذلتنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف من غير حرج عليه وليس عليه منا ذمام "

فتفرق الناس عنه وبقى فى أصحابه الذين جاؤا معه من مكة .

قال الحسين حين نزلوا كربلاء:

ـ"ما اسم هذه الأرض"

قالوا: كربلاء.

قال: كرب وبلاء.

وبعث عبيد الله بن زياد عمر بن سعد لقتالهم فلما طلب منه ابن زياد أن يذهب لمقاتلة الحسين رفض عمر بن سعد في البداية هذا الطلب، ولكن ابن زياد هدده إن لم ينفذ أمره بالعزل وهدم داره وقتله، وأمام هذا الخيار رضي .

اختيارات الحسين

فقال الحسين لعمرو بن سعد حين التقيا :

ـ "يا عمر اختبرنى إحدى ثلاث خصال ، إما أن تتركنى أرجع كما جئت ، فان أبيت هذه فسيرنى إلى يزيد فأضع يدى فى يده فيحكم فى ما رأى، فان أبيت هذه فسيرنى إلى الترك فأقاتلهم حتى أموت"

فأرسل إلىابن زياد بذلك فهم أن يسيره إلى يزيد ، فقال شمر بن ذى الجوشن لا إلا أن ينزل على حكمك، فأرسل إلى الحسين بذلك فقال الحسين والله لا أفعل. وأبطأ عمر عن قتاله ، فأرسل ابن زياد شمر بن ذى الجوشن وقال له :

ـ " إن تقدم عمر فقاتل وإلا فاقتله وكن مكانه فقد وليتك الامرة"

وكان مع عمر قريب من ثلاثين رجلا من أعيان أهل الكوفة فقالوا له:

ـ " يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ص ثلاث خصال فلا تقبلوا منها شيئا"

فتحولوا مع الحسين يقاتلون معه.

عن سعد بن عبيدة قال : فرأيت الحسين وعليه جبة برود ورماه رجل يقال له عمرو ابن خالد الطهوى بسهم فنظرت إلى السهم معلقا بجبته.

وكان فى جملة من مع جند يزيد الحر بن يزيد فلما سمع ما يقول الحسين قال لهم:

ـ "ألا تتقون الله ألا تقبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم والله لو سألتكم هذا الترك والديلم ما حل لكم أن تردوهم"

فأبوا إلا حكم ابن زياد ، فضرب الحر وجه فرسه وانطلق إلى الحسين فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلهم فلما دنا منهم قلب ترسه وسلم عليهم ، ثم كر على أصحاب ابن زياد فقتل منهم رجلين ثم قتل رحمه الله .

مقتل الحسين رضي الله عنه

ذكر ابن الأثير في كتابه أسد الغابة :

أخبرنا إبراهيم بن محمد الفقيه وغير واحد، قالوا بإسنادهم إلى الترمذي، قال: حدثنا أبو خالد الأحمر قال: حدثنا رزين، حدثني سلمى قال: دخلت على أم سلمة، وهي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: "شهدت قتل الحسين آنفاً".

جاء في كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني :

وقال حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن بن عباس رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت بأبي وأمي يا رسول الله ما هذا قال:

ـ " هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم"

فكان ذلك اليوم الذي قتل فيه.

قتل رضي الله عنه لعشر خلت من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدى و ستين هجرية .

وقد تناقلت الكتب روايات عديدة لمقتله رضي الله عنه معظمها مختلق وملفق، ومن خلال أئمة الكلام في هذا الشأن وليس من كلام الشيعة والرافضة ننقل هذه الرواية :

عن عبد الله بن سليم والمذرى بن المشمعل الأسديين قالا:
ـ أقبل الحسين فلما نزل شرف قال لغلمانه وقت السحر استقوا من الماء فأكثروا ثم ساروا إلى صدر النهار فسمع الحسين رجلا يكبر فقال له مم كبرت فقال رأيت النخيلة فقال له الأسديان إن هذا المكان لم ير أحد منه نخيلة فقال الحسين فماذا تريانه رأى فقالا هذه الخيل قد أقبلت فقال الحسين أما لنا ملجأ نجعله فى ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد فقالا بلى ذو حسم فأخذ ذات اليسار إليها فنزل وأمر بأبنيته فضربت وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمى وهم مقدمة الجيش الذين بعثهم ابن زياد حتى وقفوا فى مقابلته فى نحو الظهيرة والحسين وأصحابه معتمون متقلدون سيوفهم فأمر الحسين أصحابه أن يترووا من الماء ويسقوا خيولهم وأن يسقوا خيول أعدائهم أيضا وروى هو وغيره قالوا لما دخل وقت الظهر أمر الحسين الحجاج بن مسروق الجعفى فأذن ثم خرج الحسين فى إزار ورداء ونعلين فخطب الناس من أصحابه وأعدائه واعتذر إليهم فى مجيئه هذا إلى ههنا بأنه قد كتب إليه أهل الكوفة أنهم ليس لهم إمام وإن أنت قدمت علينا بايعناك وقاتلنا معك ثم أقيمت الصلاة فقال الحسين للحر تريد أن تصلى بأصحابك قال لا ولكن صل أنت ونحن نصلى وراءك فصلى بهم الحسين ثم دخل إلى خيمته واجتمع به أصحابه وانصرف الحر إلى جيشه وكل على أهبته فلما كان وقت العصر صلى بهم الحسين ثم انصرف فخطبهم وحثهم على السمع والطاعة له وخلع من عاداهم من الادعياء السائرين فيكم بالجور فقال له الحر إنا لا ندرى ما هذه الكتب ولا من كتبها فأحضر الحسين خرجين مملوءين كتبا فنثرها بين يديه وقرأ منها طائفة فقال الحر لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك فى شىء وقد أمرنا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد فقال الحسين الموت أدنى من ذلك ثم قال الحسين لأصحابه اركبوا فركبوا النساء فلما أراد الانصراف حال القوم بينه وبين الانصراف فقال الحسين للحر ثكلتك امك ماذا تريد..؟
فقال له الحر : أما والله لو غيرك يقولها لى من العرب وهو على مثل الحال التى أنت عليها لأقتصن منه ولما تركت أمه ولكن لا سبيل إلى ذكر أمك إلا بأحسن ما نقدر عليه ،وتقاول القوم وتراجعوا، فقال له الحر إنى لم أومر بقتالك وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد فإذا أبيت فخذ طريقا لا يقدمك الكوفة ولا تردك إلى المدينة واكتب أنت إلى يزيد واكتب انا إلى ابن زياد إن شئت فلعل الله أن يأتى بأمر يرزقنى فيه العافية من أن أبتلى بشىء من أمرك قال فأخذ الحسين يسارا عن طريق العذيب والقادسية والحر بن يزيد يسايره وهو يقول له يا حسين إنى أذكرك الله فى نفسك فانى أشهد لئن قاتلت لتقتلن ولئن قوتلت لتهلكن.

وإذا ســـــفر أربعة أى أربعة نفر قد أقبلـــــوا من الكوفة على رواحلهم يخبــون ويجنبــون فرسا لنـافع بن هلال يقـال له الكامل قد أقبلــوا من الكوفة يقصدون الحسين ودليلهم رجل يقـال له الطرمـاح ، فـأراد الحر أن يحول بينهم وبين الحسين فمنعه الحسين من ذلك فلما خلصــوا إليه قـال لهم أخـبرونى عن النـاس وراءكم فقـال له أحـدهم مـال أشـراف النـــاس، فهم إلب عليك لأنهم قد عظمت رشـــوتهم وملئت غرائـــرهم يستميل بذلك ودهم ويسـتخلص به نصـيحتهم فهم إلب واحد عليك وأما سائر الناس فأفئدتهم تهوى إليك وسيوفهم غدا مشهورة عليك قال لهم فهل لكم برســولى علم قــالوا ومن رســولك قــال قيس بن مســهر الصـيداوى قـالوا نعم أخـذه الحصـين بن نمـير فبعث به إلى ابن زيـاد فـأمره ابن زيـاد أن يلعنك ويلعن أبـاك فصـلى عليك وعلى أبيك ولعن زياد وأباه ودعا الناس إلى نصـرتك وأخـبرهم بقـدومك فـأمر به فـألقى من رأس القصر فمــات فــترقرت عينا الحســين وقــرأ قوله تعــالى :"فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر" الآية ثم قـــــال اللهم اجعل منازلهم الجنة نـزلا واجمع بيننا وبينهم فى مسـتقر من رحمتك ورغـائب مدخور ثوابك .

ثم إن الطرماح بن عدى قال للحسين:

ـ انظر فما معك لا أرى معك أحـدا إلا هـذه الشـرذمة اليسـيرة وإنى لأرى هــؤلاء القــوم الــذين يسـايرونك أكفــاء لمن معك فكيف وظـاهر الكوفة مملوء بالخيول والجيوش يعرضون ليقصـدونك فأنشـدك الله إن قدرت أن لا تتقدم إليهم شـبرا فافعل فـان أردت أن تـنزل بلـدا يمنعك الله به من ملوك غسان وحمـير ومن النعمـان بن المنـذر ومن الأسـود والأحمر والله إن دخل علينا ذل قط فأسير معك حــتى أنزلك القرية ثم تبعث إلى الرجــال من باجا وســلمى من طىء ثم أقم معنا ما بــدا لك فأنا زعيم بعشــرة آلاف طــائى يضـربون بين يـديك بأسـيافهم والله لا يوصل إليك أبدا ومنهم عين تطرف.

فقال له الحسـين :جـزاك الله خـيرا فلم يرجع عما هو بصـدده فودعه الطرماح.

ومضى الحسـين فلما كـان من الليل أمر فتيانه أن يسـتقوا من المـاء كفايتهم ثم سرى فنعس فى مسـيره حـتى خفق برأسه واسـتيقظ وهو يقــول إنا لله وإنا إليه راجعــون والحمد لله رب العــالمين ثم قـال رأيت فارسا على فــرس وهو يقــول القــوم يســيرون والمنايا تســرى إليهم فعلمت أنها أنفســنا نعيت إلينا فلما طلع الفجر صــلى بأصــحابه وعجل الركوب ثم تياسر فى مسيره حتى انتهى إلى نينوى فــاذا راكب متنكب قوسا قد قـــدم من الكوفة فســلم على الحر بن يزيد ولم يســلم على الحسين ودفع إلى الحر كتابا من ابن زياد ومضمونه أن يعدل بالحســين فى السير إلى العراق فى غير قرية ولا حصن حتى تأتيه رسله وجنــوده وذلك يوم الخميس الثانى من المحرم سنة إحدى وستين .

فلما كـان من الغد قـدم عمر بن سـعد بن أبى وقـاص فى أربعة آلاف وكان قد جهزه ابن زياد فى هؤلاء إلى الـديلم فاسـتعفاه عمر بن سـعد من ذلك فقال له ابن زياد إن شئت عفيتك وعزلتك عن ولاية هذه البلاد التى قد اسـتنبتك عليها فقـال حـتى أنظر فى أمـرى فجعل لا يستشـير أحدا إلا نهاه عن المسير إلى الحسين حتى قـال له ابن أخته حمـزة بن المغـيرة بن شـعبة إيـاك أن تسـير إلى الحسـين فتعصى ربك وتقطع رحمك فوالله لأن تخـــرج من ســـلطان الأرض كلها أحب إليك من أن تلقى الله بدم الحسين فقال إنى أفعل إن شـاء الله تعـالى ثم أن عبيد الله بن زياد تهـدده وتوعـده بـالعزل والقتل فسـار إلى الحسـين فنازله فى المكان الـذى ذكرنا ثم بعث إلى الحسـين الرسل ما الـذى أقـدمك فقال الحسين:

ـ " كتب إلى اهل الكوفة أن أقدم عليهم فاذ قد كرهـونى فأنا راجع إلى مكة وأذركم ".

فلما بلغ عمر بن سعد هذا قال:

ـ " أرجو أن يعافينى الله من حربه"

وكتب إلى ابن زيـاد ذلك فـرد عليه ابن زيـاد أن حل بينهم وبين المـاء كما فعل بـالتقى الـزكى المظلـوم أمـير المؤمـنين عثمـان بن عفـان ، واعـرض على الحسين أن يبـايع هو ومن معه لأمـير المؤمـنين يزيد بن معاوية فاذا فعلوا ذلك رأينا رأينا.

وجعل أصحاب عمر بن سعد يمنعون أصحاب الحسين من الماء وعلى سرية منهم عمرو بن الحجاج فدعا عليهم بـالعطش فمـات هـذا الرجل من شـدة العطش ، ثم إن الحسـين طلب من عمر بن سـعد أن يجتمع به بين العســكرين فجــاء كل واحد منهما فى نحو من عشــرين فارسا فتكلما طويلا حتى ذهب هزيع من الليل ولم يـدر أحد ما قـالا ولكن ظن بعض النـاس أنه سـأله أن يـذهب معه إلى يزيد بن معاوية إلى الشـام ويتركا العسكرين متواقفين ، فقال عمر إذا يهـدم ابن زيـاد داري فقـال الحسـين أنا أبنيها لك أحسن مما كـانت، قـال إذا يأخذ ضـياعى قـال أنا أعطيك خيرا منها من مالى بالحجاز ، قال فتكره عمر بن سعد من ذلك ،وقـال بعضـهم بل سـأل منه إما أن يـذهبا إلى يزيد أو يتركه يرجع إلى الحجاز أو يذهب إلى بعض الثغـور فيقاتل الـترك ، فكتب عمر إلى عبيد الله بذلك فقال نعم قد قبلت، فقام الشمر بن ذى الجوشن فقال:

ـ " لا والله حـتى يـنزل على حكمك هو وأصـحابه ، والله لقد بلغـنى أن حسينا وابن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدثان عامة الليل "

فقال له ابن زياد : " فنعم ما رأيت."

وصـلى عمر بن سـعد الصـبح بأصـحابه يـوم الجمعة وقيل يـوم السـبت وكان يوم عاشوراء إنتصب للقتال وصـلى الحسـين أيضا بأصـحابه وهم إثنان وثلاثون فارسا وأربعون راجلا ثم إنصرف فصفهم .

فعـدل الحسـين إلى خيمة قد نصـبت فاغتسل فيها وانطلى بـالنورة وتطيب بمسك كثير ودخل بعده بعض الأمـراء ففعلـوا كما فعل ، فقـال يزيد بن حصـين والله لقد علم قـومى أنى ما أحببت الباطل شـابا ولا كهلا ولكن والله إنى لمستبشر بما نحن لاحقــــــون والله ما بيننا وبين الحـور العين إلا أن يميل علينا هـؤلاء القـوم فيقتلوننا ثم ركب الحسـين على فرسه وأخذ مصحفا فوضعه بين يديه ثم استقبل القـوم رافعا يديه يـدعو بما تقـدم ذكـره اللهم أنت ثقـتى فى كل كـرب ورجـائى فى كل شدة إلى آخره وركب إبنه على بن الحسين وكـان ضـعيفا مريضا فرسا يقال له الأحمق ونادى الحسين :

ـ "أيها النـاس إن قبلتم مـنى وأنصـفتمونى كنتم بـذلك أسـعد ولم يكن لكم على سبيل وإن لم تقبلـوا مـنى فـاجمعوا أمـركم وشـركاءكم ثم لا يكن عليكم غمة ثم اقضـوا إلى ولا تنظـرون وإن ولـيى الله الـذى نـزل الكتاب وهو يتولى الصالحين "

فلما سمع ذلك أخواته وبناته ارتفت أصواتهن بالبكاء فقال عند ذلك:

ـ "لا يبعد الله ابن عباس ..! "

يعـنى حين أشـار عليه أن يخـرج بالنسـاء معه ويـدعهن بمكة إلى أن ينتظم الأمر ثم بعث أخاه العباس فسكتهن ثم شرع يذكر للناس فضـله وعظمة نسبه وعلو قدره وشرفه ويقول:

ـ " راجعوا أنفسكم وحاسـبوها هل يصـلح لكم قتـال مثلي وأنا ابن بنت نبيكم وليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غـيرى وعلى أبى وجعفر ذو الجناحين عمى وحمزة سيد الشهداء عم أبي وقـال لى رسـول الله ص ولأخى هـذان سـيدا شـباب أهل الجنة فـان صـدقتمونى بما أقـول فهو الحق فوالله ما تعمدت كذبة منذ علمت أن الله يمقت على الكذب وإلا فاسألوا أصحاب رسـول الله ص عن ذلك جـابر بن عبد الله وأبا سـعيد وسهل بن سـعد وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخـبرونكم بـذلك ويحكم إما تتقون الله أما فى هذا حاجز لكم عن سفك دمى..!"

ثم قال:

ـ "أيها الناس ذرونى أرجع إلى مأمنى من الأرض"

فقالوا :

ـ ما يمنعك أن تنزل على حكم بنى عمك..؟!

فقال:

ـ "معـاذ الله إنى عـذت بـربى وربكم من كل متكـبر لا يـؤمن بيـوم الحساب"

ثم أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها ثم قال:

ـ "أخـبروني أتطلبونـني بقتيل لكم قتلته أو مـال لكم أكلته أو بقصاصة من جراحه ..!؟"

فأخذوا لا يكلمونه قال فنادى:

ـ "يا شبيث بن ربعى يا حجار بن أبجر يا قيس بن الأشعث يا زيد بن الحارث ألم تكتبوا إلى أنه قد أينعت الثمار وأخضر الجناب فأقدم علينا فانك إنما تقدم على جند مجندة..؟"

فقالوا :" له لم نفعل"

فقال : "سبحان الله والله لقد فعلتم ثم قال يا أيها الناس إذ قد كرهتمونى فدعونى أنصرف عنكم."

فقال له قيس بن الأشعث :

ـ" ألا تنزل على حكم بنى عمك فانهم لن يؤذوك ولا ترى منهم إلا ما تحب"

وخرج من أصحاب الحسين زهير بن القين على فرس له شاك فى السلاح فقال:

ـ "يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار إن حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم ونحن حتى الآن أخوة وعلى دين واحد وملة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف فاذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمة وأنتم أمة إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه لينظر ما نحن وأنتم عاملون إنا ندعوكم إلى نصره وخذلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد فأنكم لم تدركوا منهما إلا سوء عموم سلطانها يسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثلان بكم ويقتلان أماثلكم وقراءكم أمثال حجر بن عدى وأصحابه وهانىء بن عروة وأشباهه"

فسبوه وأثنوا على ابن زياد ودعوا له وقالوا : لا ننزع حتى نقتل صاحبك ومن معه.

فقال لهم :

ـ "إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية فان أنتم لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم خلوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية نذهب حيث شاء فلعمرى إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين"

وقال الحر بن يزيد لعمر بن سعد:" أصلحك الله أمقاتل أنت هذا الرجل..؟"

ثم قال لأهل الكوفة فيما قال:

ـ "أدعوتم الحسين إليكم حتى إذا أتاكم عدوتم عليه لتقتلوه ومنعتموه التوجه فى بلاد الله العريضة الوسيعة ، وحلتم بينه وبين الماء الفرات الجارى الذى يشرب منه الكلب والخنزير، بئس ما خلفتم محمدا فى ذريته ،لاسقاكم الله يوم الظما الأكبر إن لم تتوبوا وترجعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا فى ساعتكم هذه."

وترامى الناس بالنبال ، وحمل رجل يقال له عبد الله بن حوزة حتى وقف بين يدى الحسين فقال له:

ـ " يا حسين أبشر بالنار"

فقال له الحسين:

ـ " كلا ويحك إنى أقـــدم على رب رحيم وشــفيع مطــاع بل أنت أولى بالنار"
قـال وكـثرت المبـارزة يومئذ بين الفـريقين والنصر فى ذلك لأصـحاب الحسين لقوة بأسهم وأنهم مستميتون لاعاصم لهم إلا سـيوفهم. وكـان مســلم بن عوســجة أول من قتل من أصــحاب الحســين فمشى إليه الحســين فـترحم عليه وهو على آخر رمق، وقـال له حـبيب بن مطهر ابشر بالجنة فقال له بصوت ضعيف بشرك الله بالخير ثم قال له حبيب لولا أنى أعلم أنى على أثرك لاحقك لكنت أقضى ما توصى به فقـال له مسلم بن عوسجة أوصيك بهذا وأشار إلى الحسين إلى أن تموت دونه.
ثم حمل شـــمر بن ذى الجوشن بالميســـرة وقصـــدوا نحو الحســـين فدافعت عنه الفرسان من أصحابه دفاعا عظيما وكـافحوا دونه مكافحة بليغة فأرســلوا يطلبــون من عمر بن ســعد طائفة من الرمــاة الرجالة فبعث إليهم نحوا من خمسمائة فجعلوا يرمون خيول أصـحاب الحسـين فعقروها كلها حتى بقى جميعهم رجاله .
وجـاء شــمر بن ذى الجوشن قبحه الله إلى فســطاط الحســين فطعنه برمحه يعنى الفسطاط وقال :
ـ" إيتونى بالنار لأحرقه على من فيه"
فصاحت النسوة وخرجن منه فقال له الحسين :
ـ "أحرقك الله بالنار "
وجـاء شـبيث بن ربعى إلى شـمر قبحه الله فقـال له ما رأيت أقبح من قولك ولا من فعلك وموقفك هذا أتريد أن ترعب النساء فاســتحى وهم بالرجوع .
ودخل عليهم وقت الظهر فقال الحسين :
ـ "مروهم فليكفوا عن القتال حتى نصلى"
فقال رجل من أهل الكوفة:
ـ "إنها لا تقبل منكم "
فقال له حبيب بن مطهر:
ـ " ويحك أتقبل منكم ولا تقبل من آل رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم "
ثم إن رجــالا شــدوا على الحر بن يزيد فقتلــوه . ثم صــلى الحســين بأصحابه الظهر صلاة الخـوف ثم اقتتلـوا بعـدها قتـالا شـديدا ودافع عن الحسين صناديد أصحابه .
ثم أقبل شـمر فحمل على أصـحاب الحسـين وتكـاثر معه النـاس حـتى كادوا أن يصلوا إلى الحسين فلما رأى أصحاب الحسـين أنهم قد كـثروا عليهم وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا الحسين ولا انفسهم تنافسوا ان يقتلوا بين يديه وهو يدعو لهم ويقول جـزاكم الله أحسن جـزاء المتقين فجعلوا يسلمون على الحسين ويقـاتلون حـتى تفـانوا ولم يبق معه أحد إلا سويد بن عمرو بن أبى مطاع الخثعمى وكان أول قتيل قتل من أهل

الحسين من بنى أبى طالب على الأكبر بن الحسـين بن على احتوشـته الرجال فقطعوه بأسيافهم فقال الحسين :
ـ " قتل الله قوما قتلـوك يا بـنى ما أجـرأهم على الله وعلى انتهـاك محارمه فعلى الدنيا بعدك العفاء "
ثم قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل ، ثم قتل عون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر، ثم قتل عبد الرحمن وجعفر ابنا عقيل بن أبى طالب، ثم قتل القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب.
ومكث الحسين نهارا طويلا وحـده لا يـأتى أحد إليه إلا رجع عنه لا يحب أن يلى قتله ، حـتى جـاءه رجل من بـنى بـداء يقـال له مالك بن البشر فضرب الحسين على رأسه بالسيف فأدمى رأسه وكـان على الحسـين برنس فقطعه وجرح رأسه فامتلأ البرنس دما .
ثم إن الحسـين أعيا فقعد على بـاب فسـطاطه وأتى بصـبى صـغير من أولاده اسمه عبد الله فأجلسه فى حجره ثم جعل يقبله ويشمه ويودعه ويوصى أهله فرمــاه رجل بسـهم فــذبح ذلك الغلام .وقتل أبــوبكر بن الحسين بسهم ، ثم قتل عبد الله والعباس وعثمان وجعفر ومحمد بنــوا على بن أبى طالب إخوة الحسين .
ثم إن شمر بن ذى الجوشن أقبل فى نحو من عشرة من رجالة الكوفة قبل منزل الحسين الذى فيه جل عياله فمشى نحوهم فحالوا بينه وبين رحله فقال لهم الحسين:
ـ " ويلكم إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعـاد فكونـوا فى دنياكم أحرارا وذوى أحساب امنعوا رحلى وأهلى من طغاتكم وجهـالكم "
فقال ابن ذى الجوشن : ذلك لك يا ابن فاطمة .
ثم حمل على الحسين الرجال من كل جانب وهو يجـول فيهم بالسـيف يمينا وشـــمالا فيتنـــافرون عنه ،وخـــرجت أخته زينب بنت فاطمة إليه فجعلت تقــول ليت الســماء تقع على الأرض وجــاءت عمر بن ســعد فقالت :
ـ " يا عمر أرضيت أن يقتل أبو عبد الله وأنت تنظر"
فتحادرت الدموع على لحيته وصرف وجهه عنها .
ثم جعل لا يقدم أحد على قتله حتى نادى شـمر بن ذى الجوشن ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل فاقتلوه ثكلتكم أمهـاتكم فحملت الرجـال من كل جــانب على الحســين، وضــربه زرعة بن شــريك التميمى على كتفه اليسرى، وضرب على عاتقه ، ثم انصرفوا عنه وهو ينـوء ويكبو ثم جـاء إليه ، سـنان بن أبى عمـرو فطعنه بـالرمح، فوقع ثم نـزل فذبحه وحز رأسه
وقيل إن الذى قتله شمر بن ذى الجوشن وقيل رجل من مذحج .
عن محمد بن عمرو بن حسن قال:

ـ " كنا مع الحسين بنهرى كربلاء فنظر إلى شمر بن ذى الجوشن فقال: صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم:

ـ "كأنى أنظر إلى كلب أبقع بلغ فى دماء أهل بيتى"

وكان شمر قبحه الله أبرص.

وأخذ سنان وغيره سلب الحسين وتقاسم الناس ما كان من أمواله وما فى خبائه .

قال عن جعفر بن محمد : وجدنا بالحسين حين قتل ثلاثة وثلاثين طعنة وأربعة وثلاثين ضربة ، وهم شمر بن ذى الجوشن بقتل على بن الحسين الأصغر زين العابدين وهو صغير مريض حتى صرفه عن ذلك حميد بن مسلم أحد أصحابه . وجاء عمر بن سعد فقال:

ـ" ألا لا يدخلن على هذه النسوة أحد ولا يقتل هذا الغلام احد ومن اخذ من متاعهم شيئا فليرده عليهم"

فوالله ما رد احد شيئا ، فقال له على بن الحسين:

ـ " جزيت خيرا فقد دفع الله عنى بمقالتك شرا "

وقتل من أصحاب الحسين اثنان وسبعون نفسا فدفنهم أهل الغاضرية من بنى أسد بعد ما قتلوا بيوم واحد وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون نفسا وروى عن محمد بن الحنفية أنه قال قتل مع الحسين سبعة عشر رجلا كلهم من أولاد فاطمة .

وعن الحسن البصرى أنه قال:

ـ " قتل مع الحسين ستة عشر رجلا كلهم من أهل بيته ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبه. وقيل قتل معه من ولده إخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلا فمن أولاد على رضى الله عنه جعفر والحسين والعباس ومحمد وعثمان وابو بكر ومن أولاد الحسين على الأكبر وعبد الله ومن أولاد أخيه الحسن ثلاثة عبد الله والقاسم وأبو بكر بنو الحسن بن على ابن أبى طالب ومن أولاد عبد الله بن جعفر اثنان عون ومحمد ومن أولاد عقيل جعفر وعبد الله وعبد الرحمن ومسلم قتل قبل ذلك كما قدمنا فهؤلاء أربعة لصلبه واثنان آخران هما عبد الله بن مسلم بن عقيل ومحمد بن أبى سعيد بن عقيل فكملوا ستة من ولد عقيل"

وحملت رأس الحسين من يومه إلى ابن زياد مع خولى بن يزيد الأصبحى فلما انتهى به إلى القصر وجده مغلقا فرجع به إلى منزله فوضعه تحت إجانة وقال لامرأته :

ـ" جئتك بعز الدهر..!"

فقالت :

ـ "وما هو..؟"

فقال :

ـ " برأس الحسين ..!"

فقالت :

ـ " جاء الناس بالـذهب والفضة وجئت أنت بـرأس ابن بنت رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لا يجمعنى وإياك فراش أبدا "

ثم نهضت عنه من الفراش ، واستدعى بامرأة له أخرى من يـنى أسد فنـامت عنـده قـالت المـرأة الثانية الاسـدية والله ما زلت أرى النـور ساطعا من تلك الاجانة إلى السماء وطيورا بيضاء ترفرف حولها.

فلما أصبح غدابه إلى ابن زياد فأحضـره بين يديه ويقـال إنه كـان معه رؤس بقية أصحابه وهو المشهور ومجموعها اثنان وسـبعون رأسا وذلك أنه ما قتل قتيل إلا احتزوا رأسه وحملوه إلى ابن زياد .

وتذكر بعض الروايات التي لها ميول شيعية أن ابن زياد قد أساء معاملة نسـاء الحسـين بعد قتلـه، أو في ترحيله لهن إلى الشـام، فالروايـات التاريخية تخبرنا أن أحسن شيء صنعه ابن زياد أنه أمر لهن بمـنزل في مكان معتزل، وأجرى عليهن رزقاً، وأمر لهن بنفقة وكسـوة ويقـول ابن تيمية في رده على بعض كذابي الشيعة: وأما ما ذكره من سبي نسـائه والـدوران بهن على البلـدان وحملهن على الجمـال بغـير أقتـاب، فهـذا كـذب، وباطل وماسـبى المسـلمون ــ ولله الحمد ــ هاشـمية قـط، ولا اسـتحلت أمة محمد صـلى الله عليه وسـلم هاشـمية قـط، ولكن أهل الهوى والجهل يكذبون كثيراً .

بل المـرجح أن ابن زيـاد بعد أن ذهبت عنه نشـوة النصـر، أحس فداحة خطئه وكان ذلك الشعور هو المسيطر على بعض أفراد أسرته القريبين منه، فقد كانت أمه تقـول لـه: ويلك مـاذا صـنعت، أو مـاذا ركبت وكـان أخوه عثمان بن زياد يقول: لوددت والله أنه ليس من بني زيـاد رجل إلا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامـة، وأن حسـيناً لم يقتـل: فلا ينكر عليه عبيد الله قوله.

موقف يزيد من قتل الحسين ومن ذريته

كتب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية يخبره بما حدث ويستشـيره في شـأن أبنـاء الحسـين ونسـائه فلما بلغ الخـبر يزيد بن معاوية بكى وقال:

ـ " كنت أرضى من طـاعتكم ــ أي أهل العـراق ــ بـدون قتل الحسـين، كذلك عاقبة البغي والعقوق لعن الله ابن مرجانة لقد وجده بعيد الـرحم منه، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين"

وفي رواية أنه قال:...

ـ " أما والله لو كنت صـاحبه، ثم لم أقـدر على دفع القتل عنه إلا ببعض عمري لأحببت أن أدفعه عنه"

فجاء رد يزيد على ابن زياد يأمره بإرسال الأسـارى إليـه، وبـادر ذكـوان أبو خالد فأعطـاهم عشـرة آلاف درهم فتجهـزوا بهـا، ومن هنا يعلم أن ابن زياد لم يحمل آل الحسين بشـكل مـؤلم أو أنه حملهم مغللين، كما

ورد في بعض الروايات، وقد مر معنا كيف أن ابن زياد قد أمر للأسارى بمنزل منعزل وأجرى عليهم الرزق والنفقة وكساهم.
وتذكر رواية عوانة أن محفز بن ثعلبة هو الذي قدم بأبناء الحسين على يزيد، ولما دخل أبناء الحسين على يزيد قالت: فاطمة بنت الحسين: يا يزيد: أبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا قال: بل حرائر كرام: أدخلي على بنات عمك تجديهن قد فعلن ما فعلت. قالت فاطمة: فدخلت إليهن فما وجدت فيهن سفيانية إلا ملتزمة تبكي .
ويتساءل الشيخ سعود الزمانان في كتابه (هل يجوز لعن يزيد بن معاوية) فيقول :
هل كان يزيد مسئولا عن قتل الحسين – رضي الله عنه - :
ويرد على هذه الشبهة بقوله :
ـ "الصواب أنه لم يكن ليزيد بن معاوية يد في قتل الحسين – رضي الله عنه فقد أرسل يزيد عبيد الله بن زياد ليمنع وصول الحسين إلى الكوفة ، ولم يأمر بقتله ، بل الحسين نَفْسُه كان حسن الظن بيزيد حتى قال دعوني أذهب إلى يزيد فأضع يدي في يده . والمحفوظ أن الآمر بقتاله المفضي إلى قتله – كرمه الله – إنما هو عبيد الله بن زياد والي العراق إذ ذاك "
قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله :
" إن يزيد بن معاوية لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق ، ولما بلغ يزيد قتل الحسين أظهر التوجع على ذلك وظهر البكاء في داره ، ولم يَسْبِ لهم حريماً بل أكرم أهل بيته وأجازهم حتى ردّهم إلى بلادهم ، أما الروايات التي في كتب الشيعة أنه أُهين نساء آل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنهن أُخذن إلى الشام مَسبيَّات ، وأُهِنّ هناك هذا كله كلام باطل ، بل كان بنو أمية يعظِّمون بني هاشم ، ولذلك لمّا تزوج الحجاج بن يوسف فاطمة بنت عبد الله بن جعفر لم يقبل عبد الملك بن مروان هذا الأمر ، وأمر الحجاج أن يعتزلها وأن يطلقها ، فهم كانوا يعظّمون بني هاشم ، بل لم تُسْبَ هاشميّة قط " ا.هـ
قال ابن كثير – رحمه الله - : " وليس كل ذلك الجيش كان راضياً بما وقع من قتله – أي قتل الحسين – بل ولا يزيد بن معاوية رضي بذلك والله أعلم ولا كرهه ، والذي يكاد يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يقتل لعفا عنه ، كما أوصاه أبوه ، وكما صرح هو به مخبراً عن نفسه بذلك ، وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك وشتمه فيما يظهر ويبدو "ا.هـ
وقال الغزالي – رحمه الله - : " فإن قيل هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أو آمر به ؟ قلنا : هذا لم يثبت أصلاً فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت ، فضلاً عن اللعنة ، لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق)

ومع ذلك فيأخذ بعض المؤرخين على يزيد في مقتل الحسين مأخذين :
الأول : أنه لم يصدر أمرا قاطعا لابن زياد بعدم قتل الحسين ، وإن كان فعل ذلك فيستحيل أن يعصي ابن زياد أوامره.
والثاني : أنه لم ينتصر للحسين بطريقة عملية كأن يعزل ابن زياد أو يوقع عليه أي نوع من العقاب ، واكتفى بالبر بأهل الحسين وهذا شئ هين بعد أن استراح من معارضة الحسين له إلى الأبد . ولا يشفع ليزيد في هذا المقام القول بأنه خشي ان يعزل ابن زياد لأن الكوفة كانت مصدرا للقلاقل في هذا الوقت، وهذا مما يعرض الأمة للتناحر والفرقة ، بل إن خصوم هذا الرأي يرون فيه سوء نية مبيتة تجاه الحسين رضي الله عنه.
هذا وقد حاولت بعض الروايات ذات النزعات والميول الشيعية أن تصور أبناء الحسين وبناته وكأنهن في مزاد علني، جعل أحد أهل الشام يطلب من يزيد أن يعطيه إحدى بنات الحسين فهذا من الكذب البين الذي لم يدعمه سند صحيح، ثم أنها مغايرة لما ثبت من إكرام يزيد لآل الحسين، ثم إن يزيد لم يستعرض النساء ويجعلهن عرضة للجمهور من أراد فليختار ما يشاء وأرسل يزيد إلى كل امرأةٍ من الهاشميات يسأل عن كل ما أخذ منهن، وكل امرأة تدعى شيئاً بالغاً ما بلغ إلا أضعفه لهن في العطية وكان يزيد لا يتغذى ولا يتعشى إلا إذا دعا علي بن الحسين ، وذُكر إن رأس الحسين أرسل إلى يزيد فهذا لم يثبت، بل إن رأس الحسين بقي عند عبيد الله في الكوفة.
وكان قتل الحسين يوم الجمعة لعشر خلت من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدى و ستين ، بموضع يقال له كربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة و هو ابن ست و خمسين سنة ،

قاتل الحسين

قتل رضي الله عنه يوم الجمعة لعشر خلت من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بموضع يقال له كربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع أيضاً بالطف قتله سنان بن أنس النخعي ويقال له أيضاً سنان بن أبي سنان النخعي وهو جد شريك القاضي.
ويقال بل الذي قتله رجل من مذحج وقيل بل قتله شمر بن ذي الجوشن وكان أبرص وأجهز عليه خولي بن يزيد الأصبحي من حمير جز رأسه وأتى به عبيد الله بن زياد.

مصير قتلة الحسين رضي الله عنه

1 ـ عبيد الله بن زياد.

وقضى الله عز وجل أن قتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة سبع وستين قتله إبراهيم بن الأشتر في الحرب في واقعة الخازر، ثم إن إبراهيم بن الأشتر دخل الموصل، واستعمل عليها وعلى نصيبين ودارا

وسنجار، وبعث برؤوس عبيد اللـه، والحصـين، وشـرحبيل بن ذي الكلاع إلى المختار، فأرسلها فنصبت بمكة.

2 ـ عمر بن سعد

قـال البخـاري في تاريخـه: ثنا موسى بن إسـماعيل، ثنا سـليمان بن إسماعيل، ثنا سليمان بن مسلم العجلي قـال: سـمعت أبي يقـول: أول من طعن في سـرادق الحسـين عمر بن سـعد، فـرأيت عمر وولديه قد ضربت أعناقهم، ثم علقوا على الخشب، ثم ألهب فيهم النار.
وقـال عمـران بن ميثم: أرسل المختـار إلى دار عمر بن سـعد من قتله وجاء برأسه، بعد أن كـان أمنـه، فقـال ابنه حفص لما رأى ذلـك: إنا لله وإنا إليه راجعون فقال المختار: اضرب عنقه، ثم قـال: عمر بالحسـين، وحفص بعلي بن الحسين، ولا سواء.
قلت: " هذا علي الأكبر ليس هو زين العابدين"

3 ـ شمر بن ذي الجوشن

كان هوالذي احتز رأس الحسين على الأشهر، كـان من أمـراء عبيد الله بن زياد، وقع به أصحاب المختار فبيتوه، فقاتل حتى قتل.
قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا أبو بشر هارون الكوفي، ثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسـحاق قـال: كـان شـمر بن ذي الجوشن يصـلي معنا الفجر، ثم يقعد حتى يصـبح، ثم يصـلي فيقـول: اللهم إنك شـريف تحب الشرف، وأنت تعلم أني شريف، فاغفر لي، فقلت: كيف يغفر الله لك، وقد خـرجت إلى ابن بنت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فـأعنت على قتله؟ قال: ويحك، فكيف نصنع، إن أمراءنا هؤلاء أمرونا بأمر، فلم نخالفهم، ولو خالفناهم كنا شراً من هذه الحمر.
جاء في كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي :
عن عبد الملك بن عميرالليـثي قـال: رأيت في هـذا القصر وأشـارإلى قصر الإمارة بالكوفة رأس الحسين بن علي بين يدي عبيد الله بن زيـاد على ترس ، ثم رأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختـار بن عبيد الله ، ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصـعب ، ثم رأيت رأس مصـعب بين يـدي عبد الملك ، فحـدثت بهـذا الحـديث عبد الملك فتطـير منه وفارق مكانه .

الخلاصة

الخلاصة من(1 حتى 55) كما جاءت في كتاب (سيرة عثمان بن عفان شخصيته وعصره) للدكتور / علي محمد الصـلابي، ومن (55 حتى آخره) جهد متواضع منا.

1- كـان عثمـان في أيـام الجاهلية من أفضل النـاس في قومـه؛ فهو عـريض الجـاه، ثـري، شـديد الحيـاء، عـذب الكلمـات، فكـان قومه

يحبونه أشد الحب ويوقرونه. لم يسجد في الجاهلية لصنم قط، ولم يقترف فاحشة قط، فلم يشرب الخمر في الجاهلية.

2- كان عثمان قد ناهز الرابعة والثلاثين من عمره حين دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام، ولم يعرف عنه تلكؤ أو تلعثم، بل كان سباقا أجاب على الفور دعوة الصديق، فكان بذلك من السابقين الأولين.

3- فرح المسلمون بإسلام عثمان فرحا شديدا، وتوثقت بينه وبينهم عرى المحبة وأخوة الإيمان، وأكرمه الله تعالى بالزواج من بنت رسول الله × رقية.

4- إن سنة الابتلاء ماضية في الأفراد والجماعات والشعوب والأمم والدول، وقد مضت هذه السنة في الصحابة الكرام, وتحملوا من البلاء ما تنوء به الرواسي الشامخات، وبذلوا أموالهم ودماءهم في سبيل الله، وبلغ بهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ، ولم يسلم أشراف المسلمين من هذا الابتلاء؛ فقد أوذي عثمان وعذب في سبيل الله تعالى على يدي عمه الحكم بن أبي العاص.

5- منذ اليوم الذي أسلم فيه عثمان لزم النبي × حيث كان، ولم يفارقه إلا للهجرة بإذنه أو في مهمة من المهام التي يندب لها، ولا يغني فيها أحد غناءه، شأنه في هذه الملازمة شأن الخلفاء الراشدين جميعا، كأنما هي خاصة من خواصهم رشحهم لها ما رشحهم بعد ذلك للخلافة متعاقبين.

6- كان ذو النورين على صلة وثيقة بالدعوة الكبرى من سنتها الأولى، فلم يفته من أخبار النبوة الخاصة والعامة في حياة النبي ×، ولم يفته شيء بعدها من أخبار الخلافة في حياة الشيخين، ولم يفته بعبارة أخرى شيء مما نسميه اليوم بأعمال التأسيس في الدولة الإسلامية.

7- كان المنهج التربوي الذي تربى عليه عثمان بن عفان، وكل الصحابة الكرام هو القرآن الكريم المنزل من عند رب العالمين.

8- إن الرافد القوي الذي أثر في شخصية عثمان بن عفان وصقل مواهبه، وفجر طاقته، وهذب نفسه هو مصاحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتتلمذه على يديه في مدرسة النبوة، ذلك أن عثمان لازم الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة بعد إسلامه، كما لازمه في المدينة بعد هجرته؛ فقد نظم عثمان نفسه، وحرص على التلمذة في حلقات مدرسة النبوة في فروع شتى من المعارف والعلوم على يدي معلم البشرية وهاديها، والذي أدبه ربه فأحسن تأديبه.

9- لم يكن عثمان بن عفان ممن تخلفوا عن بدر لتقاعس منه أو هروب ينشده، كما يزعم أصحاب الأهواء ممن طعن عليه تغيبه عن بدر، فهو لم يقصد مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الفضل الذي حازه أهل بدر في شهود بدر طاعة الرسول ومتابعته، وعثمان خرج فيمن خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, فرده صلى الله عليه وسلم للقيام على ابنته، فكان في أجل فرض لطاعته لرسول الله وتخليفه، وقد ضرب له بسهمه وأجره، فشاركهم في الغنيمة والفضل والأجر لطاعته الله ورسوله وانقياده

لهما.

10-في الحديبية ذكر المحب الطبري اختصاص عثمان بعدة أمور منهـا: اختصاصه بإقامة يد النبي الكريمة مقام يد عثمان لما بايع الصـحابة وعثمان غائب، واختصاصه بتبليغ رسالة رسـول الله صـلى الله عليه وسلم إلى من بمكة أسيرًا من المسلمين، وذكر شهادة النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان بموافقته في ترك الطـواف لما أرسـله في تلك الرسالة.

11-قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة عثمان بن عفـان في عبد الله بن أبي السرح في فتح مكة.

12-من حياة عثمـان الاجتماعية في المدينـة: زواجه من أم كلثـوم بنت رسول الله صـلى الله عليه وسـلم بعد وفـاة رقية بنت رسـول الله صلى الله عليه وسلم ووفاة عبد الله بن عثمان، ثم وفـاة أم كلثـوم رضي الله عنهما.

13-من مساهمته الاقتصادية في بناء الدولة: شراء بـئر رومة بعشـرين ألف درهم, وجعلها عثمان للغني والفقـير وابن السـبيل، وتوسـعة المسجد النبوي، وإنفاقه الكثير على جيش العسرة.

14-وردت أحاديث كثيرة في فضل عثمان ، منها ما ورد في فضله مع غيره، ومنها ما ورد في فضـله وحـده، وقد أخـبر رسـول الله صـلى الله عليه وسلم عن الفتنة التي يقتل فيها عثمان.

15-كان عثمان من الصـحابة وأهل الشـورى الـذين يؤخذ بـرأيهم في أمهات المسائل في عهد الصديق، فهو ثاني اثـنين في الحظـوة عند الصــديق؛ فعمر بن الخطــاب للحــزم والشــدائد، وعثمــان للرفق والأناة، وكان عثمان أمينها العام، وناموسها الأعظم، وكاتبها الأكبر.

16-كان عثمان ذا مكانة عند عمر، فكانوا إذا أرادوا أن يسألوا عمر عن شيء رموه بعثمان وبعبد الرحمن بن عـوف، وكـان عثمـان يسـمى الرديف، والرديف بلسان العرب هو الذي يكون بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيس، وكانوا إذا لم يقدر هـذان على عمل شيء ثلثوا بالعباس.

17-من أفضل أعمــال عبد الــرحمن بن عــوف عزله نفسه من الأمر وقت الشــورى، واختيــاره للأمة من أشــار به أهل الحل والعقــد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جميع الأمة على عثمان.

18-هناك أباطيل شيعية وأكاذيب رافضـية دست في التـاريخ الإسـلامي في قصة الشورى، وتولية عثمان الخلافة، وقد تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسـيع نشـرها وتـأثر بها الكثـير من المـؤرخين والمفكـرين والمحــدثين، ولم يمحــوا الروايــات ويحققــوا في ســندها ومتنها فانتشرت بين المسلمين.

19-جـاءت الأدلة الكثـيرة الـتي تشـير وتنبه إلى أحقية خلافة عثمـان بالخلافة، ولا نزاع عند المتمسـكين بالكتـاب والسـنة في ذلـك, وقد أجمع أصـحاب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وكـذا من جـاء بعدهم ممن سلك سبيلهم من أهل السنة والجماعة على أن عثمان بن عفـان أحق النـاس بخلافة النبـوة بعد عمر بن الخطـاب رضي

الله عنهما.

20-عندما بويع عثمان بالخلافة قام في الناس خطيبا وأعلن عن نهجه السياسي، مبينا أنه سيتقيد بالكتاب والسنة وسيرة الشيخين، كما أنه أشار في خطبته إلى أنه سيسوس الناس بالحلم والحكمة إلا فيما استوجبوه من الحدود، وحذرهم من الركون إلى الدنيا والافتتان بحطامها خوفا من التنافس والتباغض والتحاسد بينهم، مما يفضي بالأمة إلى الفرقة والخلاف.

21-إن شخصية ذي النورين تعتبر شخصية قيادية، وقد اتصف بصفات القائد الرباني، من العلم والقدرة على التوجيه والتعليم، والحلم، والسماحة, واللين, والعفو، والتواضع، والحياء، والعفة، والكرم، والشجاعة، والحزم، والصبر، والعدل، والعبادة، والخوف، والبكاء، والمحاسبة، والزهد، والشكر، وتفقد أحوال الناس، وتحديد الاختصاصات والاستفادة من أهل الكفاءات.

22-إن معرفة صفات الخلفاء الراشدين، ومحاولة الاقتداء بهم خطوة صحيحة لمعرفة صفات القادة الربانيين، الذين يستطيعون أن يقودوا الأمة نحو أهدافها المرسومة بخطوات ثابتة.

23-قامت سياسة عثمان المالية على الأسس العامة التالية: تطبيق سياسة مالية عامة إسلامية، عدم إخلال الجباية بالرعاية، أخذ ما على المسلمين بالحق لبيت مال المسلمين، وأخذ ما على أهل الذمة لبيت مال المسلمين بالحق، وإعطائهم ما لهم وعدم ظلمهم، وتخلق عمال الخراج بالأمانة والوفاء، وتفادي أي انحرافات مالية يسفر عنها تكامل النعم لدى العامة.

24-كانت النفقات في عهد عثمان تصرف على: صرف مرتبات الولاة، ومرتبات الجند، وعلى أسطول بحري، وتحويل الساحل من الشعيبة إلى جدة، وحفر الآبار, والإنفاق على المؤذنين، وغيرها من الأمور.

25-اتهم عثمان من قبل الغوغاء والخوارج بإسرافه في بيت المال وإعطائه أكثره لأقاربه، وقد ساند هذا الاتهام حملة دعائية باطلة قادها السبئيون وتلقفها الشيعة الروافض إلى يومنا هذا، وتسربت في كتب التاريخ، وتعامل المفكرون والمؤرخون على كونها حقائق، وهي باطلة لم تثبت لأنها مختلقة.

26-يعتبر عهد ذي النورين امتدادا للعهد الراشدي الذي تتجلى أهميته بصلته بالعهد النبوي وقربه منه، فكان العهد الراشدي عامة والجانب القضائي فيه خاصة امتدادا للقضاء في العهد النبوي، مع المحافظة الكاملة والتامة على جميع ما ثبت في العهد النبوي، وتطبيقه بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه.

27-كانت خطة عثمان في الفتوحات تتسم بالحسم والعزم، وتمثلت في الآتي: إخضاع المتمردين من الفرس والروم، وإعادة سلطان الإسلام إلى هذه البلاد، واستمرار الجهاد والفتوحات فيما وراء هذه البلاد لقطع المدد عنهم، وإقامة قواعد ثابتة يرابط فيها المسلمون لحماية البلاد الإسلامية، وإنشاء قوة بحرية عسكرية لافتقار الجيش الإسلامي إلى ذلك.

28-كانت معسكرات الإسلام ومسالحه في عهد عثمان هي عواصم

أقطاره الكبرى، فمعسكر العراق في الكوفة والبصرة، ومعسكر الشام في دمشق بعد أن خلص الشام كله لمعاوية بن أبي سفيان، ومعسكر مصر وكان مركزه الفسطاط, وكانت هذه المعسكرات تقوم بحماية دولة الإسلام ومواصلة الفتوحات ونشر الإسلام.

29-من أشهر قادة الفتوحات في عهد عثمان : الأحنف بن قيس، وسليمان بن ربيعة، وعبد الرحمن بن ربيعة، وحبيب بن مسلمة.

30-كانت معركة ذات الصواري من مظاهر تفوق العقيدة الصحيحة الصلبة على الخبرة العسكرية والتفوق في العَدَد والعُدَد، فلقد كان الروم هم أهل البحر منذ القدم، وقد مروا بتجارب طويلة في الحروب البحرية، بينما كان المسلمون حديثي عهد بركوب البحر والقتال البحري.

31-من أهم الدروس والعبر والفوائد في فتوحات عثمان بن عفان تحقق وعد الله بالنصر والتمكين للمؤمنين، التطور في فنون الحرب والسياسة، ركوب المسلمين البحر، جمع المعلومات عن الأعداء، الحرص على وحدة الكلمة في مواجهة العدو.

32-يظهر من قصة جمع القرآن في عهد عثمان مدى فهم الصحابة -رضي الله عنهم- لآيات النهي عن الاختلاف؛ حيث إن الله نهى عن الاختلاف وحذر منه، فلعمق فهمهم لهذه الآيات ارتعد حذيفة عندما سمع بوادر الاختلاف في قراءة القرآن، فرحل فورا إلى المدينة النبوية, وأخبر عثمان بما رأى وبما سمع، وفي مدة قصيرة حسم عثمان الأمر وأغلق باب الخلاف.

33-إن الأخذ بالأسباب نحو تأليف المسلمين وتوحيد صفهم من أعظم الجهاد، وهذه الخطوة مهمة في إعزاز المسلمين وإقامة دولتهم وتحكيم شرع ربهم، وهذا من فقه الخلفاء الراشدين، ويتجلى في أبهى صورة في جمع عثمان للأمة على مصحف واحد.

34-كانت أقاليم الدولة الإسلامية في عهد عثمان تضم كلاً من: مكة، والمدينة، والبحرين, واليمامة، واليمن، وحضرموت، والشام، وأرمينية، ومصر، والبصرة والكوفة.

35-اتخذ عثمان أساليب متنوعة لمراقبة عماله والاطلاع على أخبارهم، منها: حضوره لموسم الحج، سؤال القادمين من الأمصار والولايات، إرسال المفتشين إلى الولايات، استقدام الولاة وسؤالهم، وغير ذلك من الأساليب.

36-من حقوق الولاة في العهد الراشدي: الطاعة في غير معصية الله، بذل النصيحة للولاة، إيصال الأخبار الصحيحة إليهم، احترامهم بعد عزلهم، وإعطاؤهم مرتباتهم.

37-من واجبات الولاة في العهد الراشدي: إقامة أمور الدين، تأمين الناس في بلادهم، الجهاد في سبيل الله، بذل الجهد في تأمين الأرزاق للناس، تعيين العمال والموظفين، رعاية أهل الذمة، مشاورة أهل الرأي في ولايتهم، النظر في حاجة الولاية العمرانية، مراعاة الأحوال الاجتماعية لسكان الولاية.

38-إن عثمان خليفة راشد يقتدى به، وأفعاله تشكل سوابق دستورية في هذه الأمة، فكما أن عمر سن لمن بعده التحرج عن تقريب

الأقربين, فكان عثمان سن لمن بعده تقريب الأقربين إذا كـانوا في كفـاءتهم الإداريـة، وكل ما أنكر على عثمـان لا يخـرج من دائـرة المباح.

39-إن الـولاة الـذين ولاهم عثمـان من أقاربه قد أثبتـوا الكفاية والمقدرة في إدارة شئون ولايـاتهم، وفتح الله على أيـديهم الكثـير من البلدان, وساروا في الرعية سيرة العدل والإحسـان، ومنهم من تقلد مهام الولاية في عهد الصديق والفاروق رضي الله عنهما.

40-إن الذي يرجع إلى الصحيح المحض من وقائع التاريخ، ويتتبع سـيرة الرجال الذين استعان بهم أمير المؤمنين عثمان، وما كان لجهـادهم من جميل الأثر في تـاريخ الـدعوة الإسـلامية، بل ما كـان لحسن إدارتهم من عظيم النتائج في هناء الأمة وسعادتها، فإنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من الجهر بالإعجـاب والفخر كلما أمعن في دراسة ذلك الدور من أدوار التاريخ الإسلامي.

41-إن عثمـان لم يسـلم من كثـير من البـاحثين في كتابـاتهم غـير المنصفة وغير المحققة عن عهد عثمان، فقد تورط الكثير منهم في الروايات الضعيفة والرافضـية، وبنـوا أحكاما باطلة وجـائرة في حق عثمـان، مثل طه حسـين في كتابه (الفتنة الكـبرى)، وراضي عبد الـرحيم في كتابه (النظم الإسـلامية)، ومحمد الـريس في كتابه (النظريات السياسية)، وعلي حسين الخربوطلي في كتابه (الإسلام والخلافـة)، وأبي الأعلى المـودودي في كتابه (الملك والخلافـة)، وسيد قطب في كتابه (العدالة الاجتماعية) وغيرهم، لقد كان عثمان بحق الخليفة المظلـوم الـذي افـترى عليه خصـومه الأولـون ولم ينصفه المتأخرون.

42-إن الحقيقة التاريخية تقـول: إن عثمـان لم ينـفِ أبا ذر، إنما استأذن فأذن له، ولكن أعداء عثمان كانوا يشيعون عليه بأنه نفاه.

43-إن أبا ذر لم يتأثر لا من قريب ولا من بعيد بآراء عبد الله بن سـبأ اليهودي، وقد أقام بالربذة حتى توفي ولم يحضر شـيئا مما وقع من الفتن.

44-من أسباب فتنة مقتل عثمان أمور عدة، منهـا: الرخـاء وأثـره في المجتمع، طبيعة التحول الاجتماعي في عهد عثمان ، مجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهمـا، وخـروج كبـار الصـحابة من المدينـة، العصـبية الجاهليـة، توقف الفتوحـات، الـورع الجاهـل، طمـوح الطـامحين، تـآمر الحاقـدين، التـدبير المحكم لإثـارة المآخذ ضد عثمان، استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للنـاس، دور عبد الله بن سبأ في الفتنة.

45-كانت بداية اشتعال الفتنة بالكوفة، وقد تم نفي رجالها إلى الشـام, ثم استقر أمرهم عند عبد الـرحمن بن خالد بن الوليد بـالجزيرة، ثم رجعوا إلى الكوفة بعد مكاتبة يزيد بن قيس لهم بالمجيء للكوفة.

46-كـانت سياسة عثمـان في التعامل مع الفتنة قائمة على الحلم والتأني والعـدل، وقد اتخذ عـدة أسـاليب لمواجهتهـا, منهـا: إرسـال لجـان تفـتيش وتحقيـق، كتب إلى أهل الأمصـار كتابا شـاملا بمثابة إعلان عـام لكل المسـلمين، مشـورة عثمان لـولاة الأمصـار، إقامة

الحجة على المتمردين، الاستجابة لبعض مطالبهم.

47-إن المتأمل في هدي عثمان في تعامله مع الفتنة التي وقعت في عهده يمكنه أن يستنبط بعض الضوابط التي تعين المسلم على مواجهة الفتن، ومن هذه الضوابط: التثبت, لزوم العدل والإنصاف، الحلم والأناة، الحرص على ما ينفع ونبذ ما يفرق بين المسلمين، لزوم الصمت والحذر من كثرة الكلام، استشارة العلماء الربانيين، الاسترشاد بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتن.

48-يظهر للباحثين أن هناك أسبابا دعت عثمان إلى منع الصحابة من القتال، وهي: العمل بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم التي سارَّه بها يوم الدار، وأنها عَهْدٌ عَهِد به إليه، وأنه صابر نفسه عليه، كره أن يكون أول من خلف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في أمته بسفك دماء المسلمين، علما بأن البغاة لا يريدون غيره فكره أن يتوقى بالمؤمنين، وأحب أن يقيهم بنفسه، علمه بأن هذه الفتنة فيها قتله، وذلك فيما أخبره بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تبشيره إياه بالجنة على بلوى تصيبه، وأنه سيقتل مصطبرا بالحق معطيه في فتنة، العمل بمشورة ابن سلام له إذ قال له: الكف الكف، فإنه أبلغ لك في الحجة.

49-إن قاتل عثمان رجل مصري، لم تفصح الروايات عن اسمه، وأما ما يتعلق بتهمة محمد بن أبي بكر بقتل عثمان بمشاقصه فهذا باطل والروايات بذلك ضعيفة، كما أن متونها شاذة لمخالفتها للرواية الصحيحة التي تبين أن القاتل هو رجل مصري.

50-إن الصحابة جميعا -رضي الله عنهم- أبرياء من دم عثمان ، وقد صحت الأخبار وأكدت حوادث التاريخ براءة الصحابة من التحريض على عثمان أو المشاركة في الفتنة ضده، كما أوردنا ذلك بالروايات الصحيحة.

51-إن عثمان كان متيقظا ولم تنطل عليه المؤامرة ولا أهدافها، بل استطاع أن يخترق صفوف المتمردين وكشف مخططهم كاملا، وواجه الأحداث بشجاعة فائقة، وكره أن يكون أول من يسل السيف في المسلمين، وآثر أن يفدي الأمة بنفسه, وهذه قمة التفدية والإيثار.

52-كانت فتنة مقتل عثمان سببا في حدوث كثير من الفتن الأخرى، وألقت بظلالها على أحداث الفتن التي تليها، فتغيرت قلوب الناس، وظهر الكذب وبدأ الخط البياني للانحراف عن الإسلام في عقيدته وشريعته.

53-إن الظلم والاعتداء على الآخرين بغير حق من أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: +وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا" [الكهف: 59]. وإن المتتبع لأحوال أولئك الخارجين على عثمان المعتدين عليه يجد أن الله تعالى لم يمهلهم بل أذلهم وأخزاهم وانتقم منهم، فلم ينجُ منهم أحد.

54-كان وقع المصيبة على نفوس المسلمين كبيرًا، فذهلت عقولهم وجللهم الحزن، وفاضت مآقيهم بالدموع، ولهجت ألسنتهم بالثناء على عثمان والترحم عليه، وقام حسان بن ثابت يرثي أمير المؤمنين

ويكثر التفجع لمقتلـه، ويهجو قاتليه بقصـائد مبكية حزينـة، وحفظها لنا التاريخ ولم تهملها الليالي، ولم تفصـلها عنا حـواجز الـزمن ولا أسـوار القرون.

55ـ لم يكن معاوية ينـــافس علي رضي الله عنهما على الخلافة ، بل كان الخلاف ينصب على رغبة معاوية بالثأرمن قتلة عثمـان أولاً وبعـدها يبـايع عليا رضي الله عنـه، بينما علي كـرم الله وجهه كـان يـري تأجيل القصـاص من القتلة حـتى تسـتتب أمورالدولة بعد مقتل عثمـان رضي الله عنه.

56 ـ كان معاوية في هـذا مجتهـدا ، لكنه كـان مخطئا في اجتهـاده كما رأى الكثير من المحققين.وطبقا للشرع كـان عليه أن يـدخل في طاعة أميرالمؤمنين أولا ويبايعه ، ثم يطالب بالدم بعد ذلك.

57 ـ تمت البيعة لعلي رضي الله عنه بالإجماع .

58 ـ ماقيل عن نقض البيعة لعلي من قبل الزبـــير وطلحة رضي الله عن الجميع كذب وبهتنان.

59 ـ كـان خـروج السـيدة عائشة رضي الله عنها برفقة طلحة والزبـير للإصلاح وليس لقتال علي رضي الله عنهم جميعا.

60 ـ لم يكن مروان بن الحكم صاحب السهم الذي أصاب طلحة وكـان السبب في وفاته.

61ـ ما قيل على لسان الصحابة للسيدة عائشة رضي الله عنهاعند ماء الحوأب ليثنوها عن العودة رواية غير صحيحة.

62 ـ القتال الـذي نشأ بين معسـكر علي ومعسـكر طلحة والزبيرـ بعد اتفـاق الجميع على الصـلح ـ نشأ بفعل السـبئيين الـذين أشـعلوا النـار والفتنة بين المعسـكرين بليل ، حين خشـوا علىأنفسـهم من القصـاص بصفتهم قتلة عثمان رضي الله عنه.

63ـ الإمـام علي أكـرم السـيدة عائشة بعد المعركة واسـتغفر كل منها للآخر ، وسارت راضية مرضيةإلى مكة .

64ـ كان التحكيم بعد صـفين بخصـوص الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في اجتهاد كل منهما في موضوع المطالبة بدم عثمان رضي الله عنه ، ولا يمت من قريب ولا من بعيد بصراع على الخلافة.

65 ـ فشل الحكمين في الوصول إلى قرار فردوا الأمر للأمة وأصحاب العقد والحل.

66 ـ رواية التحكيم الشـائعة والـتي تقـول أن عمـرو بن العـاص خـدع أباموسي الأشعري وخلع عليا وثبت معاوية رواية واهية ولا أصل لها.

67 ـ حكاية اسـتجداء عمـرو لعلي حين انكشـفت عورته في المعركة رواية مدسوسة .

68ـ قتل عمارعلى يد جيش معاوية يؤكد أن على كـرم الله وجهه كـان على الحق وأن معاوية كان من بغى عليه طبقا لحديث النبي صـلى الله

عليه وسلم . ويؤكد ذلك أيضا وجود أويس القرني الصحابي الجليل في جيش علي .

69 ـ استشهد الإمام علي على يد ابن ملجم بعد أن يأس من جنده الذين دأبوا على عصيانه ، وكان يتمنى الموت ويقول ما يحبس أشقاها أن يخضبها من أعلاها؟!..وهو ما بشره به الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم بأنه سيقتل بضربة على رأسه ويغطي الدم لحيته ، وهذا ما حدث بالضبط.

70 ـ يعد الحسن بن علي رضي الله عنه من الخلفاء الراشدين بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

71 ـ رواية تآمر معاوية ويزيد لدس السم للحسن عن طريق زوجته جعدة بنت الأشعث رواية غير صحيحة.

72ـ كان طلب معاوية رضي الله عنه البيعة لابنه يزيد عن اجتهاد منه ، فله أجران إن كان قد أصاب في اجتهاده ،وأجر إن أخطأ.

73ـ لايجوز لعن يزيد ، رغم الاختلاف حول شخصه ، وبيعته صحيحة .

74ـ قرر الحسين رضي الله عنه الخروج إلى الكوفة لأن كان يرى أن بيعة يزيد لم تكن طبقا لمبدأ الشورى الإسلامي ، وخرج تلبية لنداءات ومراسلات عديدة من أهلها. وكان في ذلك مجتهدا.

75ـ بعث الحسين رضي الله عنه ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة ليستكشف أمر أهلها قبل أن يقرر الخروج .

76ـ أرسل مسلم بن عقيل للحسين رسالة يدعوه فيها للخروج وينبأه بأن قلوب أهل الكوفة معه، وذلك قبل أن يكتشف ابن زياد أمره ويقتله.

77ـ خرج الحسين رضي الله عنه للكوفة وهو لايدري بما حدث لمسلم بن عقيل ، ولايعلم بنكوث أهل الكوفة لعهودهم معه ومع ابن عمه .

78ـ أمر يزيد بن معاوية واليه ابن زياد بأن يمنع الحسين من العراق ولم يأمره بقتله .

79ـ أرسل ابن زياد جيشا بقيادة عمر بن سعد بن أبي الوقاص لقتال الحسين ، وحين حوصر الحسين طلب إحدى ثلاث من عمر بن سعد ، إما أن يتركه يعود من حيث أتى ، أو يتركه يضع يده في يد يزيد ، أو يدعه ليقاتل أعداء الإسلام في الثغور ، أرسل عمر بذلك إلى ابن زياد لكنه أبى إلا النزول على رأيه أولا ، فرفض الحسين.

80 ـ قتل من أصحاب الحسين في كربلاء اثنان وسبعون نفسا ، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون نفسا ، و قتل مع الحسين سبعة عشر رجلا كلهم من أولاد فاطمة

81ـ قتلة الحسين الحقيقيون هم ابن زياد ، وشمربن الجوشن ، وعمربن سعد.

82ـ قام المختار بن عبيد الله الثقفي بقتل كل من ابن زياد ، وشمر، وعمر بن سعد ، أخذا بثأر الحسين رضي الله عنه.

وختاماً

فإن حب آل البيت ، واحترام صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض على كل مسلم ومسلمة وأمر واجب بالكتاب والسنة، ولقد ثبت بالدليل براءة الأصحاب الأجلاء طلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص من الطلب بدم الإمام الحبيب علي بن أبي طالب وثبتت براءة معاوية رضي الله عنه من إشاعة دس السم للإمام الحسن رضي الله عنه .

وثبت أيضا بالدليل أن أياً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرض وبالتالي لم يشارك في قتل الخليفة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عن الجميع.

هم جميعاأحبابنا، ونتمنى صحبتهم يوم القيامة، ومخالطتهم في الفردوس الأعلى،ونتمنى أن نغشى معهم سوق الجنة، فقد ذكر الإمام الترمذي هذا الحديث :

(عن سعيد ابن المسيب أنه لقي أبا هريرة فقال أبوهريرة : أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة . فقال سعيد :أو فيها سوق ؟ قال نعم،أخبرني رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله تبارك وتعالي فيبرز لهم عرشه ،ويتبدي لهم في روضة من رياض الجنة فيوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دني علي كثبان المسك والكافور مايرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا، قال أبو هريرة:وهل نري ربنا عز وجل ؟ قال: نعم ، قال هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا لا ، قال فكذلك لاتمارون في رؤية ربكم ولايبقي في ذلك المجلس أحدإلا حاضره الله محاضرة حتي يقول يافلان ابن فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذافيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول بلي أفلم تغفر لي،فيقول بلي فبمغفرتي بلغت منزلتك هذه ، قال فبينما هم علي ذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط ، قال ثم يقول ربنا تبارك وتعالي قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم ، قال فيأتون سوقا قد حفت بها الملائكة فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الأذان ولم يخطر علي القلوب، قال فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه ولا يشتري وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضا، قال فيقبل ذي البزة المرتفعة فيلقي من هو دونه وما فيهم دني فيروعه ما يري عليه من اللباس والهيئة فما ينقضي آخر حديثه حتي يتمثل عليه أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحدأن يحزن فيها قال ثم ننصرف إلي منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا بحبنا لقد جئت وأن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه ، فنقول أنا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا)

وقبل أن أطوي هذا الملف أذكر للقراء الأعزاء حديثا دار بيني وبين أقرب الأصدقاء إلى قلبي ونفسي حين انتهى من قراءة هذا الكتاب كما طلبت منه أخذا لرأيه فيما كتب.

بعد صمت فاجأني بسؤال يقول :

ـ إن كان الله قد أباح قتال البغاة من المسلمين بنص القرآن الكريم ، أفلا يبيح الله لنا أن نعتب عليهم..؟

قلت : بلى

قال : والعتاب لا يكون إلا بين الأحبة ..!

وافقته، واستزدته ليخرج ما عنده، فأضاف:

ـ من المعروف لدى الجميع أن معاوية رضي الله عنه اشتهر بالعلم والحلم ، وأنا أعتب عليه في هذا المقام في نقاط ثلاث وأتساءل : لماذا تخلى معاوية رضي الله عنه عن علمه وحلمه أولا في موضوع البيعة للإمام..؟

تخلى عن علمه بطبيعة الفارس علي بن أبي طالب صاحب السبق في الإسلام والذي لايخشى في الله لومة لائم ،ولايمكن أن يداهن بشئ على حساب دينه ، لاسيما وحياته في ظل الصديق والفاروق رضي الله عنهما وحتىفي ظل عثمان رضي الله عنه لايمكن أن يشتم منها رائحة حب الدنيا والملك . وغاب علمه أيضا عن أن المطالبة بالدم تتطلب الدخول في طاعة الإمام أولا ثم تجيئ المطالبة بالثأر بعد ذلك ..!

وتخلى عن حلمه بأن تعجل أخذ القصاص ولم ينتظر ليبطل حجج الإمام علي ويشهد عليه كل الأمة وأصحاب الحل والعقد إن هو تقاعس ــ وهنا يمكن خلعه شرعا ـ وإن لم يتقاعس فقد تجنبت الأمة تلك الفرقة وما نجم عنها من معارك ودمار..!

ولقد أورد العقاد في عبقرية الإمام قول علي رضي الله عنه مبررا موقفه بالمنطق:

ـ كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم..؟ هاهم قد ثارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا فهلا ترون موضعا لقدرة على شئ مما تريدون؟

وأعتب عليه ثانيا، في موضوع أخذ البيعة ليزيد، لماذا لم يحاول معاوية رضي الله أن يجمع البيعة للحسين رضي الله عنهما في حياته وهو الخليفة المطاع ، ومما لاشك فيه فإن الحسين رضي الله عنه لايقل كفاءة في كل الوجوه عن يزيد ، بل يتفوق عليه في النسب الشريف وفي شخصيته التي لا غبار ولا خلاف عليها كما هو الحال مع يزيد، وكان يمكنه أيضا جمع الخيرين بأخذ البيعة للحسين ، علىأن يكون الأمر من بعده ليزيد..؟!

وتذكر كتب التاريخ موقفا آخرا أظن أن معاوية رضي الله عنه قد تخلى فيه عن علمه وحلمه وهو ثالث عتاب لي عليه، وأعني به موقفه من حجر بن عدي الذي يعد من من كبار التابعين ،بل قيل إنه كان صحابيا، وكان من السادة العُبّاد الصالحين، وهو أحد أمراء علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صِفِّين، ثم بايع للحسن، وكان من المعارضين لصُلحِه مع معاوية، ثم بايع لمعاوية، وبقي في طاعته عشر سنوات.

وكان شديدا في الإنكـار على الـولاة علانيـة، قـولا وفعلا، ورُوي عنه أنه كان يفعل ذلك مع المغيرة بن شُعبة، الذي كان يحلُمُ ويَسكت عنــه، ثم توفي المغيرة، وتولى الكوفة بعدَه زياد (وقد كـان مثل حُجر من أمـراء علي)، وبقي حُجْر على طريقته، فحذَّره زياد، فلم يتغيَّر الوضع، واجتمع بعض الشيعة على حُجر، فتكلَّم زياد يوما على المنبر فقال: إن من حق أمير المؤمنين كـذا، مـرارا، فأخذ حُجر كفّـاً من حَصـا، فحَصَـبه، وقـال: كَذَبتَ، كذبتَ؛ عليكَ لعنةُ الله، فانحدر زياد من المنــبر وصـلّى، ثم دخل دارَه، واستدعى حُجرا فأبى، فلم يزل به حـتى قَـدِم، وأرسـله مقيَّدا مع جماعة منِ أصحابه إلى معاوية، وأتْبَعَه زيادٍ برسائل سبقته إلى معاوية: إنْ كان لكَ في الكوفة حاجةً فاكفِني حُجْراً.

وجعل يَرْفَعُ الكُتُبَ إلى معاوية حتى ألهَفَه عليــه، فلما وصل حُجر قـال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، قـال معاوية مغضـبا: أوَ أمـيرُ المؤمـنين أنا؟ قال: نعم، ثلاثا.

وكان معاويةُ قد استشار وجـوهَ أصـحابه في القـادمين، فأشـار بعضـهم بالقتل، وسكت بعضهم مصرِّحا بطاعته لما سيحكم به معاويـة، ثم كـان حُكمُه فيهم أن قتل بعضهم؛ وفيهم حُجر، واستبقى بعضهم، ولم يخالِفْه مَن حوله.

وقـال حُجر قبل أن تُضـرب عنقـه: دعـوني أصـلي ركعـتين، ثم قـال: لا تحلوا قيودي، ولا تغسـلوا عـني الـدم، فـإني أجتمع أنا ومعاوية إذا على المحجة.

وكان مقتله بمرج عَذْراء (واسمها اليوم عَدرا) قُرب دمشق سنة إحــدى وخمسين.

ولقد جاء في كتاب البداية والنهاية عن يزيد عن عبد الله بن رزين الغافقي قال سمعت علي بن أبي طالب يقول: يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء مثلهم كمثل أصحاب الأخدود فقتل حجر بن عدي وأصحابه.

وقال يعقوب بن سفيان حدثنا حرملة ثنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي الأسود قال دخل معاوية على عائشة فقالت:

ـ" ما حملك على قتل أهل عذراء حجرا وأصحابه "

فقال:

ـ" يا أم المؤمنين إني رأيت قتلهم إصلاحا للأمة وأن بقاءهم فسادا"

فقالت :

ـ"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم وأهل السماء "

وقال يعقوب بن سفيان ثنا عمرو بن عاصم ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن مروان بن الحكم قال:

ـ" دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت : يا معاوية قتلت حجرا وأصحابه وفعلت الذي فعلت أما خشيت أن أخبأ لك رجلا فيقتلك .
فقال:
ـ" لا، إني في بيت أمان. سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم – يقول: الايمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن. يا أم المؤمنين كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك ."
قالت:
ـ" صالح "
قال:
ـ" فدعيني وحجرا حتى نلتقي عند ربنا عز وجل"
فنحن هنا أمـام رجل صـالح يقـول قولة حـق، ويقر بالخلافة لمعاويـة، ويـدافع عن إمـام غـادر دنيانا شـهيدا وقد قالها ثلاث مـرات حين دخل مسلما على أميرالمؤمنين ، وفي إحدى الروايـات نعلم بأنه حين جـاءت الشرطة للقبض عليه حاول أفراد قبيلته منع ذلك لكنه استسلم للأغلال وقـال السـمع والطاعة للأمـير، ومنع قتـالا كـان يمكن أن ينشب في حينـه.فهل مثل هـذا يضـمر الخـروج على واليه وخليفته ؟! .. ثم ألا يسـتحق هـذا الشيـخ الـذي يتقبل خـبر قتله بهـدوء ، وكل ما يطلبه في دنياه في تلك اللحظة بالذات هوأن يصلي ركعـتين لله ،ألا يسـتحق هـذا الشـيخ من معاوية لحظة تـأني وإعمـال الفكر والتمسك بأهـداب الحلم والرحمة والشفقة ويدعه كما كان يـدع الآخـرين الـذين تحمل لنا مئـات الكتب كيف كان النـاس يشـتمون معاوية في مجلسه وأمـام الآخـرين ، لكنه مع ذلك كـان يلـوذ بـالحلم ويعفـوعنهم بل ويجـزل لبعضـهم العطاء..؟!
ولا أعتقد أن رأي من كـان في مجلس معاوية رضى الله عنه في تلك اللحظة يعد مـبررا يمكن للخليفة أن يسـتند إليه لاستصـدار هـذا الأمر بالقتل !.. فصـمت بعضـهم كـان من المفـترض أن يفسـره من اتصف بالحلم والعلم دوما بأنه رفض للقتل..!
طال صمتي حين سألني عن رأيي في عتابه، وحين ألح قلت له:
ـ في هذا المقام أتوقف عند الحب، ولا أتعداه إلى العتاب.
رحم الله صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجزاهم عنا خير الجزاء ، وغفر لهم، وللتابعين ولتابع التابعين ولكل المسلمين إلى يوم الدين ، ورزقنا بعفوه وكرمه ورحمته جنات تجري من تحتها الأنهارمصداقا لقوله تعالى:
"والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم" التوبة(100)

القاهرة في
23مارس2007

المراجع

1 ـ القرآن الكريم
2 ـ سيرة ابن هشام
3 ـ حلية الأولياء للإمام الحافظ أبي نعيم
4 ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي
5 ـ كنز العمال للمتقي الهندي
6 ـ الدولةالأموية للدكتور الصلابي
7 ـ رد البهتان عن معاوية بن أبي سفيان
8ـ هل يجوز لعن معاوية بن أبي سفيان
9 ـ عثمان بن عفان رضي الله عنه ، شخصيته وعصره للدكتور الصلابي
10 ـ استشهاد الحسين للدكتور علي محمد الصلابي
11 ـ استشهاد الحسين للشيخ عبد الرحمن السحيم
12 ـ سيرةأمير المؤمنين علي بن أبي طالب للدكتور على محمدالصلابي
13 ـ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني
14 ـ أسدالغابة لابن الأثير
15 ـ الكامل في التاريخ
16 ـ خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن بن علي للدكتور الصلابي
17 ـ العواصم من القواصم القاضي أبي بكر العربي
18ـ البداية والنهاية لابن كثير
19 ـ عثمان بن عفان لمحمد رضا
20 ـ دماء على قميص عثمان بن عفان للدكتور إبراهيم عبد الفتاح المتناوي
21 ـ سيرة الإمام الشهيد أمير المؤمنين للشيخ عبد الرحمن السحيم
22 ـ طعنة في قلب علي بن أبي طالب للدكتور إبراهيم عبد الفتاح المتناوي
23 ـ الموقف مما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين / ناجي الطنطاوي
24 ـ من فضائل وأخبار معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه للأستاذ محمد زياد بن عمرالتكلة
25 ـ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لابن تيمية جمع وتحقيق محمد مال الله
26 ـ دم الحسين لإبراهيم عيسى
27 ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري
28 ـ تاريخ الإسلام للذهبي

29 ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي
30 ـ المنتظم في التاريخ لابن الجوزي
31 ـ دفع البهتان عن معاوية بن أبي سفيان لأبي عبد الله الذهبي
32 ـ الاستيعاب في تمييز الأصحاب للحافظ بن عبد البر
33 ـ صدق النبأ في حقيقة ابن سبأ لأبي عبد الله الذهبي
34 ـ النجـوم الزاهـرة في ملـوك مصر والقـاهرة / جمـال الـدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي
35 ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب / لعبد الحي بن أحمد العكـري الدمشقي
36 ـ زاد الميعاد لابن قيم الجوزية
37 ـ تاريخ الطبري
38 ـ حياة الصحابة للكاندهلوي